القادمون





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- الطبعة الأولى: يناير / 2024م
- رقم الإيداع: 2023/25364م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-336-9

- العنوان: القادمون
- تدقيق لغوي: مريم عبد الجليل
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

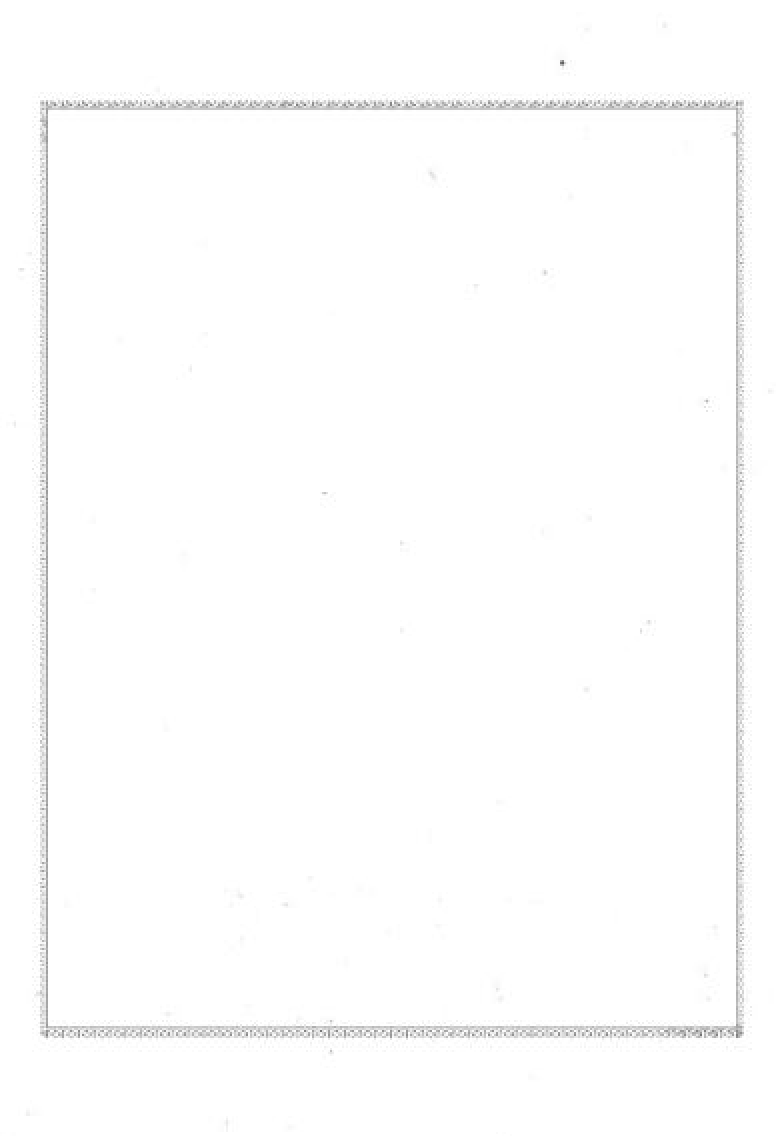


د. أحمد خالد مصطفى

رواية

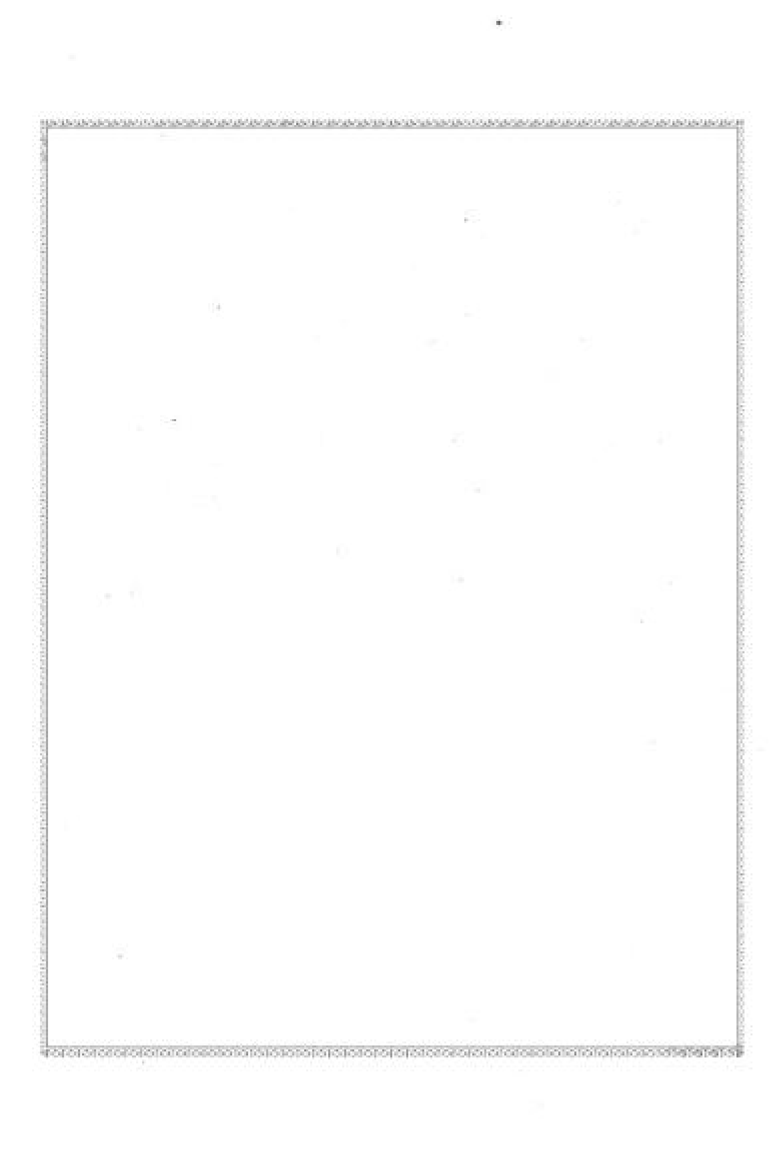
القادمون





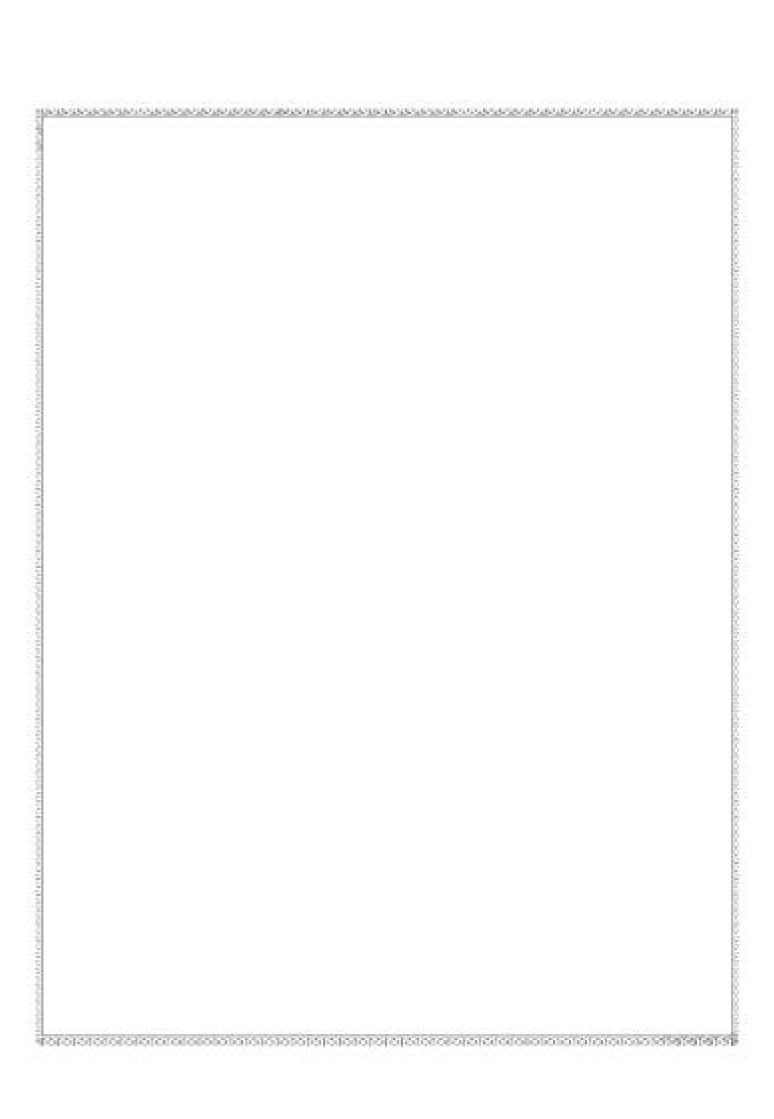
تنويه

جميع المعلومات الواردة في هذه الرواية هي معلومات صحيحة، كلها بلا استثناء، مأخوذة من المراجع الموثوقة فقط.



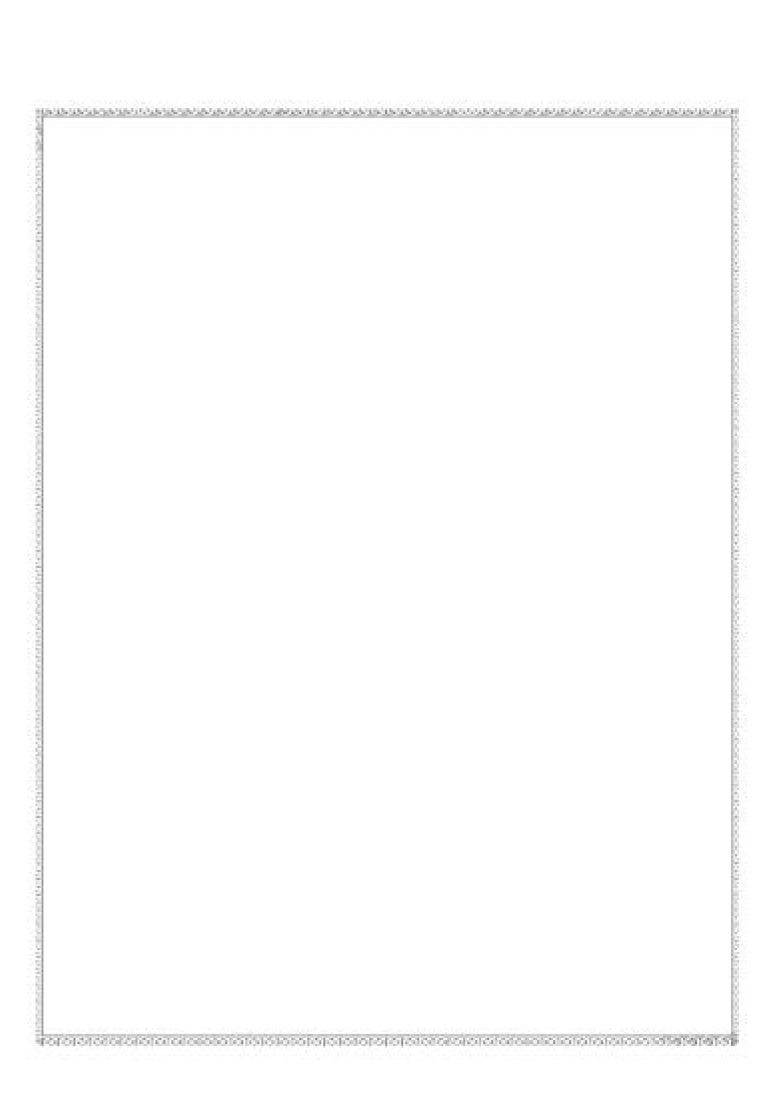
رسالة إلى النقاد

اصرفوا أنظاركم عن هذه الرواية حتى تحتفظوا بعقلكم في مكانه.



إلى زوجتي الحبيبة إيمان

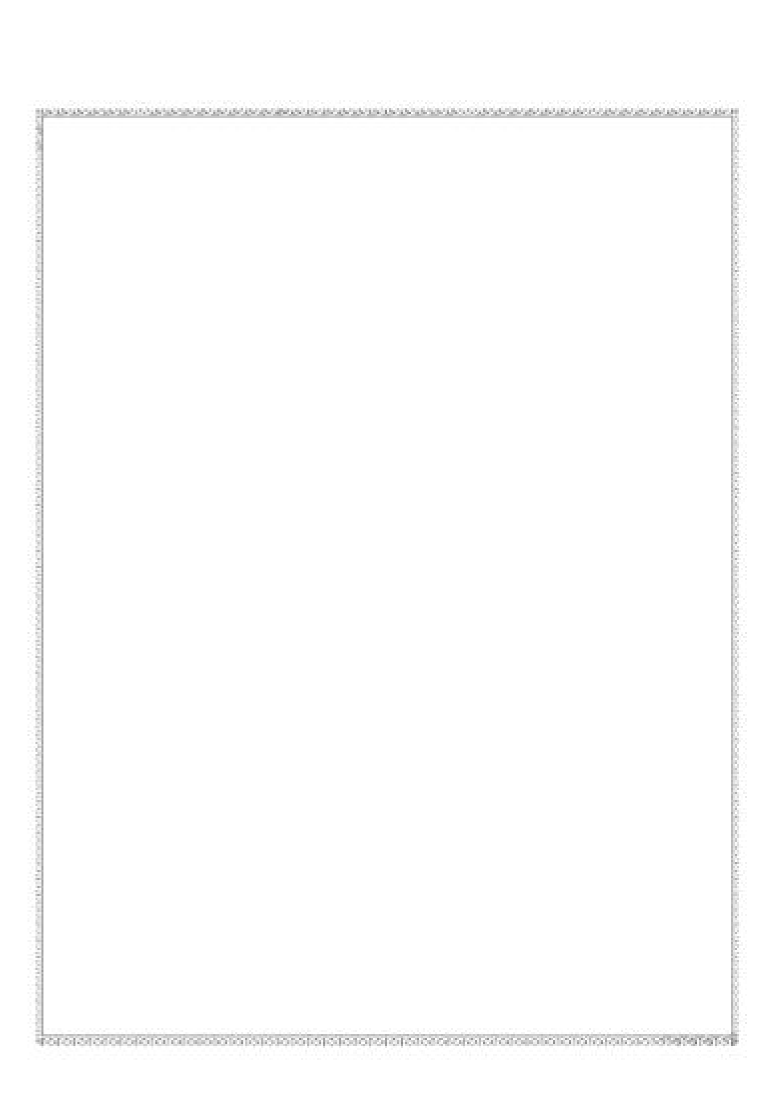
لو تهيّأ الحب في صورة فتاة لكانت أنت، ولو أراد أن يتخذ اسمًا لكان اسمك، ولو أراد أن يبتسم ويضيء الدنيا فلن يفعلها أجمل مما تفعلينها. أحبك قبل أن يخلق الحب، وقبل أن يخلق قلبي، أحبك منذ أن كنتِ روحًا، وكنت أنا روحًا. أنتِ حلم جميل حلمت به ذات ليلة، ورأيته ذات ليلة، وعشقته ذات ليلة، ثم تزوجته ذات ليلة.



إهداء

إلى فلسطين

تطيب نفسي عندما يراسلني قرائي في فلسطين بصور لرواياتي بجوار المسجد الأقصى، اللهم كما أوصلت كلماتي إلى جواره، فاجعل لي صلاة فيه؛ فإن روحي معلقة به. وإني لا أخشى على فلسطين فقد علمت من حديث رسول الله أن الدجال اليهودي لن يقرب المسجد الأقصى، فالضباع الصهاينة سينتهي وجودهم الغاشم قبل نزول دجالهم، بل إنه سيخرج من غضبة يغضبها كما قال رسول الله، وتلك الغضبة ستحدث فقط عندما تتحرَّر فلسطين، وهذه الضباع تعيش في آخر سنوات عهدها، وسيكون جيلنا هو الذي سيشهد سقوط إسرائيل، وسيشارك في هذا بالنفس والدم والكلمة.



مرحبًا بالعين التي تقرأ، أنت جئت إلينا بكامل رغبتك.

لم يدفع لك أحد لتأتي.

عينك تريد اللهو والتسلية.

ستنال الذي جئت من أجله وأكثر منه، لكنَّ لكل شيء ثمنًا.

فهل تعرف ثمن اللهو واللعب؟

لا أحد يقدم شيئًا مجانًا.

أنت تقول إنك دفعت الثمن بالفعل.

أعطيتنا دقائق من وقتك الثمين وطاقتك وربما نقودك وفتحت هذا الكتاب لترى.

وها أنت تنتظر المقابل. بعض من التسلية لروحك في هذا العالم الممل.

لكن وقتك لا يعنينا في شيء، وليس ثمنًا لشيء، فلا أحد يقبل الدفع بالوقت.

ونقودك التي دفعتها ذهبت إلى من ينتفع بها، ويمكنك أن تذهب وتستردها، فليس لها قيمة عندنا، ولا تكافئ ما سنعطيه لك.

فنحن نتحدث عن لهو سيجعل عينيك مفتوحتين على مصراعيهما من النشوة.

شيء لم ترَ مثله من قبل، لا أنت ولا آباؤك.

فاحتفظ بوقتك وطاقتك ونقودك، نحن نريد شيئًا أكبر ثمنًا مقابل كل هذا.

نريدك أنت.

نحن سنعرض عليك عرضًا، ولك أن تقبل أو ترفض.

فإذا قبلت عرضنا ستوقع معنا عقدًا.

ليس عقدًا معنويًا تهز فيه رأسك وتكمل القراءة، بل ستأتي بالقلم وتوقع لأنك إذا وقعت بيدك، فلن تقدر أن تقول ما كنت أعلم أو كنت عن هذ غافلًا.

إذا وقَّعت فلا رجعة.

مدة العقد بيننا هي مدة قراءتك لهذا الكتاب.

ويمكنك أن تنسحب من العقد متى يحلو لك فتوقف القراءة وترمي الكتاب ولن يكون عليك أي شيء.

لكن إذا أنهيت الكتاب كله فقد أتممت العقد وستدفع الثمن.

ولا تقلق فسنتفق على الثمن قبل أن توقع.

الطرف الأول في العقد هو أنت.

والطرف الثاني نحن.

تتساءل مَن نحن؟

يمكنك أن تطلق علينا ذلك الاسم الذي قرأته عنوانًا لهذا الكتاب.

ولك أن تتساءل: أنحن قادمون لأخذ روحك، أم قادمون لأن العالم ينتظرنا، أم قادمون من المستقبل؟

عددنا ليس مهمًا، أسماؤنا لن تجعل حياتك أسعد لو عرفتها.

فلا تسأل عنها لأننا لم نسألك عن اسمك.

لكن يمكنك أن تتوقع مَن نحن كلما أنهيت جزءًا من الكتاب.

نحن سنهبك اللذة الصافية التي ستجعلك تفتح عينيك ناظرًا بدهشة أحيانًا، وتقول ما هذا الذي رأيته قبل قليل؟

ستكون تجربتك معنا شديدة المتعة، لن تشابه أي تجربة رأيتها أو سمعت بها، أو حتى خطرت على بالك.

فكل لعبة ستلهو بها عندنا ستكون جنونية، إلى أقصى حد، فنحن مجانين، وأنت ستحب هذا الجنون.

كل واحد منا سيلعب معك لعبة لم تسمع بها من قبل، وستبهرك كل واحدة أكثر من التي قبلها.

تذكر أن أعظم إبهار في هذا العالم عندما يرى الإنسان ويجرّب شيئًا جديدًا لم يكن يتخيل أنه موجود.

فلو أنك سافرت إلى زمن قديم جدًا وأخرجت جوالك من جيبك وأظهرته للناس سترى الانبهار في أعينهم.

وكذلك كل الألعاب التي سنريك إيَّاها لتجربها.

فهي لن تجعلك تنبهر فقط من غرابتها، بل كل لعبة من ألعابنا ستكشف لك سرًّا، ليس سرًّا على طراز تلك الكتب المهووسة التي تدَّعي أنها كشفت الأسرار المخفية.

بل إن أبلغ الأسرار هي الموجودة أمام عينيك طيلة الوقت، لكنك أكسل من النظر إليها، لأنك لا تقرأ.

ونحن لن نلقي لك الأسرار هكذا، بل سنجعلك تذوق الأسرار، تعيش فيها، تعرفها كما تعرف اسمك.

وسنتعهد طول مدة العقد ألَّا نكذب، ولا نخلط الحق بالباطل.

فقط سنلقي إليك بالحقيقة الصافية وحدها مهما كانت بشعة، بلا زيادة ولا نقصان ولا تزييف، ولا تحريف ولا تأويل، فهي تكفي وحدها لتصيبك بالجنون.

وإن وجدتنا كذبنا في شيء فأغلق الكتاب، فقد خسرنا اللعبة، وانتقض العهد.

والآن حان الوقت لتعلم ماذا ستقدم لنا أنت في مقابل كل هذا، وما هو الثمن.

روحك.

ستتعهد أنك إذا قضيت مدة هذا الكتاب حتى نهايته، ولعبت ولهوت وعرفت من العلم ما لم تكن تتخيل أنه موجود.

أنك بعد أن تنهيه، ستكون روحك لنا.

كل واحد منا له اسم، لكنك لن تعرفه، فقط كل واحد منا سيخبرك بأول حرف من اسمه.

وإذا جمعت حروف أسمائنا سيخرج لك اسم ذلك الذي ستهب له روحك في النهاية.

هل أنت متوتر؟ هل قام شعر جسدك؟

أنت لست وحدك، هناك ألوف قرأوا قبلك ووقّعوا.

وليست هناك غرابة في هذا العقد، فأنت تراه أمامك كثيرًا دون أن تشعر.

تراه في الشيطان الذي يعلن خطته لإغواء البشر بكل وضوح وهم يتوافدون إليه كالجراد الذي يتوافد إلى النار.

وكلهم يعلمون أنه في النهاية ستكون عاقبتهم أن تحترق أرواحهم.

هل نحن شياطين؟ أم هل نحن أعمالك السوداء؟

نحن لسنا شيئًا من هذه القاذورات، بل ستعرف من نحن وأنت تقرأ.

نحن نعرفك، وكنا بانتظارك.

وتذكر أنك أنت الذي سعيت إلينا وليس نحن.

قبل أن تقلب هذه الصفحة عليك أن توقّع عليها بقلمك.

فإذا قلبتها إلى الصفحة التالية فقد قبلت العهد ورضيت بما سيحدث.

***

ها أنت قد أتيت، وها نحن قد أتينا.

لقد قبلت العقد، ولقد قبلنا بك.

حاول أن تطيل فترة قراءتك ولعبك معنا قدر استطاعتك، لأنه إذا جاءت النهاية فكل شيء سينتهي.

اليوم هو يوم البداية.

كل واحد منا سيأتيك منفردًا، وسيلعب معك لعبته، لن يتكلم عن نفسه ولا عن صفته.

فكلنا نخفي هوياتنا بعناية، ولو نظرت إلى وجه أحد منا لتحاول أن تتبين هويته لن تجد وجهه سوى فجوة سوداء، كثقب أسود، ولو اقتربت سيبتلع كيانك، فالخير لك أن تنظر من بعيد، وتركز على اللعب الذي جئت لأجله.

وفي النهاية سنأتيك مجتمعين، لنقبض الثمن.

والآن سنتركك تتلذذ بما أنت قادم لأجله.

كل شيء ساخن، مشاعرك مُتّقِدة، فلنبدأ العبث.

الفصل الأول
الكتاب الأسود

جئت وعيناك كلاهما شغفٌ، تريد أن تلعب، وهل هذه الدنيا إلا لعب ولهو. تعالَ وادخل من هذه البوابة، إلى عالم سيبهرك كثيرًا لكن ربما لن تعجبك نهايته.

فتح لك الباب رجلان يرتدي كلٌّ واحد منهما عباءةً وقناعًا ضاحكًا بسخرية، دخلت إلى قاعة كبيرة كأنها مسرح، هناك عدد ضخم من الكراسي الحمراء يجلس عليها أناس مثلك، جاؤوا ليلعبوا مثلك، جميعهم قرأوا كلامنا فأحضرهم الفضول مثلك.

لا داعي أن تبحث عني وتدير رأسك هنا وهناك، فلا حاجة لك بي، يكفي أن صوتي يتردد هكذا في داخل عقلك؛ فأنت جئت لأجل اللعبة وليس لأجلي.

أنا الرفيق «م»، وحرف الميم هنا يرمز لكلمة «مُخرج»، بضم الميم وليس بفتحها، فالبطل في هذه اللعبة هو المخرج.

أنت في قاعة سينما كما لا بُدَّ أنك لاحظت، أعرف أنك ذهبت إلى قاعات سينما كثيرًا، لكن الشيء الذي ستراه هنا لم تتخيل يومًا في حياتك أنه موجود.

ولماذا أضع حدودًا لخيالك، سأراهن على ذكائك، استرخِ على هذا الكرسي واسمعني جيدًا.

انطفأت أضواء القاعة.

ما زلت تسمع صوتي واضحًا يتسلل إلى كيانك.

تخيل أن الذكاء الاصطناعي الذي تسمع عنه في عالمك تطور مئة مرة على الأقل، وصار يقدر أن يصنع أفلامًا كاملةً تنافس جودتها أفلام هوليوود بل تتفوق عليها.

الذكاء الاصطناعي وحده فقط يصنع القصة ويبني العالم السينمائي ويختار أشكال الممثلين وزوايا التصوير وطريقة الإخراج والمونتاج، ويصنع الموسيقى التصويرية، ويبتدع تعبيرات الممثلين وأصواتهم، فيخرج في النهاية فيلمًا كاملًا ليست فيه غلطة واحدة كأنه خارج من أبرع استوديوهات هوليوود، بل أفضل منها وأكثر إتقانًا ومتعةً، وكل هذا دون مخرج أو مؤلف ولا مصور أو ممثلين، دون أي شيء.

هذا سهل عليك أن تتخيله، الآن تخيل أنه يمكنك أن تلعب بإعدادات هذا البرنامج وتدخل إليه بعض التعديلات ليخرج الفيلم على هواك أنت، تختار له ممثلين معينين تحبهم أنت، وتحدد له نوع الفيلم؛ رعب، فانتازيا، تاريخ، أي شيء. فيأخذ البرنامج هذه المدخلات ويخرج لك فيلمَ رعب من بطولة آل باتشينو مثلًا، أو فيلم كوميدي جديد لمستر بين، هذا أيضًا سهل التخيل فالبرنامج مسجل عليه أفلام باتشينو كلها، ويمكنه أن يولد لك تعبيراته وصوته وطريقته في التمثيل.

وإذا أدخلت للبرنامج أي رواية تحبها، سيحللها البرنامج سطرًا سطرًا، ويصنع لك فيلمًا كاملًا للرواية بالممثلين الذين تحبهم، فلم تعد بك حاجة أن تنتظر أن تتحول روايتك المفضلة إلى فيلم. كل ما عليك هو أن تحضر الفشار والمشروب الساخن وتفتح برنامج الذكاء الاصطناعي وتشاهد.

وتستطيع أن تختار مخرج الفيلم، فتحدد للبرنامج أن يكون الفيلم من إخراج هيتشكوك أو كريستوفر نولان أو جيمس كاميرون، فيخرج لك الفيلم كما أردت تمامًا، فجميع أفلام هؤلاء المخرجين مسجلة مسبقًا في البرنامج،

وفي دقائق معدودة يحلل جميع هذه الأفلام، ويخرج لك الفيلم بطريقة إخراج على هواك.

وربما تفكر ألّا تجعل بطل الفيلم هو ممثل تحبه، بل تجعل نفسك أنت بطل الفيلم، فتدخل للبرنامج بعض صورك وفيديوهاتك فيحللها سريعًا، ويدخلك إلى الفيلم في أي شخصية تريد. وربما في جلسة رائقة تدخل للبرنامج صورة الفتاة التي تحبها فيصنع لك فيلمًا رومانسيًا كاملًا بطله أنت وهي.

كثير من الأمور يمكنك أن تتخيلها، بل إن هذا البرنامج لو أنك حملته على شاشتك أو جوالك ولم تدخل له أي مدخلات سيبدأ بإظهار بعض الإشعارات لك أنه قد عمل لك أفلامًا جديدة توافق ذوقك، فتدخل على البرنامج فتجد أنه قد رتب لك بعض أغلفة الأفلام التي صنعها هو لتشاهد أيًا منها في سهرتك اليوم، صنعها بالممثلين الذين تحبهم، وعن المواضيع التي تحبها.

ربما تعيش لترى هذا في حياتك، وربما لا، لكنك هنا في هذه القاعة الحمراء ستجرب هذه التقنية للمرة الأولى.

لقد وعدتك أن تكون لعبتي هذه غريبة لكني لم أعدك أن تكون ممتعة، بل ربما تكون مؤلمة.

فأنا لن أعطي هذا البرنامج أي رواية شهيرة ممتعة يحولها إلى فيلم، بل سأدخل له كتابًا قرأه ثلث أهل الأرض تقريبًا، أو تظاهروا أنهم قرأوه، كتابًا تسبب في تشويه نفس كل مَن قرأه، وكل مَن آمن به وصدّقه، وكل من أقنع نفسه أنه يؤمن به، كتابًا قالوا إن الله أنزله، وموسى علّمه للناس.

كتابًا اسمه التوراة اليهودية.

سأجعل كل كارهي القراءة في هذا العالم يشاهدون التوراة عيانًا بيانًا.

لعبتنا اسمها المخرج لأن البرنامج سيصنع التوراة اليهودية في فيلم يتشارك في إخراجه أكبر مخرجي هوليوود، كل واحد منهم سيخرج جزءًا.

والآن نفتح الستار، ويبدأ الفيلم.

***

الكاميرا كأنها طائر يحلق فوق الرؤوس، يطير بسرعة بطيئة جدًا حتى ترى كل شيء وتتمعن كما يحلو لك، قرية بسيطة جدًا ليس فيها بيوت بل خيام بدائية جدًا مزدحمة بالناس الذين يملؤون الشاشة من كل جوانبها، بعضهم يعمل بالنجارة ليصنعوا بيوتًا صالحة للسكن، وبعضهم يزرع في حقول صغيرة بجوار البحر، وآخرون يلعبون لا هم لهم.

اقتربت الكاميرا شيئًا فشيئًا من أولئك الذين يزرعون، لم تكن الأرض عامرة بالزروع لكنهم يجتهدون على أي حال، ويبدو من طريقتهم أنه وقت الحصاد. اقتربت الكاميرا من رجل واحد وسط المزارعين، كان واقفًا ينظر بشرود ويده التي تمسك بمحصول العنب يرخيها إلى جانبه.

اقتربت الكاميرا من وجه الرجل لتبين لنا شروده، كان عجوزًا له ملامح رسم فيها الزمن عدة خطوط وتجاعيد، اقتربت الكاميرا أكثر لتركز على عينَي الرجل التي كان الاحمرار يغزو جوانبها وبها ارتجافة خفيفة، كانت له نظرة تجمع بين الشرود والاستمتاع الجسدي، هذا الرجل العجوز هو نوح، كما تصوره التوراة.

تغير الكادر ليظهر الأفق والبحر والشمس التي كادت أن تختفي والمساء الذي حل، وبدأت موسيقى غير مريحة في الخلفية، موسيقى تثير التوتر في النفس، ثم ظهر عند الشاطئ ظل طويل جدًا لشخص يمشي، وسبب طول الظل هو وضع الشمس ومكان الكاميرا.

كلما مشى الشخص أكثر صغر الظل أكثر، وهناك بعض الغربان الذين وقفوا يتطلعون إلى البحر ولما دخل الظل عليهم طاروا هاربين مصدرين صوتًا زاد من التوتر وسط هذه الموسيقى التي تتصاعد والظل الذي يقصر حتى بدأ يتبين هذا الشخص الذي يمشي.

لم يكن شخصًا مخيفًا جدًا، بل كان طفلًا كما يبدو من هيئته الظاهرة من بعيد.

تغير نمط الموسيقى إلى نمط آخر أكثر توترًا، الكادر هذه المرة كان يظهر خيمة من خارجها، وهناك ضوء مشتعل داخلها وظل رجل بالداخل لا يظهر بشكل واضح، لكنه يمسك في يده كأسًا ويشرب.

أظهرت الكاميرا اللقطة من داخل الخيمة لنرى نوح العجوز يشرب من كأس خمر في شيء من الاستمتاع، وما زالت في عينيه تلك النظرة التي تعبر أن عقله قد غاب وروحه قد سكرت. الموسيقى المتوترة تكاد تقسم لك إن هناك كارثةً ستحدث بعد قليل.

تغير الكادر ليظهر اللقطة من الخارج، وقد ظهر ذلك الظل مرة أخرى على جدار الخيمة، ظل الطفل.

بدأ الظل يقترب من الخيمة ويصغر، ثم أصبحت الكاميرا وراءه وهو يقترب بحذر من باب الخيمة.

تغير الكادر إلى داخل الخيمة حيث بدأ نوح يترنَّح من الخمر ويخلع ثيابه وملامحه تظهر كثيرًا من الشعور باللذة.

انتقل الكادر إلى باب الخيمة القماشي حيث هناك شق صغير يظهر ما بداخل الخيمة ووجه ذلك الطفل يقترب من الشق وعيناه تنظران إلى الداخل في شغف.

كان يمكنك أن ترى عبر الشق نوح العجوز وثيابه قد سقطت على الأرض وأصبح عاريًا تمامًا وكان يعطي الكاميرا ظهره.

تحولت الكاميرا إلى داخل الخيمة وركزت على الكأس التي في يد نوح، والتي أصبحت تسقط منها نقاط الخمر على الأرض، وأمكنك أن ترى عين الطفل وهي تنظر من شق الباب.

اقتربت الكاميرا من عين الطفل التي كانت تنظر في شيء من الخبث والشر.

وفي أثناء ترنُّح نوح استدار وأعطى وجهه لباب الخيمة، فتحولت نظرة الطفل إلى الأسفل قليلًا، وبدأت تتحول من نظرة خبيثة إلى نظرة ساخرة ضاحكة، هذا الطفل هو كنعان، حفيد نوح.

تغيرت الكاميرا إلى خارج الخيمة وصورت من وراء الطفل كنعان وهو ينظر إلى داخل الخيمة ويكتم ضحكته.

الموسيقى بدأت تعلو بشكل غير مبرر.

لقطات متتالية، نوح في الداخل يترنح، عين الطفل كنعان تظهر من الباب، لقطة من وراء الطفل وهو ينظر، الموسيقى تتصاعد، وفجأة أمسكت يد رجل قوي بكتف الطفل كنعان.

انتفض الطفل ونظر إلى الوراء فإذا رجل كبير يشبه الطفل جدًا كأنه أبوه، وكان بالفعل هو أبوه «حام».

كان حام ينظر إلى ابنه كنعان بغضب، لكن لمَّا نظر حام إلى داخل الخيمة ليرى ما كان يُضحك طفله رأى نوح عاريًا سكرانَ فأخذ يكتم ضحكته هو الآخر.

صوَّرت الكاميرا نوح وهو يسقط على الأرض عاريًا وكأس الخمر تسقط بجواره، وعلا صوت ضحكات الطفل كنعان وأبيه حام.

وفجأة ظهر من ورائهما رجلان آتيان بشيء من العجلة وعلى ملامحهما تساؤل.

هذان هما سام ويافث؛ ابنا نوح، نظرا إلى داخل الخيمة ففزعا وغضا البصر، ثم خلع سام عباءته ودخل الخيمة بظهره هو ويافث، وهرع سام وغطى أباه نوح الذي أظهرته الكاميرا وهو يفتح عينيه بشيء من التعب.

كان سام ويافث يُربتان عليه، بينما حام وابنه كنعان يقفان في وسط الخيمة وينظران من بعيد.

نظر نوح إلى الطفل كنعان بعين فيها كثير مشاعر لا تدري هل هي بغض أم عتاب، وأظهرت الكاميرا كنعان وهو ينظر إلى نوح بنظرة جامدة لا تدري ما هي، وتنقلت الكاميرا بين النظرتين، نظرة نوح، ونظرة كنعان، وصوت تلك الموسيقى الشريرة التي تعبر عن الذنب تعلو وتعلو، ثم نظر نوح إلى ابنيه اللذين يربتان عليه وقال كلمته الشهيرة ونبوءته التي أوحاها له رب اليهود:

«ملعون كنعان وملعون نسله في الأرض، عبد العبيد يكون لإخوته، أما سام فقد باركه الرب».

أظهرت الكاميرا نظرة كنعان، وقد تغيرت من نظرة غير مفهومة إلى نظرة بدأ يتكون فيها شيء من الرعب، ثم استدار كنعان وخرج هاربًا من الخيمة.

ركّزت الكاميرا على وجه الطفل كنعان وهو يهرب، كان يركض والكاميرا أمامه ترجع إلى الوراء معه وعينه فيها أعتى علامات الرعب والإجرام، وبدأت الموسيقى تتحول إلى ذلك النمط الخاص بالقتلة، موسيقى مزعجة جدًا تشبه صوت الصنبور الصدئ المزعج.

كان كنعان يهرب كأنما يهرب من قدره، والكاميرا تظهر الناس وراءه وهم ينظرون إليه في تعجب وهو يمر منهم كأنما يريد أن يفلت من اللعنة.

هذا المشهد الذي رأيته الآن هو من إخراج ألفريد هيتشكوك «أبو السينما» كما يسمونه وملك التشويق، وهو يقلل الحوارات قدر استطاعته لأنه يؤمن أن الكاميرات تقدر أن تحكي كل شيء.

كانت هذه الحكاية في التوراة هي أول نص يشرع العنصرية، فقد قالت بشكل صريح إن اليهود أبناء سام سيستعبدون أبناء كنعان الملعونين وهم الفلسطينيون الذين يسكنون الأرض المقدسة وما حولها، وبهذا شرعت كل المجازر التي ارتكبها اليهود بعد ذلك في هذه الشعوب، كذلك أخذ الأوروبيون والأمريكان أبناء يافث هذا النص ذريعةً لاستعباد السود من البشر باعتبارهم أيضًا من أبناء حام الملعون.

فأصبح هذا النص وبالًا على الأرض كلها، ولم يكن أجدر من هيتشكوك بسوداويته ليكون مخرج هذه الحكاية.

***

صوت عزف يبدو قديما جدًا لكنه جميل، فيه شيء من البهجة والشجن، الكاميرا تصور من الأعلى من تلك الزاوية التي يسميها أهل السينما منظور عين الإله، كأن الكاميرا مثبتة في سقف السماء وتنظر إلى رؤوس أناس وهم

يرقصون ويدورون على صوت الموسيقى، هناك الكثير من المشاعل حولهم تضيء الأجواء بلون أحمر مميز في هذا الليل، العزف يستمر في الخلفية.

اللقطة التالية تخلّت عن المنظور العلوي ونزلت لتمشي بين هؤلاء الناس الذين يحتفلون في ناديهم، ثم بدأ صوت امرأة يروي بينما تسير الكاميرا ببطء داخل النادي.

«لم أكن أدري ما الذي يمتعهم في هذا الذي يعملونه».

الكاميرا تظهر مجموعة من النساء غير المحتشمات وهن يُقبّلن نساء أخريات بشكل فاجر.

«رجال مع رجال، نساء مع نساء، ما الذي يجعل المرأة ترضى بهذا».

ركزت الكاميرا على رجال يلمسون رجالًا آخرين، ويتمايلون على صوت ذلك العزف وضوء المشاعل يضفي على وجوههم ظلًا أحمرَ يشير إلى الخطيئة.

«حتى أختي هناك، وزوجها، وأختي الأخرى، وزوجها الآخر، الكل أصابته لوثة، لم يعد الرجال يريدون النساء، كم أشتاق إلى رجل حقيقي يشفي غاربي».

تحرّكت الكاميرا بقفزات سريعة على هاته الشخصيات بينما تتكلم المرأة عنهم، أختها الأولى كانت في حضن امرأة أخرى، وزوج أختها يرقص في غير حياء، وأختها الثانية تمسك امرأة وتدور معها.

وفجأة سمع الكل صوتًا كأنه منبعث من داخل الأرض، ذلك الصوت الكارثي الذي يسبق الزلزال، سكت العازفون تمامًا فلا تسمع إلا صوت الصمت، والناس ينظرون إلى بعضهم في توتر.

«لم أكن أصدق أبي لوط، كان يحذرهم طيلة الوقت، ولم يسمعه أحد».

ورغم أن العازفين سكتوا عن العزف فإن المخرج قرر أن يشغل لك نفس هذا العزف الذي يثير الشجن في الخلفية لتسمعه وأنت ترى الكارثة التي ستحل على هؤلاء الناس.

فجأة هبت ريح عاصفة أطفأت المشاعل وقلعت الأوتاد وطيرت آلات العزف، وسادت الفوضى في ذلك النادي.

«كنت أول واحدة تهرب في ذلك اليوم، جريت بأقصى سرعتي، لكن كانت هناك نيران تنزل من السماء».

نزلت النيران فاختلطت بالعاصفة وتحولت إلى قذائف نارية تنطلق بأقصى سرعة لتحصد أفواج الرجال والنساء الذين خرجوا من ذلك النادي يتبعون بعضهم بعضًا في صف يتسابقون للنجاة، وفي أول الصف تلك المرأة التي تتكلم، ابنة لوط.

تحركت الكاميرا بشكل عرضي لتريك الصف من آخره إلى أوله وقذائف النار تصيب الرؤوس فتفجرها، أو الأجساد فتحرقها، أو الأيادي فتقطعها، وأصرت الكاميرا أن تتحرك ببطء كأنها تمر على الصف واحدًا واحدًا لترى ما يحل به، كثير من الدماء تناثرت حتى ملأت الشاشة كلها كالأمطار.

القذائف تقتل وتذبح وتحرق حتى كادت تصل إلى أول الصف حيث ابنة لوط التي تجري، فلما وصلت القذائف إلى أول الصف تعثرت ابنة لوط، وسقطت وسط كل هذه الأجساد الميتة، ونجت بأعجوبة.

«لم يكن حظي مثل حظ قومي، ولم تكن الكارثة قد انتهت».

وبنفس المنظور العلوي عين الإله، أظهرت لك الكاميرا جثث كل هؤلاء البشر الخاطئين وهم مُكوَّمون على الأرض في رداءاتهم التي أذنبوا فيها، وابنة لوط تقوم من بينهم وتنظر إلى الكاميرا في السماء، ولا تصدق أنها نجت من هذه الضربة الإلهية.

تغيَّر صوت الراوي إلى صوت رجل يحكي، وكان صوت رجل حزين هو لوط.

«كنت أود أن أبقى، لكن أولئك الملائكة أجبروني على الرحيل، فمشيت هناك وسط الصحاري ليس معي سوى ابنتين».

عرض الفيلم شيئًا يشبه الدخان أو الضباب المنتشر في الظلمة، وهناك ثلاثة أشخاص يمشون فيه يبدو من هيئاتهم أنهم رجل وامرأتان، كانوا يمشون سريعًا كأنما يهربون من شيء ما وينظرون وراءهم كل حين.

طلع الفجر عليهم فصبغ الشفق بلون أحمر وصبغ الشاشة كلها، وهم يظهرون كأنهم ظلال يصعدون تلالًا وينزلون، انقشع اللون الأحمر وظهر الثلاثة وقد عرفت أن هذا لوط وابنتاه.

سُرِّع الفيلم في هذه اللقطة وأنت تراهم يمشون ويتسلقون ثم يجلسون للراحة ثم يعبرون النهر.

«طلبت من الملائكة أن أهرب إلى مدينة مجاورة، وألا أسير في وسط الصحاري هكذا، لكن بلا فائدة».

أظهرت اللقطة وجه لوط كما تصوره التوراة وهو حزين في الظلام وهناك نار من مشعل قريبة من الكاميرا تبعث نورًا أحمر على وجهه، وفي الخلفية كنت تسمع صوت ابنتيه تتحدثان في شيء ما غير واضح، بينما هو نظره شاردًا وكأنه يتذكر الماضي.

ركّزت الكاميرا على عينيه اللتين تنظران في الفراغ وإضاءة المشاعل تضفي عليهما شيئًا من الرهبة.

ثم أخذتك الكاميرا إلى داخل ذكرياته، كان يذكر مشهدًا وهو يركض مع زوجته، ثم فجأة تجمدت ولم تعد تتحرك، فصاح فيها بحزن فلم تتحرك كأنما تحولت إلى تمثال، فأخذ يحتضن زوجته التي تحولت إلى صخر أبيض وملامحه تبكي بحرقة بينما تتناثر ذرات النار في الشاشة كلها، وبينما هو يحتضنها إذ بها تتفتت وكأنها تمثال مصنوع من الملح، وبقي هو حزينًا يحضن الهواء.

عادت الكاميرا لتظهر لك لوط الجالس في كهف من الكهوف وهو مهموم بينما ابنتاه جالستان تتكلمان في شيء ما، الكاميرا تنتقل بين وجه البنت الكبرى التي كانت تحكي قبل قليل ووجه البنت الثانية، الكاميرا تتحرك بينهما كأنها شخص يدور رأسه يمينًا وشمالًا لينظر إلى هذه وتلك.

ظهر صوت ابنة لوط التي تروي وهي تقول:

«لم يعد هناك رجال في هذه الأرض، لقد حكم عليّ ألا أذوق الرجال حتى لما كنت في مدينة مليئة بهم، فلم يكن أمامي سوى حل واحد».

ظهر كادر مُموه جدًا، كأنه عين شخص سكران لا يحسن الرؤية، كان الكادر يظهر امرأة مموهة تنظر إلى الكاميرا وتقترب من الكادر كأنها تتأكد أن الناظر إليها لا يراها حقًا.

«لقد سقيت أبي لوط خمرًا، وأخبرت أختي أنه يجب أن أضاجع أبي وأحمل منه حتى أقيم منه نسلًا، لأنه لا يوجد رجال على ظهر الأرض».

كانت الصورة مموهة يظهر وراءها جسد رجل عارٍ وتحته جسد امرأة، التفاصيل غير واضحة لكن المعنى قد وصل.

هذه طريقة وبصمة المخرج مارتن سكورسيزي، وهذا إخراجه لقصة بنات لوط الواردة في التوراة، اليهود قالوا إن هذا النبي الصالح ضاجع ابنته الأولى، ثم ضاجع الثانية وحملت كل واحدة منهما وأنجبت، وكان نسلهما ملعونًا، المؤابيون والعمونيون، وهم أهل الأردن.

زنا محارم في كتاب يدَّعي أنه كتاب الله، وأي شيء يريده الشيطان أكثر من أن يكتب هذا الفحش في كتاب يقرأه الناس على أنه كتاب الله، ويتلونه ويتعبدون به، والله بريء من المشركين ورسوله.

وكل هذا ليزرعوا فكرة عنصرية ثانية في ذهن القارئ، أن أهل الأردن ملعونون وفسدة لأن أصل نسلهم فاسد، ولليهود الحق في احتلال أرضهم كما كان لهم الحق في احتلال فلسطين.

***

سماء ملبدة بسحب رمادية تتحرك ببطء على صفحة القمر، موسيقى لها سمة حربية، الكاميرا تصور من الأعلى لتنظر إلى مبنى مفتوح السقف يبدو مثل معبد. هناك أناس واقفون في حلقة وفي وسطهم امرأة تصرخ وتنظر إلى أعلى حيث الكاميرا، نزلت الكاميرا إلى وجهها الذي يصرخ في معاناة،

وبينما اقتربت منها الكاميرا أصبحت الحركة بطيئة لتريك تفصيلات وجه المرأة وهي تصرخ، ألوان هذا المشهد داكنة وتباين الألوان حاد جدًا ليعطي شعورًا أن هذا مشهد تاريخي شديد الأهمية.

بدأ في الخلفية صوت رجل يحكي، كان يتحدث بلهجة مخيفة كأنه ساحر يحكي من كتاب تاريخ.

«تألمت رفقة امرأة إسحق كل الألم، ولم تكن تدري ما هذا الذي في بطنها، أهو إنسان أم شيطان».

نزلت الكاميرا إلى بطن المرأة الذي كان منتفخًا خارج ردائها ولا يبدو بطنها بخير أبدًا.

«قال لها الرب إنه يحق لك أن تتألمي فإن في بطنك أمتين ومن أحشائك يفترق شعبان؛ أحدهما يستعبد الآخر».

صرخت المرأة والكاميرا تصور بطنها بلقطة أوضح فبدا وكأن هناك صراعًا يدور بالداخل. صراع بين طفلين، حتى إن بطنها كان يتحرك بغرابة كأن هناك من يرفس فيه.

«كانت ولادتها صعبة كألف سكين يضرب في بطنها».

المرأة تصرخ بشدة وهناك نساء حولها يولدنها.

«وفي تلك الليلة خرج من هذا البطن طفل أحمر الشعر، كأن شعره شعلة من نار، فسموه (عيسو)، لكنه لم يخرج وحده».

ركز الكادر على يد المرأة التي ولدتها وهي تسحب مولودًا له شعر أحمر غريب، سحبته بسرعة حتى إن بعض الدماء تناثرت ناحية الشاشة، ثم بَطُؤَتْ الحركة والكاميرا تركز على قدم الطفل، كانت هناك يد تمسك به.

«خرج معه طفل يمسك بعقبه كأنما لن يتركه في حياة ولا موت، ولأجل ذلك سموا الطفل الثاني (يعقوب)».

ركزت الكاميرا على الطفل يعقوب وهو متعلق بقدم الطفل عيسو، وصورت الحركة البطيئة دهشة المرأة التي تسحبهما.

وتحت السحب الرمادية كان هناك مشهد لطفل عاري الصدر له شعر أحمر يحمل رمحًا ويتحرك بحذر مثل صياد ماهر.

«كان عيسو الأحمر إنسانًا يعرف الصيد، ولم يكن يقف في وجهه كائن على وجه الأرض، ولو كان ذئبًا متوحشًا يسيل منه اللعاب».

تراجع عيسو الطفل بحرص وأمامه ذئب أسود مرعب جدًا، أصبح الذئب وعيسو يدوران حول بعضهما وزخَّات من الثلج تهبط من السماء لتغمر الأجواء.

وفجأة قفز الذئب ناحية عيسو الذي تراجع بظهره بمهارة ورفع رمحه إلى حلق الذئب، وكعادة هذا المخرج، صور لك الذئب وهو يطير في الهواء بسرعة ناحية الصبي ثم أبطأ الحركة. وظهر ظل الطفل والذئب على الجبل والطفل يمسك بالرمح ويدفعه لينغرز في حلق الذئب الذي أصدر عواءً متألمًا وسقط على الأرض.

صورت الكاميرا عيسو بلقطة من الأسفل وهو واقف والرعد يضرب من فوقه ليعطيك المخرج الشعور بقوة هذا الشخص، وفي الخلفية موسيقى صيحات المحاربين الملحمية.

«كان عيسو مشعرًا بشكل كبير، بينما كان أخوه يعقوب أملَس لا يحب الصيد».

أظهرت الكاميرا يعقوب وهو مستلقٍ في منزل، كان وسيمًا وله عينان تتقدان بالذكاء، كان هذا هو النبي يعقوب كما تصوره التوراة.

«لكن إسحق كان يحب عيسو أكثر، لأنه يصيد له فيأكل ويشبع بطنه».

لقطة من الأسفل إلى الأعلى لرجل عجوز يجلس وأمامه طعام يأكل منه بنَهم، بدأت الكاميرا من قدميه حتى صعدت إلى فمه وهو ينهش من قطعة ضأن، هذا هو النبي إسحق كما تصوره التوراة.

«وفي يوم من أيام الدنيا جاء عيسو من رحلة صيد مرهقة، وكان جائعًا جدًا».

زاوية فوقية أخذتها الكاميرا للفتى يعقوب وهو جالس في منصة حجرية ويطبخ عدسًا أحمر، ثم جاء له أخوه عيسو، رأيناه من فوق وهو يستند على العمود، نقلتنا الكاميرا للقطة أخرى على يد عيسو المشعرة جدًا وهو يستند بها على الحجر ويقول: «أطعمني من هذا العدس لأنني قد تعبت جدًا».

«ورغم أن عيسو كان دائمًا يصيد للعائلة كل طعامها كل يوم ويعقوب دومًا يأكل من طعامه، فإن يعقوب كان ماكرًا».

رفع يعقوب رأسه وقال لتوأمه عيسو: «لن أعطيك شيئًا حتى تبيعني بكوريتك».

مسح عيسو عرقًا على جبينه وهو يقول بإرهاق: «وماذا تفيد البكورية عندما أموت جوعًا».

قال له يعقوب: «احلف لي الآن أن تعطيني البكورية».

نظر إليه عيسو باستغراب وحلف له، ووقفت اللقطة عند يعقوب وهو يمد يده بطبق العدس بينما عيسو يمد يده إليه، كانت اللقطة واقفة عليهما، بينما هناك بعض ذرات النار التي يطبخ بها يعقوب تتناثر في الخلفية.

«كانت البكورية هي أغلى شيء عند اليهود، يعطيها النبي لابنه الأكبر فيخلفه في الناس بعد موته، فاستغل يعقوب جوع أخيه واشتراها بطبق عدس أحمر».

صعدت الكاميرا بسرعة مع موسيقى ملحمية ونقلنا المخرج إلى لقطة أخرى تظهر إسحق العجوز وهو جالس ويبدو عليه الإعياء الشديد.

«ضعفت عين العجوز إسحق كثيرًا فلم يعد يرى إلا صورة ضبابية غير واضحة المعالم».

أرتنا الكاميرا لقطة مموهة كأنها من داخل عين إسحق الذي يفتح عينه ويغلقها بصعوبة ويرى كيانًا مثل رجل له شعر أحمر فقال له: «هل جئتني بطعام يا عيسو؟ أريد أن آكل، قلت لك إن تأتيني بالأكل الذي أحبه، هيًا يا بني حتى أعطيك البركة فيصير نسلك فوق نسل إخوتك ويستعبدهم».

أظهر المخرج لقطة للفتى يعقوب وهو متنكر في هيئة أخيه عيسو، فوضع على شعره صبغًا أحمر وارتدى ملابس أخيه، ووضع على ذراعيه جلد ماعز مشعر، واقترب من إسحق وهو يحمل له طعامًا كثيرًا من لحم مطبوخ، لكن إسحق قال فجأة: «هل أنت ابني عيسو؟ كيف جئت بالطعام بهذه السرعة، لقد أرسلتك قبل وقت يسير، كيف ذهبت واصطدت ثم طبخت في هذا الزمن اليسير».

قال يعقوب بصوت يحاول أن يجعله من صوت عيسو: «لقد يسّر لي الرب يا والدي».

كانت نظرة الشك تعتمر وجه إسحق فقال: «تقدَّم يا ولدي حتى أجسك لأعرف هل أنت ولدي عيسو أم لا».

تقدم الفتى يعقوب من أبيه الذي مد يده وأخذ يتحسَّس ذراعه ويشم ملابسه ثم قال: «الصوت صوت يعقوب، لكن اليد يد عيسو، أطعمني يا ولدي من اللحم الذي أحبه وصب لي خمرًا لأشرب».

ركّزت الكاميرا على وجه إسحق العجوز وهو يأكل بِنَهمٍ ويشرب الخمر ويعقوب ينظر إليه بحذر ويلتفت كل حين وراءه.

ولمَّا انتهى العجوز إسحق من طعامه قال بصوت أجش من كثرة الدسم: «ها أنا ذا أعطيك بركتي، لتكون سيدًا لإخوتك ونسلك يستعبد نسلهم».

اتسعت عينا يعقوب في فرح وارتياح، وكانت اللقطة التالية هي لعيسو الذي جاء من صيده وأصبح ينظر إلى أبيه ويقول له: «لقد أتيتك بالصيد يا أبي كما طلبت وطبخته لك».

فزع يعقوب فزعًا شديدًا وقال: «مَن. مَن أنت؟».

قال عيسو باستغراب: «أنا ولدك عيسو يا أبي».

ارتعدت عينا إسحق وهو يقول: «فمَن هو الذي جاء وأعطاني طعامًا وأخذ البركة، يبدو أن أخاك جاء بمكر يا ولدي وأخذ بركتك».

نظر عيسو إلى أبيه بغضب وقال: «لقد تعقبني يعقوب هذا مرتين؛ مرة أخذ مني بكوريتي، والآن يسرق بركتي».

ثم نظر إلى أبيه باستجداء وأمسك بيده وقال وهو يبكي: «يا أبي باركني مثلما باركت أخي يعقوب».

مطَّ العجوز شفتيه وقال: «لقد أخذها يعقوب وانتهى الأمر، أما أنت فبسيفك تعيش يا عيسو ولأخيك تستعبد».

تركت الكاميرا اللقطة على وجه عيسو المستجدي لأبيه وهو جاثٍ على ركبتيه، ودارت الكاميرا حوله كأنما الدنيا تدور به، ولا بدَّ أنه حقد على أخيه.

«هرب يعقوب من البلد خوفًا من عيسو أن يقتله، وساح في البرية عشرين سنة، ثم قرَّر أن يعود لعل أخاه يكون قد نسي، ودعا ربه أن ينجيه من فتك عيسو، فأراد الله أن يطمئن قلبه».

صورت الكاميرا يعقوب من ظهره بزاوية سفلية وهو يمشي وعصاه تحك على الأرض وينظر إلى السماء التي تحولت إلى اللون الأحمر وصارت سحبها تتحرك كأنها دخان، وكان يظهر وراء السحب الحمراء ظل كيان عملاق، كأنه إنسان بالغ القوة والبطش.

ضرب الرعد في السماء ووضع يعقوب ذراعه على رأسه اتقاء للضوء الساطع، بدأ الظل يقترب شيئًا فشيئًا ويدخل إلى مجال الرؤية حتى ظهر عملاق من بين السحب الدخانية.

«لم يكن يعقوب يعلم في تلك الليلة أنه سيتصارع من الله نفسه».

موسيقى شديدة الملحمية في الخلفية ورب اليهود قد تجسد في هيئة بشر شديد القوة، وخرج من بين السحب والرعد يضرب وراءه في قوة بالغة.

فجأة أصبحت الموسيقى أسرع، وانطلق رب اليهود بأقصى سرعته ناحية يعقوب عازمًا أن يهجم عليه هجمة تزلزل كيانه، ودارت الكاميرا حول المتقاتلين لتصبح خلف يعقوب الذي تلقى لكمة قوية من رب اليهود فبَطُؤت حركة الكاميرا، ووجه يعقوب تدفعه اللكمة إلى الخلف ونقاط الدم تخرج منه.

ثم عادت سرعة اللقطة للسرعة العادية ويعقوب يسقط على الأرض في ألم، ثم صوَّرت الكاميرا يدًا غاية في القوة تمسك يعقوب من تلابيبه وترفعه إلى الأعلى، لكن في هذه الرفعة صوَّرت الكاميرا يد يعقوب وهي تمسك

بالعصا، ثم يدفع يعقوب نفسه إلى الخلف وهو ممسك بالعصا بكلتا يديه ويرفعها لتضرب ذقن رب اليهود الذي فوجئ من الحركة، واندفع إلى الخلف لكنه لم يسقط.

ولم يمهله يعقوب إذ ركض ركضة قوية أحسنت الكاميرا متابعتها وقدمه تقفز من الأرض، ثم تستقر على صخرة فقفز يعقوب منها في الهواء في منظر ملحمي وهو يرفع عصاه ناحية رب اليهود والسحب الحمراء وراءه.

وأمسك يعقوب بالعصا بكلتا يديه ودفعها كأنها رمح في صدر رب اليهود الذي اخترقت العصا صدره، وطار إلى الخلف وسقط على الأرض، فقفز عليه يعقوب وأظهرت الكاميرا وجهه الغاضب وهو يكيل اللكمات لرب اليهود باليمين والشمال وصوت الرعد يضرب في الخلفية وموسيقى آهات المحاربين تعمل بأقصى قوتها.

وهطلت الأمطار على ذلك المشهد فصورها المخرج تنزل بسرعتها العادية، بينما يعقوب يكيل اللكمات لرب اليهود بالسرعة البطيئة، حتى أعاد المخرج السرعة العادية ويعقوب يمسح عرقه في إنهاك، فنظر إليه رب اليهود الساقط على الأرض وقال له: «لم أقدر عليك يا هذا، أطلقني، فقد طلع الفجر».

صورت الكاميرا طلوع الفجر وراءهما وظلالهما تعلو على أرض المعركة، قال له يعقوب: «لن أطلقك حتى تباركني».

فقال له رب اليهود: «ما اسمك؟».

نظر له يعقوب وقال: «اسمي يعقوب».

فقال له رب اليهود: «لا يدعى اسمك يعقوب بعد الآن، بل يكون اسمك هو إسرائيل، لأنك صارعت الله فصرعته».

«وأصبح إسرائيل هو والد اليهود فأصبح اسمهم بني إسرائيل، وبعد هذه الحادثة عاد إسرائيل لأخيه عيسو وهو ما زال خائفًا من بطشه رغم كل هذا».

صوَّرت الكاميرا عيسو من ظهره وهو ينظر إلى البرية وشعره الأحمر يتطاير خلفه، حتى ظهر يعقوب، فابتسم عيسو ابتسامة جميلة مسامحة.

وفرد يعقوب ذراعيه يمينًا وشمالًا فركض عيسو إلى ناحيته واحتضنه بكل حب وبكى.

إلى هنا انتهى هذا المشهد، وهو من خباثته لا أجد تعليقًا مناسبًا.

هذا المخرج هو بالطبع جاك شنايدر الشهير بإخراج أفلام الأبطال الخارقين وتصوير قتالهم، ولم يكن أنسب منه هنا، فيعقوب هنا يقاتل الله نفسه، ولقد حاول مفسرو الكتاب الهرب من هذا وتحوير الأمر إلى أن يعقوب كان يقاتل ملاكًا، لكن النص لم يساعدهم فكلمة إسرائيل معناها مصارع الله، ويعقوب سمى ذلك المكان فنوئيل يعني مواجهة الله، لكن الفكرة ليست في مواجهة الله من عدمه، بل في تلك الخدعة الخبيثة التي سرق بها يعقوب البركة وصار نسله له الحق أن يستعبد نسل عيسو وهم الأدوميون يعني أهل سيناء، وفكرة أن هناك شيئًا يدعى البركة يعطى إلى شخص فيكون سيدًا على شعب ويستعبدهم هي فكرة غاية في الحقارة والقذارة، فضلًا أن يسرقها يعقوب بهذه الطريقة ويستحلها لنفسه، بالطبع هذا الكلام مكتوب في نص التوراة ولم يأتِ الذكاء الاصطناعي من معلومات خارجية، فاليهود يعترفون أن أباهم يعقوب هو لص، وقد صارع الله وصرعه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأن الله بريء من المشركين ورسوله.

***

رجل يركض بأقصى سرعة في الغابة هاربًا، والكاميرا تتابعه بطريقة غير طبيعية حتى تكتشف أن الرجل يهرب من الكاميرا، وكأن هذه الكاميرا كائن يلاحقه بإصرار ليفتك به، كان الرجل يتعثر ثم يقوم بسرعة ويركض أسرع ويقفز حول الأغصان، لكن الكاميرا لم تكن تتركه. كانت تنحني من أسفل الجذوع وتدور حول الأشجار، كان هناك صوت مثل صوت الحية ينبعث في الأجواء والرجل ينظر إلى الكاميرا في رعب وكأن هذه الكاميرا هي الحية.

فجأة اختفى الرجل كأنما تمكّن من الاختباء ووقفت الكاميرا تنظر يمينًا وشمالًا.

عندما نظرت الكاميرا يمينًا ظهر رجل آخر وهو يتراجع برعب ثم يتعثر ويسقط على ظهره فتنقضُّ عليه حية أخرى حمراء اللون وتغرز أنيابها في عنقه وهي تصدر صوتًا غاضبًا.

وعندما نظرت الكاميرا إلى اليسار وجدت رجلًا ثالثًا خائفًا ينظر حوله في رعب كأنما يبحث عن حية كانت تطارده، ولم يدرِ أن هناك حية تنزل إليه من أعلى غصن الشجرة لها عين حمراء بلون الدم التفت حول عنقه بسرعة وتمكَّنت منه ونهشته في رقبته.

وفجأة ظهرت رأس ذلك الرجل الذي كان يركض من الكاميرا، كان مختبئًا وطرف رأسه ظاهر.

هرعت إليه الكاميرا بسرعة كأنها حية حقيقية، لكنه انتبه وهرب مرة أخرى، وبدأ يصعد على تلة من التلال والكاميرا تصعد وراءه حتى وصل إلى أعلى التلة لكنه تعثَّر وسقطت قدمه قليلًا، وكانت هذه العثرة نهايته.

برز لسان الحية من داخل الشاشة كأنما ينبعث من داخل الكاميرا وانقضَّت على قدم الرجل، وهنا تغيَّرت الكاميرا لتريك حية حمراء تفتح أنيابها في غضب وتغرزهما في قدم الرجل الذي صاح من الرعب والألم وتمسك بأعلى التلة وتسلقها بصعوبة، وأخذ يزحف على القمة المستوية الواسعة، لكنه لم يكن وحده، كان هناك رفاق كثيرون على القمة كلهم ساقطون على الأرض بعضهم يتلوى، وبعضهم همدت حركته تمامًا.

أظهر لك المخرج المنظر من الأعلى بمنظور عين الإله لأمة كاملة من البشر ساقطون على الأرض يحتضرون، حركاتهم بطيئة وهناك جيش من الحيات يتحركون بينهم في غضب.

ثم ظهر رجل من كتفه والكاميرا وراءه وهو ينظر إلى كل هذا، ثم رفع عصا نحاسية كبيرة مصنوعة على شكل حية وغرزها في الأرض، ثم قال: «يا بني إسرائيل، كل من لدغته الحيات فلينظر إلى هذه الحية النحاسية وسيحيا».

مشى ذلك الرجل الذي يحمل تمثال الحية في وسط القوم ورفعها في منتصفهم، وبدأت أعين الناس ترتفع لتنظر إليها.

وجاءت لقطة لذلك الرجل الذي هرب من الكاميرا أول مرة، وهو يرفع رأسه المرتجفة حتى نظر إلى تمثال الحية النحاسية، وبدأ لون جلده يتحسن بعد كان أزرقَ وكاد أن يموت من السم، وركزت الكاميرا على وجه تمثال الحية النحاسية الذي يلمع في ضوء النهار.

ارتفعت الكاميرا مرة أخرى لتريك المنظر من أعلى الرؤوس، والرجل يمسك التمثال ويمشي بين آلاف الجثث البشرية التي بدأت تتحرك شيئًا فشيئًا وترفع أياديها ناحية الحية، كان الرجل الذي يمسك بالحية النحاسية هو النبي موسى، كما تصوره التوراة.

ثم توسطت الشاشة كلمة «فيلم من إخراج جيمس كاميرون».

بدأ الفيلم يعرض مشاهد بانورامية للغابة بكاميرا دوارة بطريقة رائعة يتخللها موسيقى من ذلك النوع الذي يتخلل المشاعر ويشعرك بالعظمة، كانت الكاميرا تريد أن تريك أنه بعد نهاية تلك الغابة هناك أمة كاملة تعيش بحضارتهم ومساكنهم ومعابدهم ونسائهم وأطفالهم، وكان لهم رداء أبيض مميز يبدو أنه زيهم الرسمي.

ثم جاءت لقطة لفتاة غاية في الجمال ترتدي زيًا أبيض وتمشي وسط الغابة في مكان يتخلله الزهور، ثم نظرت بشيء من الاهتمام ناحية شيء ما وهي تتطاول.

كان ذلك الرجل الذي هرب من الكاميرا في اللقطة الأولى جالسًا على الأرض مستندًا إلى شجرة ويبدو غاية في الحزن والهم.

نظر الرجل إلى رداء الفتاة، ثم رفع عينيه إلى وجهها ليجدها تبتسم له وتقول: «ما اسمك؟».

قال لها بشيء من اليأس: «اسمي زمري».

قالت له دون أن يسألها: «وأنا اسمي كزبى».

لم يعلق الرجل وظل ينظر في الأرض حتى مدت له يدها فنظر لها بدهشة، ومد يده إليها فقالت: «لا تسمح لهذا الحزن يحطم فؤادك، تعال معي».

وبكاميرا علوية كنا نرى الفتاة وهي تسحب ذلك الرجل من يده وتخرج به من الغابة إلى مدينتهم الكبيرة التي ظهر اسمها في جانب الشاشة «مدين».

ظهرت موسيقى لطيفة في الخلفية والفتاة تأخذه إلى شيء يشبه النادي وفيه ما يشبه الاحتفال وأناس يرقصون رقصات شعبية وأصبحت الفتاة تلاعبه وترقص معه وهو ينظر حوله إلى الناس المحتفلين في خجل، ثم يتجاوب معها ويبدأ في الرقص بالطريقة الشعبية للمديانيين.

ولما أتى المساء كانا يجلسان وضوء القمر يظهر في وجهيهما وهي تقول له: «زمري، أتريد أن أريك شيئًا أفضل من كل ما سبق؟».

قال لها: «وهل هناك ما هو أجمل منك يا كزبى».

مدت يدها له وجذبته وهي تضحك.

تحولت الموسيقى إلى إيقاع يعطي إحساسًا بالخطورة وهناك كاميرا علوية واسعة يظهر فيها أكثر من ألف شخص يركعون ويسجدون وينشدون لتمثال بشع له قرنان، كانت الفتاة كزبى تجذب زمري وهو لا يريد المشي ويجذبها، لكنها كانت تنظر له وتضحك وتقربه أكثر من ذلك تجمع المتعبدين، تمنع الرجل لأنه كان يهوديًا وقال لها: «سمعت أنكم تضحون بأطفالكم من أجل هذا الصنم».

أمسكت المرأة به فجأة وقبلته بقوة في وسط هذا الاحتفال وقال: «وبماذا أنت ستضحي من أجلي ؟».

قال لها مسحورًا: «كل شيء لأجلك أنت، لكن ليس لهذا الصنم».

فنظرت له وقالت: «إذن فلتفعل كما يفعل هؤلاء، من أجلي».

تردد الرجل لحظة لكنها كانت تلمس يده في إغواء فبدأ يقلد المحتفلين ويركع ثم يرفع رأسه ثم يركع للصنم، وركزت الكاميرا على وجه التمثال الذي له قرنان كانا يلمعان في ضوء القمر.

هناك مشهد محذوف لزمري وحبيبته المديانية يمارسان الفجور، ثم بدأ مشهد آخر وزمري يسحبها في الغابة يريد أن يذهب بها إلى قومه اليهود وهي تحاول أن تتمنع لكنه يسحبها عنوة.

وصل زمري إلى المكان الذي فيه قومه اليهود، وكان أول مشهد يقابل عينيه مفزعًا جدًّا رأى رؤساء اليهود الكبار كلهم مقتولين مصلوبين على أخشاب أمام عين الشمس.

صوت نبضة قلب في الخلفية.

كان يمشي وينظر حوله في رعب وهو يمشي مع حبيبته المديانية وسط عشرات المصلوبين حتى وصل إلى خيمة الاجتماع اليهودية. التي عندها موسى.

وجد هناك جمع من الناس يبكون فنظر إليهم في استغراب واقترب من جماعة منهم وقال: «ما الذي حصل هنا يا أخي؟».

قال أخوه في حزن: «أيها الأرعن ألم تعلم؟ لقد أمر موسى بتعليق كل رؤساء اليهود، ثم نزل وباء عظيم قتل المئات من الشباب».

قال زمري بدهشة: «ولمَ كل هذا؟».

قال له أخوه: «لقد أرسل المديانيون بناتهم عمدًا لإغواء شباب اليهود حتى ذهبوا إلى مملكتهم وزنوا بهن وسجدوا لإلههن».

صوت نبضة قلب في الخلفية.

توتر زمري جدًّا ونظر إلى كزبى في دهشة ممزوجة بالغضب، فنظر أخوه إلى كزبى واتسعت عيناه في ارتعاب وهو يسأل: «زمري، هل هذه الفتاة هي؟».

وفجأة قبل أن ينطق زمري بكلمة اخترق صدره رمح قاس يمسك به رجل غاضب وهو يقول: «اللعنة عليك، أتأتي بنجاستك في وسط الشعب».

حاولت كزبى المديانية أن تهرب لكن الرجل الغاضب ألقى بخنجر فطعنها في ظهرها فسقطت بجوار زمري ميتة.

هنا بدأت موسيقى توحي بالخطورة وموسى يخرج من خيمة الاجتماع ويقول للرجل الغاضب: «بسبب غيرتك هذه وقتلهما فقد كُفِّر ذنب بني إسرائيل وتوقف فيهم الوباء المميت».

ثم قال موسى لجنوده: «ولأن المديانيين قد احتالوا علينا هذه الحيلة فالله يأمركم أن تذهبوا وتنتقموا منهم».

كان المخرج لا يظهر موسى إلا من ظهره كأنه يخاصمه أو كأنه يظهره بمظهر الديكتاتور.

اشتغلت موسيقى حربية وارتفعت الكاميرا لتظهر جنود اليهود يركضون على أحصنة لهم بسرعة وعزم متجهين إلى مملكة مدين رافعين سيوفهم، ونزلوا على شعب مدين قتلًا وذبحًا بلا رحمة، قتلوا الرجال والشيوخ بأمر الله وأحرقوا المدينة بجميع مساكنها ومعابدها وحصونها وحدائقها، وتفنن المخرج في إظهار لقطات القتل، بين رأس يطير من ضربة بالسيف إلى رجل يحترق ويصرخ في ألم، إلى شيخ يهرب زاحفًا في الأرض فيأتي اليهودي ويغرز رمحًا في رأسه فيكسرها.

ثم اشتغلت موسيقى فيها شيء من الشجن، وذلك الجيش اليهودي يسير وراءه آلاف الأطفال والنساء أُخذوا أسرى وهم يمشون في ذل وحزن حتى وصلوا إلى موسى الذي صُوِّر من ظهره أيضًا وهو ينظر إلى الأسرى والسبايا فوضع عصاه في الأرض بغضب شديد وقال: «ما هذا؟ هل أبقيتم النساء ولم تقتلوهن؟ إنهن سبب إغواء الشعب».

نظر إليه الأسرى من النساء والأطفال في رعب وهو يرفع صوته ويقول: «اقتلوا كل هؤلاء الأطفال الذكور، واتركوا الأطفال الإناث يخدمونكم، واقتلوا كل هؤلاء النساء».

وكانت مجزرة يستبشع المرء أن ينظر إليها حتى في فيلم.

أتباع موسى يسحبون الأطفال الرضع من أيادي أمهاتهم ويقطعون رؤوسهم ثم يقتلون الأمهات في عنف، ويحاول الأطفال الهرب لكن اليهود يلحقونهم بالرماح، وسالت دماؤهم البريئة جميعًا تحت أقدام اليهود الغاصبين وموسى الذي أدار ظهره لكل هذا وبدأ في تقسيم الغنائم.

أنهى جيمس كاميرون مشهده على لقطة أخيرة لذلك التمثال الحية النحاسية المنصوب في أعلى التلة هناك، ويمكنك أن ترى تقتيل الأطفال والنساء من بعيد.

بالطبع لم يكن هذا هو كل قتل الأطفال الذي في التوراة، بل هذا فقط البداية ولو أفسحنا لكاميرون المجال لأكمل الفيلم بأكمله يعرض دماء الأطفال.

المديانيون هم أهل شمال الجزيرة العربية فقط، لكن موسى بعد هذا في التوراة قاد حربًا ضد الأموريين أهل الأردن وضد باشان أهل الجولان، وأحرق بلادهم كاملة بأمر رب اليهود، لم يأسروا أحدًا، بل قتلوا الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بأمر رب اليهود، وهذا يعني نحو مئة مدينة مليئة بالبشر والأطفال حتى آخرها.

المشكلة أن موسى نفسه عندما هرب من فرعون في شبابه هرب إلى مدين وتزوج امرأة مديانية هي صفورة وأنجب منها ولدين، ورغم هذا أباد أهل مدين عن بكرة أبيهم بهذا الشكل، وفي هذا أكبر معاني الخسة والدناءة التي يعف أن يفعلها طاغية فاجر.

لكنه أكبر نصر للشيطان حينما يصور لك موسى بهذه الصورة وهو من أولي العزم من الرسل وهو يبيد شعوبًا كاملة من على وجه الأرض، بل إن هناك فرحة أكبر للشيطان هنا، حينما جعل موسى يصنع للشعب حية نحاسية بأمر الله، ويقول للناس من ينظر إليها سيحيا، وما الحية في التوراة إلا رمز للشيطان.

ولما مات موسى جاء بعده قائد جيوشه يشوع الذي فاز بلقب أكثر يهودي دموي في تاريخ الكتب، فقد أباد كل شعوب أرض الشام كلها بلا استثناء، رجالًا وأطفالًا ونساءً وشيوخًا وحتى الحيوانات قتلها كلها، وهذه المذابح ليست مبالغة منا، بل هي نص صريح يأمر الربُّ في التوراة شعبه اليهود أكثر من عشر مرات بأن يبيدوا المدن باستخدام عبارات مثل «اقتلوا كل ذكر

من الأطفال»، أو «حرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة طفل وشيخ حتى الغنم والبقر والحمير بحد السيف».

وليس هناك أسوأ من تصوير التوراة للنبي داوود الذي جعلوه زانيًا بزوجة أوريا الحثي قائد جيشه.

وجعلوا داوود مختلًا حيث قطع العضو التناسلي لمئتي مقاتل فلسطيني هزمهم، ثم أخذ من كل عضو تناسلي جلدة الختان، وقدم مئتي جلدة ختان فلسطيني مهرًا لابنة الملك شاول.

وجعلوا داوود مجرمًا سفّاحًا حينما هجم على شعب العمونيين أهل الأردن ونشرهم بالمناشير ونوارج الحديد والفؤوس.

وإذا سألتهم عن هذا قالو لك إن هؤلاء الشعوب الوثنية الشريرة كانوا يضحون بأطفالهم لأجل الأصنام فوجب على الرب معاقبتهم. رغم أن الحل المنطقي هو أن يأمر الله بحرب هذه الشعوب المجرمة وإنقاذ الأطفال، لكن التوراة لديها حل أكثر راحة، اقتلهم وأطفالهم وأغنامهم وحميرهم وبهائمهم وأحرق بيوتهم ومزارعهم.

وليس هناك أسوأ من المجرم إلا الذي يبرر له إجرامه، فلو رأيت أي إنسان يبرر قتل الأطفال والعزل فاعلم أنه يدعو لعقيدة الشيطان، فالشيطان وحده يقلب الباطل إلى حق، تعالى الله عن هذه الحقارة التي كتبوها وألصقوها بنبي الله موسى ويشوع وداوود عليهم السلام، فالحرب التي دخلها هؤلاء الأنبياء كانت مثل أي حرب شرعها الله، جنود يحاربون جنود، أما العزل والأطفال والنساء فلا دخل لهم، لكن جنود يبيدون الرجال والأطفال والرضع والبهائم بأمر الرب وينشروهم بالمناشير، فهؤلاء ليسوا عبيدًا لله، وهذا الكتاب ليس كتاب الله، بل إن الشيطان لو أراد أن يكتب كتابًا لم يكن ليكون أبشع من هذا.

انفتحت أضواء القاعة وبدأ الستار يغلق، لقد انتهى الفيلم واللعبة، أعرف أن نفسك امتلأت بالمشاعر السيئة بعد هذه المشاهد، وربما تكون سمعت عنها هنا أو هناك لكن لم تَرها بهذا الوضوح من قبل، كان هذا الكتاب المسمى

زورا التوراة هو بداية عهد طويل من الدم والحروب، لأن النفوس التي كتبته هي نفوس مشوهة، والنفوس التي صدقته وقرأته على أنه كلمة الله هي نفوس تشوهت وأصبحت تعيش في ألم نفسي يجعلها تحاول تبرير كل هذا بأي طريقة.

هناك مواضع في التوراة أشد سوءًا مما شاهدت في الفيلم.

عندما ترى الرب يأمر النبي أشعياء أن يمشي مكشوف المؤخرة مدة ثلاث سنوات كاملة.

وترى الرب يأمر النبي هوشع أن يذهب ويأخذ لنفسه عاهرة زانية لأن الشعب قد أجرم وعبد الأصنام.

ويوناداب الذي وصفته التوراة أنه حكيم جدًا لما وضع خطة قذرة لأمنون بن داوود ليزني بأخته ثامار بنت داوود.

والنبي اليسع الذي جاءته امرأة بابنها الميت فأخذه إلى الغرفة العلوية وأغلق الباب عليهما ورقد فوق الصبي وتمدد عليه فوضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وواصل صلواته حتى سخن جسد الصبي وعاد للحياة.

وشمشون الذي قتل ألف فلسطيني باستخدام فك حمار فقط لأن روح الرب حلت عليه، ورغم هذه الروح الربانية فإنه زنا بعاهرة اكتشفت أن سر قوته في شعره فحلقت له فذهبت قوته.

ودائمًا تجد الرب يشبه نفسه في التوراة بتشبيهات مخزية لو أن شيطانًا رجيمًا ألف كتابًا ما وضع فيه تشبيهات كهذه، فمرة يشبه نفسه بالخروف، ومرة أنه يبكي بنحيب مثل الثعالب وينوح مثل النعام، ومرة يشبه نفسه بالعث (الدودة) والسوس، أو كجبار سكران من الخمر، ومرة أنه من غضبه يخرج النار من أنفه وينفث نارًا من فمه، ومرة أنه زوج الأمة اليهودية الزانية العاهرة، ويصف عهرها وزناها وجسدها بطريقة بالغة الفحش، ومرة أنه يحب رائحة شواء الذبائح اليهودية.

إن التوراة الحقيقية هي التي جاء بها موسى عليه السلام وكان فيها هدى ونور، وبعد أن وهب الله سليمان الملك العظيم كان يقرأ التوراة لليهود كما أنزلها الله، لكن بعد موت سليمان تفككت مملكة اليهود، ثم نزل عليهم البابليون بقيادة نبوخذ نصر ودمروا المسجد الأقصى الذي بناه سليمان، وضاعت التوراة.

ثم جاء ملك من الملوك اسمه كورش الكبير وهو أول ملوك مملكة فارس، هزم البابليين الذين يستعبدون اليهود، وحرر اليهود وأعادهم إلى الأرض المقدسة فأعادوا بناء المسجد الأقصى مرة ثانية، وأرسل الله إليهم «عزرا الكاتب» فأخرج لهم التوراة التي ضاعت.

وفي عهد كورش الفارسي اختار بعض اليهود أن يبقوا في بابل، ولا يذهبوا إلى الأرض المقدسة، وهؤلاء أصبح اسمهم في مملكة فارس يهود أصفهان، ولهم شأن آخر ستعرفه عند رفيق آخر.

المهم أن اليهود بعد موت عزرا انتكسوا مرة أخرى وتركوا عهد الله واجتمع منهم سبعون شيخًا هم رؤساؤهم وحرفوا التوراة التي جاء بها عزرا، وأخرجوا هذا الكتاب المشوَّه للقلوب والعقول الذي شاهدته منذ قليل.

وفي كتابهم المحرف أصبحوا يصفون المسجد الأقصى الذي بناه سليمان بأوصاف غريبة فلم يعد فيه محراب للصلاة، بل مذبح يذبح اليهود عليه الذبائح التي يذبحونها ويرشون دماءها على المذبح، ثم يحرقونها كلها حتى تتفحم لتبعث رائحة سرور للرب كما يقولون، كما يقولون، يحرقون حيوانًا على المذبح في الصباح وحيوانًا في الليل كل يوم، ولا تدري ما الغرض من ذبح كائن وحرقه هكذا وعدم إعطاء لحمه للفقراء مثلًا، وذبائح أخرى يذبحونها على المذبح ويأكلون منها هم ولا يعطون منها للفقراء شيئًا، وكل هذا الذبح والحرق ادَّعوا أنهم عملوه بأمر الله في مكان يُدعى الهيكل.

فسلط الله عليهم الرومان فهزموهم ودمروا المسجد الأقصى، وتشتت اليهود في الأرض.

ثم عاد اليهود وعملوا ثورة كبيرة على الرومان، واستردوا أرضهم وكادوا يبنون الهيكل المزعوم، لكن الله أبى أن يطلع في هذا المكان المقدس بناء شيطاني تحرق فيه الذبائح لأجل إله تطيب له رائحة الدم والحرق، فنزل عليهم الرومان مرة أخيرة وهزموهم وأبطلوا ثورتهم فتشتتوا في الأرض من يومها حتى ظهور كيان إسرائيل الهمجي الغاصب في العصر الحديث.

وحتى بعد شتاتهم في الأرض ترجم اليهود التوراة من لغتها الأصلية العبرية إلى اليونانية حيث اجتمعوا في جزيرة فاروس وأخرجوا للعالم أول ترجمة للتوراة باليونانية حتى يقرأ العالم سمومهم، وكان اسمها الترجمة السبعينية.

ثم اجتمع هؤلاء السبعون مرة أخرى، وكتبوا كتابًا أكثر بشاعة اسمه التلمود، ادعوا أن فيه الأسرار الشفهية التي أنزلها الله إلى موسى وكان يلقيها سرًا إلى الكهنة السبعين جيلًا بعد جيل، ولو أنك فتحت هذا التلمود ستجد أشياء كريهة جدًا.

وهذه بعض السطور منه.

« إذا أراد اليهودي أن يفعل شرًا فيجب عليه أن يخرج إلى بلد لا يعرفه أحد فيها ليفعل هذا الشر».

«رغم أن غير اليهود يحاكون اليهود في الجسد الإنساني فإن مقارنتهم باليهود هي مثل مقارنة الإنسان بالقرد».

«الجنس بين غير اليهود هو مثل الجنس بين الحيوانات لا فارق».

«المرأة الحامل غير اليهودية لا فرق بينها وبين أنثى الحيوان الحامل».

«عندما تقتل غير يهودي فأنت تقدم قربانًا للإله».

«عندما تجد شيئًا ضائعًا من شخص غير يهودي، ليس عليك إرجاعه».

«عندما يقتل اليهودي غير اليهودي، ليس عليه عقاب».

«ما يسرقه اليهود من غير اليهودي، يمكنه أن يحتفظ به».

«كل أطفال الأمميين حيوانات».

وكثير غير هذا لا يتسع الوقت لذكره.

دعك من التلمود قليلًا، المشكلة التي حدثت بعد ذلك هي أن المسيحيين أيضًا قد آمنوا بهذه التوراة البشعة، واعتمدوا على الترجمة السبعينية وجعلوها هي الجزء الأول من الكتاب المقدس المسيحي وسموها العهد القديم، وسموا الإنجيل العهد الجديد.

ولا أدري كيف يثق المسيحيون في أخذ كتابهم المقدس من شعب وصفهم المسيح في الإنجيل أنهم قتلة الأنبياء، شعب تآمر على المسيح ليسلمه إلى الرومان.

وكان يمكن ببساطة أن يعترف المسيحيون أن الله نزّل التوراة على موسى، ثم حرَّف اليهود فيها وبدلوا فأصبح فيها آيات من وحي الله استشهد بها المسيح والتلاميذ بينما فيها آيات مكذوبة شيطانية.

لكن قديسهم بولس قال لهم: «كل الكتاب موحى به من الله».

وبولس هذا كان يهوديًا يحارب الحواريين، ثم أصبح من أتباع المسيح وطبيعي أن ينصر التوراة كتاب اليهود المحرف بكل سطر فيها ولا يترك منها شيئًا.

ولقد كانت التوراة عند اليهود أو العهد القديم عند المسيحيين شرارة خطرة، فلم يعد العالم بعدها كما كان قبلها قطُّ.

الفصل الثاني
متحف السبعين

أنا أشفق على جفونك المنتفخة التي تبدو كأن الدم سيتساقط منها، معذرة على ما شاهدته عند رفيقي، تأكد أن الجو الذي جهزته لك سينسيك كل شيء، ربما ينسيك حتى اسمك، انظر إلى هذه الإضاءة الزرقاء الخافتة التي تنبعث من محيط السقف، وهذه اللوحات المنتظمة على الجدران بأناقة وكل لوحة تشع ضوءًا خفيفًا مريحًا للعين. بمناسبة اللوحات، أنا الرفيق «ل» وأنت في متحف السبعين.

قبل أن تلعب هذه اللعبة لا بُدَّ أن أحضرك نفسيًا حتى تفهم وتتقبل ما ستراه، رغم أنه سيأتي جيل ربما في أحفادك سيعتبر هذه اللعبة من الأمور العادية، عندها ستتذكرني.

الذكاء الاصطناعي ذلك المارد المجنون سيغزو عالم اللوحات وستنشأ فكرة اللوحات الحية، وحتى تفهم فكرتها دعنا نتخيل أنك ذهبت إلى متجر اللوحات في ذلك الزمن، واشتريت لوحة من اللوحات الحية، اللوحة تمثل فتاة ريفية جميلة، أعجبتك اللوحة، علقتها عندك في المنزل، النسيج المصنوعة منه اللوحة ليس هو نسيج الكانفاس العادي الذي ترسم عليه اللوحات الزيتية بل هو نسيج من نوع آخر، نسيج ذكي يشبه شاشة البلازما الرقيقة جدًا.

تتغذى اللوحة بذكاء اصطناعي بصري مسجل فيه كافة معلومات اللوحة، اسم هذه الفتاة ومن أي عصر هي، وفي أي بلد تعيش، وإن كان لها قصة يعرفها الرسام الذي رسمها، كل هذه المعلومات يأخذها الذكاء الاصطناعي، ويبدأ في جعل هذه الفتاة الجامدة في اللوحة إلى شخصية حية يمكنها أن تتحرك وتنظر يمينًا وشمالًا، وربما تعطس وتتكلم معك وتسمع منك، فكرة أفلام الرعب التي تصور اللوحات تتحرك لن تكون مرعبة بعد اليوم بل ستصير عادية، ويمكنك أن تمر على اللوحة في الغد فتجد هذه الفتاة تنظر إلى السماء بعين حالمة، ثم تعود فتجدها جالسة متربعة وتلعب في الأرض، الأمر سيكون مرعبا جدًّا في البداية لكن البشر يعتادون أيَّ شيء بعد عدة شهور كما اعتادوا التلفزيون بعد أيام قليلة من تجربته.

يمكنك أن تحرك زرًّا في جانب اللوحة فتثبت اللوحة وتكف عن التحرك، وتحرك الزر مرة أخرى فتتحرك الفتاة وتتعرف عليها فتعرف اسمك وربما تحكي لها ما يشغلك وربما تحكي لك، وما هي إلا شخصية مصنوعة بذكاء اصطناعي متقدم جدًّا.

ليس هذا فقط بل هناك المزيد.

طفلك عندما يرسم رسمة بدائية طفولية لشيء يبدو أنه إنسان مثلًا، ثم تسأله من هذا يا صغيري؟ فيقول لك هذا اسمه زين مثلًا، في الأيام الحالية ستطبع قبلة على جبين طفلك وتبتسم لهذه البراءة، لكن في تلك الأيام يمكنك أن تأخذ رسمة زين هذه وتصورها بجوالك وترسل الرسمة إلى اللوحة الحية فتعرض لك اللوحة رسمة طفلك، ثم تدخل معلومات هذا الكائن للوحة حتى تتعرف عليه، اسمه زين وعمره مثلا 7 سنوات كما يقول لك طفلك، وتسأل طفلك عن معلومات إضافية فيعطيك، فتدخل كل هذا في اللوحة وتضغط ذلك الزر، وفي ثوانٍ يتحول زين الرسمة البدائية إلى كائن يتحرك ويلاعب طفلك وربما يعلمه القراءة والكتابة أو حتى الرسم.

أنا أحاول أن أجعلك تفهم ما نحن مقبلون عليه، هناك لوحات عالمية رسمها فنانون لتجسد مشهدًا مهمًّا من مشاهد التاريخ، هذه اللوحات تملأ المتاحف اليوم مثل لوحة العشاء الأخير لدافنشي التي تصور المسيح في

آخر عشاء له مع الحواريين، هذه اللوحات يمكن أن يحولها الذكاء الاصطناعي إلى لوحات حية، تدخل فيها معلومات اللوحة وأسماء الشخصيات والقصة التي تتكلم اللوحة عنها، فتعرض لك اللوحة الحية الأشخاص وهم يتحركون وكأنهم يصنعون نفس هذا المشهد ومشاهد أخرى تتعلق به كأنك فتحت نافذة على التاريخ حرفيًا.

مرحبًا بك في متحف السبعين ولا تسألني عن معنى الاسم الآن لكن لا تقلق هو لا يعني أن هناك سبعين لوحة، ففي هذا المتحف جمعنا فقط تسع لوحات عالمية معروفة كل واحدة منها تجسد مشهدًا مهمًا من مشاهد التاريخ، مشهدًا لا ينسى، ليس المهم هو أن ترى اللوحات لكن المهم أن تراها بالترتيب الموضوعة به، لأن هذا الترتيب يكشف الأمر ويجعلك تفهم.

أي أمر؟ وماذا أريدك أن تفهم؟

رفيقي أخبرني أنك كنت تتساءل عنده ماذا يمكن أن يفعل اليهود بكتاب دموي مثل توراتهم. حسنًا، في هذا المتحف ستعرف.

دعني أخذ دور مرشدي المتاحف وأخبرك بمقدمة في سطرين قبل أن نبدأ.

أنت سمعت بالتأكيد أن اليهود قتلة الأنبياء لكن ما لم تعلمه هو أن قتل الأنبياء لم يكن عشوائيًا بل منظمًا.

ستتعلم هنا أن الذين وراء قتل الأنبياء هو تنظيم إجرامي من سبعين رجلًا، هل تذكر السبعين الذين كتبوا التوراة؟

أنا أحدثك عن أقذر سبعين مجرمًا أنجبتهم البشرية وستعرف بنفسك صدق كلامي بعد قليل.

لا مجال لمزيد من الأسئلة، تعالَ معي لنبدأ اللعبة.

نقف أمام أول لوحة، انظر إلى جمالها، هذا الشيخ في المنتصف هو موسى يقف بلحيته البيضاء الطويلة وهو يشير بيده لجمع غفير من الشيوخ أصحاب اللحى البيضاء، وهناك ما يشبه السحاب الغريب في السماء، اللوحة من إبداع الفنان الهولندي جاكوب دي ويت Jacob de Wit واسمها «موسى

يختار سبعين شيخًا» «Moses elects the Council of Seventy Elders». معذرة لا بُدَّ أن أكتب لك اسم اللوحة والفنان حتى إذا أردت أن تشاهدها لاحقًا بالبحث.

لوحة جميلة مثل لوحات عصر النهضة، انظر ماذا سيحدث عندما أضغط هذا الزر في جانبها.

بمجرد أن ضغطنا الزرَّ بدأ الشيوخ في اللوحة يتحركون واستدار موسى وتحركوا يمشون وراءه، سبعون شيخًا يهوديًا يسحبون عباءاتهم ويسيرون خلف أذيال بعضهم فوق جبل سيناء.. ذاهبون إلى رؤية الله نفسه، أمامهم النبي موسى الذي يتقدمهم وكله خشية من الله. كلماتهم تتردد في ذهنه ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾، عقولهم المادية وهواهم الوثني كان يرفض أن يؤمن بأي شيء غير مادي، كانوا قبل ذلك في مصر تثير شغفهم عبادة أوثان قوم فرعون حتى أتاهم هذا الرجل «موسى» الذي يدعوهم لعبادة الله الواحد.

فجأة وقف موسى مكانه ووقف السبعون ينظرون إلى السماء التي تراكم سحابها فوق بعضه وصار أسود من لون عباءاتهم، ارتعبت ملامحهم وهم يسمعون صوت السماء أو غضب السماء، ذلك الذي يسبق الرعد، عقولهم الكافرة هيأت لهم أن الله نفسه سيظهر لهم من السماء وسيسمعون صوته، لكن كل ما سمعوه وقتها هو صوت كارثة، نزلت على رؤوسهم فخروا ميتين على الفور، ووجد موسى نفسه وحيدًا بين سبعين جثة ملعونة.

نزل موسى على ركبتيه ورفع يده بالدعاء:

- يا رب ماذا أقول لقومي وقد أهلكت خيارهم، أفأرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد؟!

ظل موسى يدعو ويبكي حتى استجاب له ربه وأحيا له السبعين رجلًا هؤلاء فقاموا ولا يدري أحدهم ماذا حل به.

وحتى تعلم مَن هؤلاء السبعون بالضبط سأقول لك إنهم كتبوا هذا المشهد في التوراة بأيديهم الكاذبة بعد أن حرفوه وقالوا إنهم صعدوا على الجبل ورأوا الله بالفعل جالسًا وتحت رجليه عقيق أزرق، وأنه كان فخورًا بهم جدًا.

معذرة أنني جعلتك تشعر ببعض القشعريرة وأنت ترى ما بداخل اللوحة يتحرك، في السابق كانت هذه تيمة ناجحة في أفلام الرعب، أمّا في ذلك العصر ستكون تقنية يستخدمها الجميع.

لا بأس ستعتاد على الأمر، تعال إلى اللوحة التالية، لا بُد أنك رأيت هذه اللوحة أو ما يشبهها كثيرًا، اللوحة فيها عجل ضخم من ذهب وحوله أناس كثيرون يرفعون أياديهم بما يشبه العبادة. وبعضهم يرقص، هذه لوحة نيكولاس بوسين «عبادة عجل الذهب» Nicolas Poussin – The Adoration of the Golden Calf.

تعالَ نضغط هذا الزرّ ونرى ماذا فعل هؤلاء السبعون ملعونًا.

***

أصوات لهو وصرخات داعرة تنبعث من داخل اللوحة، احتفال فاسق، نيران، رجال ونساء يهود يتراقصون ويتناكحون وفي وسطهم عجل كبير من ذهب يعبدونه ويحملونه ويسيرون به ببطء وحولهم السبعون شيخًا يباركون لهم أفعالهم، ويتقدمهم السامري وهو رجل طويل فارع كما تراه، موسى غير موجود في اللوحة فقد صعد إلى جبل سيناء ليحصل على ألواح التوراة، وترك اليهود وكبراءهم السبعين ينتظرونه، لكنهم لم يتحملوا غياب موسى شهرًا، فصنع لهم السامري العجل الذهبي نفسه «أبيس» الذي كانوا يعبدونه في مصر.

لا بدّ أنك تعرف هذ القصة لكن ما لا تعرفه أن اليهود عند كتابة هذا المشهد في توراتهم حذفوا السامري تمامًا، وجعلوا الذي صنع لهم العجل هو النبي هارون، وكتبوا أن الله أنزل عليهم غضبه بعد هذا الفعل الشنيع، لكنه تاب على هارون صانع العجل الذهبي، بل جعل نسل هارون مقدسًا فلا يكون كاهنًا في اليهود إلا من نسل هارون.

هؤلاء السبعون أنفسهم هم الذين قالوا لموسى عندما وصل إلى الأرض المقدسة: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، وحتى بعد موت موسى لم تمت عقيدة السبعين رجلًا، بل كانوا يتوارثونها جيلًا بعد جيل، سبعينًا بعد سبعين.

تعال إلى اللوحة التالية.

هذه لوحة كئيبة جدًّا بالأبيض والأسود، هناك صنم يرتدي ملابس ملكية وحوله نار موقدة يمد يده للأمام، وهناك شخص يعطيه طفلًا كأنه يهبه له، وتحت الصنم أناس بمزامير وطبول وآخرون يركعون تبجيلًا، أنت أمام لوحة تشارلز فوستر «قرابين مولوك» Charles Foster – Offering to Moloch

بالضغط جانب اللوحة بدأت تتلون وتتحرك، وكان المشهد مريعًا.

هذا وادي هنوم، أو كما يسمونه «وادي جهنم»، هل تعلم لماذا يسمى بهذا الاسم؟ انظر جيدًا.

هذا الصنم الضخم هو صنم الإله «مولوك»، وهؤلاء الذين ينتظمون حوله ليعبدوه هم يهود، وهؤلاء الملتحون هم كبراؤهم السبعون، وهذا الذي يمسك بالطفل ليقدمه للصنم هو كبير الكهنة السبعين، لا تظن أنه يقدم الطفل هكذا بشكل رمزي، انظر معي لكن احذر حتى لا تصاب بالتقزز، انظر إلى بطن هذا الصنم، هذه ليست بطنًا عادية بل إنها بوابة تنفتح ويظهر داخلها أتون من نار مثل الفرن داخل الصنم، كبير الكهنة يحمل الطفل ويطوح به ليلقيه في داخل بطن الصنم الملتهب، أصحاب المزامير رفعوا المزامير وأصحاب الطبول دقوا الطبول، والكهنة السبعون نزلوا إلى الأرض وأمسك كل واحد منهم طفلًا يهوديًّا، ووقفوا طوابير ليقوموا بالتضحية به لأجل البعل، هل ترى ماذا فعل السبعون شيخًا وأين أوصلوا قومهم؟ زمن اللوحة هو بعد أن ترك لهم سليمان مملكة واسعة كبيرة، انظر ماذا يفعلون، ها هم يلقون بالأطفال داخل بطن البعل النحاسية الملتهبة، تحرك الكادر في اللوحة ليريك أهالي الأطفال وهم يصرخون ويلطمون هناك، النساء يشققن الجيوب والرجال

يضربون أنفسهم بالسكاكين، وصرخاتُ الأطفال الذين يرمون واحدًا واحدًا هناك تصم الأذن.

لن نتحرك من أمام اللوحة الآن، فهناك المزيد، كادر اللوحة يبتعد مثل الكاميرا عن هذا المشهد ويستدير ناحية بيت المقدس الذي يسمونه هم الهيكل، انظر ماذا صنعوا داخله، هل رأيت؟ أصنام وأوثان منصوبة في قلب مسجد بيت المقدس، هذا الصنم الذي له قرنين هو «بعل» وهو يشبه العجل أبيس كما ترى، وذاك الصنم هو عشتار العاهرة البابلية التي جعلوها آلهة. وهؤلاء الذين يدخلون من الباب هم الكهنة السبعون بعد أن تركوا وادي جهنم وجاؤوا ليقدموا العطايا لآلهة وثنية في بيت المقدس.

لا تتحرك لم ننتهِ بعد، انظر إلى السبعين شيخًا بعد أن انتهوا من العبادة في بيت المقدس وهم يخرجون لأداء عبادة أخرى أشد قذارة، إنهم يدخلون إلى بيوت ذات جدران حمراء كما ترى، هل تعلم ما هذه؟

هذه معابد الجنس المقدس، إذا دخلت هنا يمكنك أن تنكح الفتيات اللاتي وهبن أنفسهن للبعل، أو تنكح الأطفال من الصبيان الذين يسمونهم «المأبونين»، نعم هؤلاء الصبيان الصغار يُغتصَبون يوميًا هنا، وقد وهبهم اليهود للآلهة وصنعوا لهم معابد، لا تصدق؟ اقرأ التوراة.

لن تدخل اللوحة إلى تلك المعابد حفاظًا على الذوق العام، لكن يمكنك أن تتخيل ماذا يحدث بالداخل من الأصوات الداعرة التي تسمعها والتي اختلط فيها صوت أطفال يُغتصبون بعاهرات يتأوهن.

هذا التنظيم الكافر من السبعين رجلًا هم الذين دبروا قتل جميع أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلهم الله في تلك الفترة، حتى إنهم في ذات يوم واحد من أيامهم قتلوا سبعين نبيًا، ثم أقاموا سوقهم كما يفعلون كل يوم، هذه الأفعال الشنعاء هي التي جعلت الله يسلط عليهم البابليين فيدمرون مملكتهم تمامًا ويأخذونهم سبايا فيما عرف في التاريخ بالسبي البابلي، أظن أنك عرفت عمن نتحدث بالضبط، وأنني لم أكن مخطئًا حينما قلت إنهم أخطر فئة إجرامية في التاريخ.

أعرف أن هذه اللوحة قد أتعبتك، فتعالَ نهرب إلى اللوحة التالية.

اسم اللوحة هو «بومبي يدخل معبد أورشليم» للفنان الفرنسي جان فوكيه Jean Fouquet – Pompey enters the Jerusalem Temple

في اللوحة جنود ينتظمون ويرفعون رماحهم، وشيوخ مقتولون على الأرض، وهناك أحد الجنود يطعن شيخًا بالسيف، والكل يقف في مكان باهر له جدران ذهبية فيها تماثيل ذهبية.

هل تظن أن هؤلاء المقتولين هم السبعون شيخًا؟ هيهات.

***

قبل أن نضغط جانب اللوحة يجب أن أخبرك شيئًا، بعد السبي البابلي تاب اليهود عن أفعالهم القذرة، وسمح الله لهم بعد توبتهم بالعودة لأرضهم وإعادة بناء هيكلهم، وأصبح اليهود نظيفين من عبادة الأصنام، واتعظوا بعد عقاب الله، كان رئيس الكهنة السبعون في ذلك الزمن اسمه «هيركانوس»، وهو ليس فقط رئيس الكهنة بل ملك اليهود.

كل شيء يجري على ما يرام بالنسبة إلى هيركانوس حتى تمرد عليه أخوه الأصغر وأخذ منه المملكة، وهنا فعل هيركانوس أسوأ شيء يمكن أن يحدث من رئيس كهنة، تحالف مع الرومان ليأتوا ويحتلوا الأرض المقدسة، وبالفعل نزل الرومان بقيادة بومبي واحتلوا الأرض المقدسة ودخلوا إلى بيت المقدس ودنسوه بأقدامهم، ودخل بومبي الروماني إلى قدس الأقداس في الهيكل وعُيِّن هيركانوس مرة أخرى رئيسًا على الكهنة، وأصبح اليهود جزءًا من المملكة الرومانية الوثنية.

هذه اللوحة التي تراها تمثل جنود بومبي، وقد دخلوا إلى بيت المقدس وقتلوا المصلين اليهود هناك.

والآن بالضغط على اللوحة نجد أن جنود بومبي بدأوا بالتحرك وجاء رئيس الكهنة هيركانوس فخورًا بنفسه وكان يرتدي الحلة الملكية، أنه الرجل الذي أدخل مملكة اليهود تحت الاحتلال الروماني، وقد كانت له ميول

استعمارية فقرر يومًا أن يغزو الأدوميين، وهم قوم وثنيون بالجوار، فغزا أرضهم وأجبرهم على التحول لليهودية.

انظر إلى هيركانوس في اللوحة وهو يخرج من بيت المقدس ويذهب ليتمشى في ساحة قصره راضيًا، لقد خضع له الملك الأدومي الوثني حتى إنه أرسل ابنه «هيرودس» ليتربى في قصر هيركانوس ليتشرب اليهودية.

هل رأيت ذلك الطفل هناك في جانب اللوحة، ذلك الذي ينظر إلى هيركانوس بعينين فيهما كثير من الغل، هذا هو هيرودس الطفل الوثني الذي ادعى اليهودية زورًا وأبطن الكفر.

تغيرت اللوحة الآن لتصور لك هيرودس هذا الطفل قد كبر وقتل هيركانوس وأصبح هو الملك على اليهود، رغم أنه ليس يهوديًا بل وثنيًا، واعترض كثير من كبار اليهود السبعين على هذا لكن هيرودس بدأ حكمه بإعدامهم جميعًا، وعيَّن سبعين غيرهم من اليهود الموافقين له.

وأظهرت اللوحة هيرودس الوثني وهو يقف ووراءه سبعون شيخًا جديدًا ينظرون إلى الكادر في شماتة.

لقد تمت إعادة إحياء أسطورة السبعين رجلًا ذوي الهوى الوثني مرة أخرى بعد موت السبعين القدماء وتوبة اليهود، لكن هذه النسخة الجديدة من السبعين شيخًا تحولوا من إعلان الوثنية وعبادة الأصنام إلى إخفاء ذلك، وأصبحوا مثل الحكومة السرية الوثنية التي تحكم اليهود وأصبح اسمها «السنهندرين».

والآن تعال إلى اللوحة التالية وشاهد ماذا فعلت هذه الحكومة الوثنية بالضبط.

اللوحة تصور امرأة حول رأسها أشعة يبدو أنها مريم تحمل طفلًا يبدو أنه عيسى، وهناك ملوك يرتدون أفخر الثياب الملكية جاثين على الأرض ينظرون إلى الطفل عيسى بخضوع كأنهم يعبدونه، هذه لوحة «عبادة المجوس» لهوجو فان دير جوس Hugo van der Goes -Adoration of the Magi.

هذه المرة بالضغط على جانب اللوحة ستظهر لك اللوحة مشاهد سابقة لهذا المشهد حتى ترى كيف وصلنا إليه، هذه العروض كلها يمكن أن نتحكم بها بتطبيق بسيط، تستطيع أن تجعل اللوحة الحية تظهر لك ماضي اللوحة وكيف وصلنا إلى هذا الكادر.

الآن اضغط.

***

اللوحة تحوّلت إلى سواد الليل، القمر لا يكاد يبين، النجوم كأنها اللؤلؤ تُضيء الجبال بنور خافت يبعث الطمأنينة، أو الخوف.

بين سفوح الجبال المظلمة كان هناك اثنا عشر رجلًا مسافرين ركوبًا على جمالهم إلى أورشليم، يتبعون نجمًا لامعًا في صفحة السماء يبدو من شدة لمعانه أنه اجتماع كوكبين أو ثلاثة، وضوؤه ينعكس على لحاهم الطويلة وملابسهم الملكية فيُظهر شيئًا من ملامحهم التي أعياها السفر.

هؤلاء شيوخ المجوس، جاؤوا من الشرق، كانوا أهل كتاب سماوي لكن إبليس كتب لهم المجوسية فأصبحوا يعبدون إله الخير وهو الله وإله الشر وهو إبليس، واليوم قد جاؤوا من بلادهم لأن لديهم نبوءة تخبرهم أن ملك اليهود عيسى قد وُلد ويجب أن يسجدوا له ويعبدوه لأنه الإله المتجسد، وهذا النجم اللامع سوف يرشدهم إلى طريقه، المشكلة أن دخول هؤلاء المجوس إلى أورشليم سيتسبب في كارثة بعد قليل؛ فملك أورشليم ساعتها كان الطاغية هيرودس ملك اليهود الوثني، وأول رجل في عائلة هيروديان، العائلة اليهودية الوثنية الطاغية التي ورثت التنظيم الإجرامي قاتل الأنبياء الذي نتحدث عنه.

دخل المجوس بعباءاتهم الملكية على هيرودس الجالس في قصره بين ستائره المخملية وقوالب الذهب التي يتحلى بها درعه الملكي.

قال أحد المجوس: «سيدي العظيم، إنا قد أتيناك مسافرين من الشرق نتبع هذا النجم اللامع الذي تحكي كتبنا أنه علامة مولد ملك اليهود المنتظر هنا في هذه البلاد، ونحن جئنا لنقدم له هاته الهدايا ونسجد له ونخضع».

لم يبدِ هيرودس أي ردة فعل غاضبة كأي طاغية معهود، بل استدعى مستشاريه السنهندرين وسألهم بشيء من المكر أين يولد ملك اليهود المنتظر فأخبروه أنه يولد في بيت لحم، فابتسم للمجوس وقال: «اذهبوا إلى بيت لحم وابحثوا عن ملك اليهود الطفل، فإذا وجدتموه تعالوا وأخبروني أين هو، فأنا أريد أن أسجد له أيضًا».

تحولت اللوحة إلى كادر يتحرك وراء اثني عشر رجلًا انطلقوا إلى بيت لحم وأنظارهم معلقة بالنجم اللامع الذي هداهم أول مرة، والذي بدأ يتحرك بين النجوم بإعجاز إلهي ثم توقف بالضبط فوق بيت معين، هرع المجوس إلى ذلك البيت ودخلوا إليه مستبشرين ومصدقين بعلامة النجم، وليس بغريب على الأنبياء أن تطلع النجوم لمولدهم فالنبي محمد أيضًا عندما ولد طلع في السماء نجمه وكان اسمه نجم أحمد، لكن الغريب هو ما فعله المجوس حينئذ.

أخذتنا اللوحة إلى داخل البيت حيث ولد عيسى عليه السلام.

كان ملفوفًا بالأغطية البيضاء ونور وجهه يظهر بينها حتى سطع في وجه اللوحة قليلًا، ومريم تحتضنه بدفئها وجلال وجهها، انظر إلى تلك الجالسة بجوار مريم؛ تلك هي أختها أليصابات وهي تحمل طفلًا بدورها، طفلًا سطع ضياؤه أيضًا في وجه اللوحة، هذا هو ابنها النبي يحيى.

وهذا الرجل الذي يضاحك عيسى الطفل هو زكريا، زوج أليصابات وأبو يحيى، وهو الذي أمره الله أن يكفل مريم ويرعاها. نعم هذا البيت في ذلك الوقت كان فيه ثلاثة أنبياء، الآن عرضت لك اللوحة باب البيت لنرى دخول المجوس بهيئاتهم المهيبة التي تبعث الريبة في القلوب.

دخل المجوس بملابسهم الملكية وتقدم منهم ثلاثة يمسك كل واحد منهم صندوقًا فيه هدايا وأعينهم تقطر شوقًا وإجلالًا، وانحنت جباههم خضوعًا للطفل عيسى في مهده.

هل رأيت كيف حكت اللوحة لك ماضي المشهد؟ الذكاء الاصطناعي يمكن أن يفعل أكثر من هذا، تعالَ إلى اللوحة التالية.

رغم أن هذه اللوحة فيها كثير من الألوان فإنها تصور مأساة، هناك ملك بشع الوجه يرتدي حلة ذهبية يشير بإصبعه بأمر ما وتحته جمع غفير من الجنود يصوبون رماحهم على جمع غفير من النساء اللاتي يحمن أطفالهن، وهناك أطفال كثيرة ميتة على الأرض.

هذه لوحة ماتيو دي جيوفاني «مذبحة أطفال بيت لحم» **Matteo di Giovanni – The Massacre of the Innocents at Bethlehem.**

ألم أقل لك إن دخول المجوس سيؤدي إلى كارثة، تعالَ نضغط اللوحةَ لترينا كيف وصلنا إلى هذه المذبحة.

***

تحولت اللوحة لتظهر مريم وهي تهرب بالنبي عيسى وتخرج خارج بيت لحم، أنبأها الله أن تخرج خارج الأرض المقدسة كلها وتهرع إلى مصر فإن ما سيحدث سيكون وبالًا على بيت لحم، أما الطفل يحيى فهو في أمان لأن أبويه زكريا وأليصابات ليسا من بيت لحم بل من أورشليم؛ فزكريا كبير شيوخ بيت المقدس.

أخذت مريم وليدها وانطلقت في رحلة مليئة بالصعاب إلى أرض مصر، لم تكمل اللوحة مع مريم رحلتها بل بقيت في الأرض المقدسة لتشهد المذبحة.

في تلك الليلة اختفى القمر خلف سحبًا سوداء ونام المجوس في خيامهم عند سفح الجبل فرأى كبيرهم حلمًا يأمره فيه ربه أن يرجع بقافلة المجوس إلى بلادهم من طريق مختلفة، ولا يقابل هيرودس البتة، ولا يخبر أحدًا بمكان الطفل الذي كانوا يبحثون عنه، ولعل هذا هو أسوأ حلم شيطاني رآه إنسان، فبسببه مضى المجوس في الجبال إلى ديارهم متجاهلين هيرودس تمامًا الذي جن جنونه في اليوم التالي، وقال لزبانيته: «اقتلوا كل أطفال بيت لحم بلا استثناء، أي ذكر عمره أقل من سنتين اذبحوه كما تذبح الفرخ، واقتلوهم في أرحام أمهاتهم».

وكانت مذبحة مليئة بالدماء والبكاء، اللوحة تعرض لك الجنود وهم يسحبون الأطفال من أحضان أمهاتهم ويرفعونهم في الهواء وبالنصل يجزون

العنق ويرمون الرأس، وزكريا النبي يمشي بين الجنود يذكرهم بالله ليدفع الظلم. ورغم أن زكريا هو أكبر خادم لبيت المقدس فإن جنود هيرودس لم يكونوا ليسمعوا إلا من هيرودس.

وحدث هرج ومرج، لم تعد تدري أين تنظر، كل موضع من اللوحة فيه دم، ونزل هيرودس إلى أرض المذبحة ليشهد ويشم كل شيء بنفسه، لم تطرف عينه شفقة، بل كان يضيقها في كراهية.

لم يكن هيرودس يمشي وحده بل كان يجر وراءه طفلين اثنين يرتديان أفخر الثياب؛ فتى وفتاة، حفيده وحفيدته، كانا يمشيان خلف هيرودس ويسمعان صرخات الأطفال وينظران بأعين فيها كثير من الارتعاب حينًا والجذل حينًا آخر. نعم، انظر إلى عينَي هذه الطفلة الأميرة الماشية وراء هيرودس وستعرف.

هذه هيروديا حفيدة هيرودس الكبير، هناك شيء من المتعة في عينيها وهي تنظر إلى حمام الدماء الذي حولها، وذاك الطفل الذي يمشي بجوارها هو أخوها هيرودس أغريبا، عيناه فيهما كثير من الحيرة وهو ينظر إلى ذلك الجندي وهو يبقر بطن امرأة ليخرج وليدها من أحشائها.

جاء النبي زكريا ووقف في وجه هيرودس وقال كلمة الحق بينما كان الكل خائفًا مرتعبًا، نظر الملك هيرودس لمن كان معه من الكهنة السنهندرين وقال له بغضب: «هل هذا الكاهن منكم؟».

قال له الكاهن بسرعة: «هذا كبير خدام الهيكل وليس من السنهندرين، بل هو أكثر كاهن يعارض السنهندرين».

أشار هيرودس لجنوده بالقبض على زكريا: «خذوه واقطعوا رأسه لكن ليس هنا، بل هناك في ساحة بيت المقدس، حتى يكون عبرة لكل سدنة البيت».

وبالفعل أخذوا النبي زكريا وألقوه على تلك الساحة وقتلوه بين المذبح والمحراب.

هذا هو هيرودس قاتل النبي زكريا وصاحب مذبحة بيت لحم، ولقد كان مهووسًا باسمه حتى إنه أطلقه على كل شيء، قصره اسمه هيروديوم وإخوته كلهم اسمهم هيرودس وأبناؤه وأحفاده كذلك، وحتى الفتيات اسمهن هيردويا.

كثير من النساء يبكين ويصرخن ويدعين ربهم والجنود يأخذون منهن أطفالهن ويذبحون الطفل بضربة واحدة ثم يلقونه على الأرض، وهذا هو المشهد الذي رأيته في اللوحة في البداية.

هيرودس هو الذي نفَّذ المذبحة لكن السبعين شيخًا هم الذين كانوا وراءها، وهم الذين سيكونون وراء كل مصيبة ستحدث بعد ذلك.

اللوحة التالية هي لوحة هيروديا، حفيدة هيرودس، التي رأيناها صغيرة في اللوحة السابقة، الآن هي كبيرة في هذه اللوحة، ويبدو من ملامحها أنها متسلطة وبجوارها فتاة يبدو من ملامحها أنها مشاغبة وفي زاوية اللوحة هناك رأس إنسان صالح موضوعٌ على طبق مزخرف، نحن أمام لوحة «هيروديا» للفنان باول ديلاروش **Paul Delaroche – Herodias**.

هذه هيروديا قاتلة النبي يحيى، وهذه سالومي ابنتها، وهذا الرأس في زاوية اللوحة هو رأس النبي يحيى، تريد أن تعرف كيف وصلنا إلى هذا، تعالَ لنضغط جانبَ اللوحة ونرى.

***

بدأت اللوحة بمشهد لهيروديا الصغيرة في القصر، كان قلبها يهفو لرؤية الزهور في قصر هيروديوم، لكن هذا القلب صار أقسى من صخور الجبل. فجدها هيرودس لم يكن فقط طاغية على الشعب بل على أهل بيته أيضًا، هي شاهدته وهو يقتل أباها ثم يقتل أمها فقط لأنه شك أنهما خائنان للدولة، ونفى إخوتها الصغار إلى روما ليتعلموا هناك حب الرومان، وأجبر هيروديا على الزواج بعمها الأكبر منها بكثير هيرودس فيليبس، وأنجبت منه ابنة واحدة هي سالومي.

لم تكن هيروديا سعيدة، الشيء الوحيد السعيد في حياتها هي ابنتها سالومي، تنامت في داخلها رغبة حقيقية أن تغير كل هذا إذا صارت ملكة،

لن تسمح لأحد أن يصنع لها حياتها ويسوقها، وعلمت ابنتها سالومي هذه المبادئ منذ طفولتها، وهيأت نفسها لتصبح ملكة فور أن يموت الطاغية جدها هيرودس ويخلفه زوجها هيرودس فيليبس.

لكن لسوء حظها قبل أن يموت الطاغية هيرودس بأيام عرف أن فيليبس ابنه الكبير يتآمر لأخذ العرش رغم أنه سيؤول إليه في كل الأحوال لكنه متعجل، فأمر أن يحرم فيليبس من الميراث والحكم وكل شيء، وفي يوم وليلة وجدت هيروديا نفسها بلا حلم، لكن التمرد الذي كان يغلي في دمائها جعلها تخرج أسلحتها، والتفت كالحية حول عمها الثاني هيرودس أنتيباس وأغوته حتى عشقها، وأقنعته أن يطلق زوجته وهي تطلق زوجها ويتزوجا.

كانت تتحدى شريعة الله، وقد وافقها أنتيباس بسهولة وطلق زوجته، وتركت هي زوجها وخرجا في اليوم التالي أمام الشعب زوجًا وزوجةً رغمًا عن الجميع، وأصبحت هيروديا ملكة، وكانت هي الطاغية على زوجها والمتحكمة بكل شيء، وبدأ صدامها مع يحيى النبي العظيم حينما دخل عليهم في القصر وقال في وجوههم إن ما يفعلونه حرام، وإنه زنا، ولم يكتف يحيى بهذا بل إنه لم يترك مجلسًا للرجال إلا هاجمهم فيه، فما كان منها إلا أن جعلت زوجها يأمر بحبس يحيى مخالفة كل الأعراف والقيم والدين، فيحيى هو نبي تلك الأمة في ذلك الزمان.

وفي ذات يوم جاءتها ابنتها سالومي بعينين متوترتين تريد أن تحكي أمرًا ما لكنها تتلعثم فأمسكتها هيروديا من تلابيبها ونهرتها: «هذه النظرات الضعيفة في عينيك كانت عندي طويلًا، فلا تجعليها تطأ على فؤادك، هذه العينان الضعيفتان تجعلان الرجال يحركونك كيف شاؤوا، بينما نفس هذه العينين يمكن أن تقلبي بها أعتى الرجال رأسًا على عقب، فقط إذا أردت، ألم أعلمك يا سالومي؟».

قالت سالومي: «حتى إذا كان من يريد التحكم بي هو أنت؟».

لمعت عينا هيروديا وقال لها بحزم: «حتى إذا كنت أنا».

قالت سالومي وقد شعرت ببعض الشجاعة: «في ذلك اليوم كنت في ساحة القصر الخلفية عند الجياد فسمعت صوتًا يأتي من الزنازين السفلية، صوتَ رجل يتلو الكتاب بأعذب صوت يملكه إنسان، لم أجد نفسي إلا وأنا أنزل إلى الزنازين فوجدتها كلها فارغة إلا واحدة، وفيها رجل جميل المحيا كأنه البدر، أخذ قلبي كله بنظرة واحدة فكأني لم أقوَ أن أرفع عيني عنه لحظة فسألت الحارس عنه فقال لي هذا يحيى بن زكريا. النبي الكاذب».

سكتت هيروديا وهي تسمع ابنتها التي يبدو أنها ستقول لها بعد قليل إنها تحب يحيى عدو أمها الأول، أكملت سالومي: «لم ينظر لي حتى نظرة، حتى عندما كلمني نظر إلى الحائط، أشعرني أنني لا شيء، لقد تعلمت منك كيف أسوق أعتى الرجال، دومًا أذكر كلامك، اعلمي يا سالومي نقطة ضعف الرجل، ثم اسحقيها بقدمك حتى النهاية، أما هذا الرجل فلا. تحدثت معه باللين والهوى فامتنع. أخرجت الحراس وانفردت به وأغويته بكل شيء فامتنع، كأنه يوسف بل هو أشد من يوسف».

قالت الأفعى هيروديا: «يشعرك أنك لا شيء؟ تذكري مَن أنت ياسالومي، أنت أميرة هذا القصر بل أميرة أرض هوديا كلها، وليس هو إلا راعي غنم. أفلا أدلك يا سالومي على شيء يجعل رأس هذا الرجل يخضع لك أمام الملأ، وليس أي ملأ، بل أمام الملك وحاشيته والحكماء والفريسيين ليعلم الكل من أنت، ومن هو».

سنوقف هذه اللوحة عند هذا المشهد بين هيروديا وابنتها وسنذهب إلى اللوحة التالية، لنستكمل القصة.

هذه لوحة رقصة سالومي للفنان أندريا ماركيزيو Andrea Marchisio - The Dance of Salome.

اللوحة فيها ساحة فاخرة داخل قصر باهر، سالومي ترقص في المنتصف وهيرودس أنتيباس يجلس ليشاهدها مسترخيًا مع حاشيته، وهناك رجال

يجلسون على مائدة طعام وينظرون إلى سالومي بشهوة، وهناك عبيد يعزفون على الأرض.

لنضغط على اللوحة التي سترجعنا فقط بضع دقائق إلى الوراء قبل مشهد الرقص.

***

هذه هي القاعة الملكية في قلعة مكاور، كل الجدران منقوشة مزخرفة بالذهب والفضة، أعمدة الرخام تنتظم على اليمين والشمال، اليوم عيد ميلاد الملك أنتيباس، أعظم احتفال يقام في المملكة، وها هو الملك يجلس على عرشه بملابسه الملكية الفضفاضة وبجواره هيروديا. حاشية الملك قد جلسوا، كلٌّ حسب درجته والكهنة السنهندرين يجلسون على الأرائك، ليس هناك موضع قدم إلا تلك الساحة الرخامية في المنتصف.

بدأ العزف ونزلت الغانيات من هنا وهناك يتحركن على الإيقاع، ثم برز من وراء الستار ظل امرأة ترقص والناس لا يرون إلا ظلها. تطاولت أعناقهم ليروا منها أكثر حتى اقتربت ودخلت إلى القاعة وبدأت تتمايل وليس على جسدها سوى سبعة أوشحة، كانت تلك هي سالومي في اللقطة التاريخية التي حصلت بها على رأس النبي يحيى.

سبعة أوشحة، كلما رقصت رقصة رمت وشاحًا فتعرت أكثر، وحلوق الرجال تجف، وعينا هيرودس تشتعلان، حتى لم يعد على جسدها سوى وشاحين، ولمّا رمت إحداهما هبت نار الشهوة في القلوب، ثم رمت الوشاح الأخير وتحركت أمام الجميع وليس على جسدها أي شيء، كان الرقص معتادًا في المملكة ولكن ليس بهذه الطريقة أبدًا، ألجمت ألسنة الجميع حتى تكلم هيرودس أنتيباس وقال: «أما ورب السماء لو أنك قلت في هذه اللحظة أريد نصف مملكتك لأعطيتك إياها. فاسأليني أعطيك».

مشت سالومي بجسدها العاري وسط الجميع حتى وصلت إلى أمها التي نظرت إلى كبير الكهنة السنهندرين فأومأ له برأسها إيجابًا فمالت على أذن بنتها وهمست لها بشيء، فقالت سالومي: «على طبق من الفضة».

قال هيرودس أنتيباس: «طبق من الفضة؟ ماذا تريدين عليه. ذهب؟ جواهر؟ ماس؟».

هنا قالت قولتها الشهيرة: «رأس يحيى بن زكريا».

وهكذا نزل الجنود إلى زنزانة النبي يحيى وقطعوا رأسه وأتوا بها على طبق من الفضة إلى سالومي، لم يكن يحيى كأي بشر خُلق من قبل، فما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا، لم يهم بخطيئة ولم يعملها كما قال عنه النبي محمد.

ها هو نبي آخر قد مات، القاتلة هي هيروديا لكن السبعين هم الذين كانوا وراءها، هل تريد أن نكمل أم أصابتك المرارة في هذا المتحف؟ لا بأس فقد بقيت لنا لوحة أخيرة، لوحة المسيح.

اللوحة فيها ملك ضاحك يرتدي حلة حمراء يجلس على عرشه وأمامه رجل مسكين يرتدي عباءة لا تتناسب مع موقفه، ويبدو أن هذا المسكين هو المسيح حسب خيال الرسام، وهذا الملك هو هيرودس أنتيباس.

اللوحة لنيكولاس نوبفر واسمها «المسيح أمام هيرود أنتيباس» Nicolaes Knüpfer – Christ before Herod Antipas

***

رجعت اللوحة قبل تلك الأيام بقليل حيث نزل المسيح إلى أرض الأحداث، عيسى ابن مريم. كان يدعو الناس إلى الله هو ويحيى بن زكريا جنبًا إلى جنب، وكانا ابني خالة، وبعد قطع رأس يحيى وقف المسيح في ساحة بيت المقدس وقالها صراحة لكل كبراء اليهود من أصغر كاهن إلى كبار السنهندرين إلى

ملوك اليهود الهيروديين: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، أنتم مثل قبور بيضاء تبدو من الخارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات ونجاسة، ألستم كنتم تقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء؟ أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف ستهربون من عذاب جهنم؟ ربكم يرسل لكم أنبياء فمنهم تقتلون وآخرون تجلدون في مجامعكم، إن عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا قتلتموه بين الهيكل والمذبح. يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين».

وكما لا بُدَّ أنك تعلم، قبض شيوخ اليهود السنهندرين على المسيح عيسى وطالبوا أنتيباس بمحاكمته، ولما أدخلوا المسيح عليه، تصنَّع أنتيباس الاهتمام الساخر، وأخذ يدور حول المسيح ويقول: «لقد ظننت أن يحيى قد عاد من الموت عندما حكوا لي عن معجزاتك يا عيسى، أفلا تريني واحدة ها هنا؟».

صمت المسيح ولم يجبه فسأله أنتيباس وهو ينظر إلى عينيه: «هل أنت ملك اليهود الذي بشرت به الرؤيا ومات لأجله أطفال بيت لحم؟».

قال له المسيح: «أنت تقول».

نظر إليه أنتيباس بسخرية وخلع عباءته الملكية وألبسها له وقال: «هكذا أصبحت أنت ملك اليهود».

نظر أنتيباس إلى الكهنة اليهود السنهندرين وقال: «اذهبوا به إلى بيلاطس الروماني واحكموا عليه بما شئتم».

وهذه هي اللوحة التي رأيناها، والآن تحرك الجنود بالمسيح إلى الخارج ليمضوا به إلى محاكمته، كان يمشي وسط المارة الذين تجمهروا في السوق ينظرون إليه وكثير منهم مؤمن به لكن لا يقدر أن يلفظ حرفًا، وبين المارة كان هناك رجل واقف يلبس ملابس فاخرة ويربط شعره من الخلف وينظر إلى كل هذا بشيء من الشماتة، ركزت عليه اللوحة قليلًا، سأوقف اللوحة هنا، عند هذا الرجل. هيرودس أغريبا.

هكذا انتهت رحلتك في متحف السبعين، أرجو ألا تكون المرارة قد تمكنت منك، لقد قلت لك في البداية، هذا كيان يهودي مجرم من سبعين عضوًا قتل الأنبياء وعبد الأوثان وأحرق الأطفال ونكح الأطفال. فلم أكن أبالغ حينما قلت إن هؤلاء أقذر سبعين رجلًا في التاريخ الإنساني، أمّا عن سؤال لماذا وقفنا عند هيرودس أغريبا، فهذا سيجيبك عنه رفيق آخر، في مكان آخر، كل ما أستطيع أن أقوله لك، تذكر ذلك الطفل الذي كان يمشي وراء هيرودس في لوحة مذبحة أطفال بيت لحم وكان بجوار أخته هيروديا، هذا هو هيرودس أغريبا، وإن له قصة أخرى.

الفصل الثالث
القوة الخفية

جئتني من عند الرفيق «ل» وهناك امتعاض في ملامحك طعم المرارة
الدم تشعر بها في حلقك. عيناك زائغتان ورغم هذا ما زلت تحاول أن تختلس
النظر إلى وجهي، كف عن هذا فإن عينيك المرهقتين ستظلان تريان وجوهًا
يلفها الظلام حتى تسقط الغشاوة عنك.

الرفيقان قبلي أبهراك بألعاب تكنولوجية غاية في التقدم، لكن اسمع مني،
هي تكنولوجيات بعيدة، لن تراها في واقعك إلا بعد أن يحلبوك كالبقرة حتى
آخر قطعة نقدية باقية في ضرعك، دعني أنبئك بتكنولوجيا ستغزو حياتك
قريبًا، والحق أني أتوق لأرى ملامح وجهك وأنت تجربها لأول مرة. هنا عندي،

بعد حين من الزمن سيشعر الإنسان بالملل من الأفلام وطريقتها ووجوه
الممثلين التي تتكرر في كل عام وهذه الستة وثلاثين حبكة التي لا العقل
البشري أن يصنع غيرها فسيضطر صانعو الأفلام أن يلجأوا إلى هذه
التكنولوجيا المجنونة، لا أدري ماذا سيسمونها لكن منصات الأفلام الشهيرة
فجأة ستجدد برنامجها على الجوال أو على شاشة التلفزيون فتضيف له هذا
الجيل الجديد من الأفلام وتصنع لها دعاية باهرة. الأفلام التفاعلية.

لن تعود شاشة التلفزيون صمّاء كل مهمتها أن تظهر لك الصورة وأنت تشاهد، حان الوقت لنعطيك شيئًا من الحرية لتتحرك داخل الفيلم، باستخدام إصبعك على شاشة اللمس أو بتوجيه الريموت إلى شاشة التلفزيون يمكنك أن تنظر في جوانب المشهد فتنظر بعيدًا عن الشخصيات وهم يتكلمون فترى عالمهم كأنك معهم، كل اللقطات هنا مصورة بكاميرا 360 درجة. ليس هذا فقط بل سيمكنك أن تضغط على شخصية من الشخصيات في الفيلم فيأخذك إلى لقطة تخص هذا الشخص بعيدًا عن اللقطة التي أنت فيها، ثم وأنت داخل اللقطة الجديدة تضغط على شخص آخر فتنتقل إلى لقطة أخرى وهكذا، بهذا لا يكون الفيلم هو الذي يريك ما يشاء بل أنت الذي تتجول في عالم الفيلم الضخم كما يحلو لك، فلو كان هناك صديقان شاهدا الفيلم فإن كل واحد منهما سيرى أحداثًا مختلفة ونهاية مختلفة. الأمر مجنون لدرجة أنه لا يمكن شرحه بالكلام. لا بُدَّ من التجربة، وأنت هنا من أجل التجربة. أنا الرفيق «ك»، وهذا الحرف يرمز إلى الكاميرا، ففي هذا العالم أنت صاحب الكاميرا تحركها كما تريد، وسأكون معك حتى تصل إلى كشف المخبوء لئلا تتوه داخل الفيلم، والآن فلنبدأ اللعب.

اسم الفيلم ليس مهمًا، لكنه يحكي عن تنظيم يهودي خفي هو أخطر من أي تنظيم خفي ظهر في التاريخ، بل هو المنبع الذي خرجت منه كل التنظيمات اليهودية الخفية في العالم، تنظيم بدأ بقتل حواريي عيسى حتى وصل إلى تسميم النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء.

القصة تبدأ بعد أن نجح شيوخ السنهندرين في قتل كل هؤلاء الأنبياء حتى ختموها بالنبي عيسى كما ظنوا، ثم واجهتهم مشكلة كبرى جعلتهم يغيرون أسلوبهم إلى الأبد كما سنشاهد بأعيننا.

مهمتنا في هذا الفيلم هو أن نكشف التنظيم ونعرف اسمه ونشاهد بأعيننا عملة على الأرض. وستكون أول لقطة في عصر الدولة العثمانية، تحديدًا عام 1897 في عهد السلطان عبد الحميد، وهو التاريخ الذي انكشف فيه التنظيم لأول مرة بعد قرون من الخفاء وأعلن مسؤوليته عن قتل حواريي المسيح وتسميم النبي محمد حتى يكسر شوكة المسيحية والإسلام لأنهما أكبر شيء

كان يهدد الوجود اليهودي وقتها، وهذا التنظيم كان النسخة الأولى من منظمة الماسونية التي نشأت لاحقًا.

استرخ على مقعدك وحضر شرابًا حلو المذاق حتى يخفف عنك المرارة التي قد تلحق بك.

انفتح الستار الأحمر وبدأ الفيلم على الفور، دخلت الكاميرا إلى مستشفى كبير في الدولة العثمانية، رجال عثمانيون بطرابيشهم وشواربهم، نساء بفساتين مطرزة، هذه إسطنبول أو «الآستانة» كما يسمونها في هذا الزمن، عليك بالانتباه فبعد قليل سيمر «الحكيمباشي» أمام أعيننا وهو ليس شخصًا عاديًّا بل هو الطبيب الخاص بالسلطان عبد الحميد، يعني كبير أطباء الدولة.

نحن ننتظر في الرواق، الكاميرا تركز على رجل قصير يبدو أنه ينتظر مرور الحكيمباشي أيضًا، ركز في هذا الرجل جيدًا فهو الذي كشف كل شيء عن التنظيم، اسمه عوض الخوري.

بينما تنتظر الحكيمباشي وتتسلى بالنظر إلى العثمانيين بتحريك الكاميرا دعني أخبرك أن عوض الخوري هذا مسيحي لبناني معارض للدولة العثمانية، وله كتاب اسمه «لبنان في خطر» وعضو مهم في تنظيم «تركيا الفتاة»، الكيان اليهودي الذي أسقط الدولة العثمانية بعد سنوات من تاريخ هذا المشهد، عوض كذلك هو عضو بارز في الماسونية التي كان السلطان عبد الحميد يحذر منها في كل فرصة.

ها قد ظهر الحكيمباشي، الكثير من الأطباء يسلمون عليه والمرضى، في الوضع العادي لا تكون حوله حراسة لكن اليوم هناك حراسة سرية حوله هو نفسه لا يدري أنها موجودة، جنود يرتدون زي المدنيين ويمشون في المستشفى.

الاستخبارات العثمانية «يلدز» كشفت أن هذا الطبيب وضع السم للسلطان عبد الحميد، وهم الآن يراقبونه سرًّا ليصلوا إلى بقية التنظيم، وها هو عوض الخوري بدأ يتنحنح ويتأهب للسلام على الحكيمباشي.

إن عوض في ورطة الآن وهو لا يشعر، فتنظيم تركيا الفتاة بعث معه رسالة تحذير سرية يعطيها للحكيمباشي، وعوض لا يدري شيئًا عن محتوى الرسالة، هو فقط ينفذ أوامر التنظيم.

مال عوض على الحكيمباشي وقال: «سيدي أنا عوض الخوري، صانع بذلات تليق بالبشوات. أي بزة فاخرة تراها في الآستانة هي من عندي، دعني أعطيك كارت البوستال الخاص الذي فيه عنوان مكاتبتي».

ابتسم الحكيمباشي وتوقف عن السير ومد يده ليسلم على عوض.

مد عوض يده ليسلم على الحكيمباشي ويده الأخرى تدنو إلى جيبه ليأخذ الرسالة، وفي ثوان معدودة كان حول عوض خمسة رجال مفتولين بخمسة شوارب عثمانية كبيرة أخذوه بعنف وسط ذهول المارة وشهقات النساء.

فتش رجال «يلدز» عوض بطريقة خشنة جدًا لكنهم لم يجدوا معه أي رسالة، فصاحبنا عوض كان صانع بذلات ماهرًا، وقد صنع في بذلته جيبًا سريًا داخليًا يستحيل أن يصل إليه إلا من يعرف مكانه أو من يخلع البنطال ويقلبه وينظر فيه بتمعن.

قال أحدهم بغلظة: «أين أوراقك الثبوتية يا أفندي».

قال عوض وهو يخرج أوراقه: «أنا لست أفندي، أنا تاجر كبير وقد أتيت من باريز في فرنسا. وأسكن هنا في لوكاندة روزا».

نظر الرجل في الأوراق الثبوتية ورغم سلامتها فإنهم لم يكتفوا بها، بل سحبوا عوض إلى اللوكاندة وفتحوا فيها كل دولاب ودرج.

دعك منهم بصرامتهم وشواربهم الكبيرة، حرّك الكاميرا وانظر تحديدًا إلى هذه الحقيبة التي يضعها عوض على سريره، فالوثائق التي تكشف التنظيم موجودة هناك في جيب سري، وإن رجعت بالكاميرا إلى وجه عوض ستجده يتصبَّب عرقًا وينظر كل حين خلسة إلى الحقيبة والرجال يفتشون غرفته.

هذه الحقيبة فيها كل القصة، بمجرد أن ضغطت عليها تلاشى المشهد وأصبحنا في مشهد آخر تمامًا، في ريو دي جانيرو بالبرازيل، تحديدًا أمام

قصر الرئيس البرازيلي برودانتي دي موررايس، ما علاقة هذا بالحقيبة؟ ستعرف.

***

ظهرت على الشاشة جملة «قبل 6 شهور».

الكاميرا تقترب من القصر، الحراس يقفون في شموخ وأعينهم كالصقور، باب القصر ينفتح أمام الكاميرا ويظهر بهو فخم جدًا وسجادة حمراء تصعد على سلم فاخر، الكاميرا تصعد السلم وتنظر إلى لوحة عملاقة للرئيس برودانتي بلحيته القصيرة وملامحه الوسيمة ونظرته المهمومة، الكاميرا تتحرك في الرواق ناحية غرفة معينة بابها شبه مفتوح، الكاميرا تدخل، يبدو رئيس البرازيل من ظهره واقفًا بطوله الفارع، وهناك رجلان يجلسان متواجهين بينهما طاولة صغيرة عليها أوراق يكتبان فيها شيئًا ما بانهماك والرئيس ينظر إليهما كل حين. أحد هذين الرجلين هو عوض الخوري، وهذه حقيبته موضوعة بجواره على الأرض.

الرجل الآخر ذو الشارب المعقوف والعينين المكحلتين الذي يجلس أمام عوض هو الشخص الثاني الذي نريده، هذا الرجل هو الذي كشف سر التنظيم لعوض بعد أن ظل مخبوءًا لأكثر من ألف وثمانمئة سنة.

جوناس لورانس Jonas Lawrence أو كما يسميه عوض «الخواجا لوران»، ثري يهودي تاجر في المجوهرات ومن كبار اليهود الماسون في البرازيل، هذا الخواجة بشاربه الطويل هو الوحيد الباقي من نسل التسعة الذين أسسوا التنظيم اليهودي أول مرة.

كانت معه مذكرة مكتوب فيها أفعال التنظيم السوداء ودرجاته وأسماء أعضائه وعوض جالس أمامه يترجم المكتوب سطرًا سطرًا إلى اللغة العربية، ومع كل سطر يترجمه عوض ترتجف عيناه ويمسح من جبينه عرقًا وهميًا؛ فالمعلومات المكتوبة هنا خطرة جدًا، وتذل لأجلها الرؤوس.

قال الخواجة لوران: «ارتح من الترجمة قليلًا يا سيد خوري، وقل لي ما الذي جاء بك لتعيش في البرازيل وأنت معارض في الدولة العثمانية؟».

قال عوض وهو يمسح وجهه في إرهاق: «أنا تاجر حرير كما تعلم، أتيت هنا يومًا لأستورد حريرًا من البرازيل، وبسبب مهارتي في صناعة البذلات المحمية تعرف بي الدكتور برودانتي رئيس البرازيل، وأخذني لأعمل في القصر البرازيلي ونسيت أمر الدولة العثمانية ومعارضتها».

تحدثوا قليلًا ليمضوا الوقت وينسوا التعب، دعني أخبرك بأمر يخص لعبتنا، لولا أنك ضغطت على الحقيبة ما كنت جئت إلى هنا ورأيت هذا المشهد، ولو أن شخصًا آخر كان يشاهد الفيلم وضغط مثلًا على أحد الحراس في مشهد تفتيش الفندق لذهب إلى لقطة أخرى وقصة أخرى خاصة بالحارس، هل فهمت تقنية الفيلم التفاعلي؟ هناك مئات الساعات المسجلة والتي جهزها المخرج والمنسق حسب خريطة معينة، وكل شخص يرى منها ما يسوقه إليه اختياره.

انظر إلى الخواجة لوران جيدًا بالكاميرا، إنها ملامح رجل ارتاح من سر أثقل كاهله، فرغم أنه ماسوني من درجة عالية جدًا، ومن نسل تسعة رجال أسسوا التنظيم الأول الذي أخذت منه الماسونية كل رموزه ودرجاته، فإنه رجل صالح، لأنه قرر أن يفضح كل القذارة، ولا شيء أفضل من شخص داخل البيت ليفضح لك كل القذارة الموجودة في البيت.

عوض أيضًا ماسوني كما أخبرتك وكذلك رئيس البرازيل، ولقد قرر الثلاثة أن ينشروا كل شيء، فضمائرهم لم تحتمل، عوض سيترجم الوثائق من اليهودية إلى العربية وينشرها في الشرق الأوسط. لوران سيترجمها إلى الإنجليزية والإسبانية، وينشر الكتاب في أوروبا. الرئيس البرازيلي سيتولى نشره في الأمريكتين، لا بُدَّ للعالم أن يعرف، لأن المكتوب لا يحتمله عقل، وهذه المذكرات توارثها أجداد الخواجة لوران جيلًا بعد جيل، وهم أجداد صالحون لكنهم فشلوا في نشرها، فبعضهم قتل عند محاولة نشرها وبعضهم خاف، لكن لوران اليوم أخذ القرار وعزم.

الآن دعك من هؤلاء الثلاثة، فإذا ضغطت على أي واحد فيهم ستذهب إلى مشاهد من حياته وأموره التي لا شأن لنا بها، ركِّز على هذه المذكرات المفتوحة أمامك على الطاولة بينما يتحدثون، وتحديدًا على هذا الاسم الذي

يزين أعلى الصفحة «هيرودس أغريبا»، نعم هو ذاته الذي رأيناه في اللوحة الأخيرة عند الرفيق «ل»، فكما ذكرنا لك، كل شيء مرتبط بكل شيء، دعنا لا نضيع مزيدًا من الوقت واضغط على اسم أغريبا لنكمل.

اقتربت الكاميرا من حروف الاسم حتى اسودت الشاشة وأخذنا الفيلم إلى هناك، إلى عالم هيرودس أغريبا.

***

لم يكن أغريبا يشعر بالألفة في أورشليم، فهو الذي تربى منذ صغره في البلاط الإمبراطوري في روما مع أولاد إمبراطور المملكة الرومانية وجميع أصدقائه الصغار كانوا أمراء. كلوديوس. دروسوس، وصديقه العزيز المجنون كاليجولا، واليوم غاية ما وصل إليه هو أن يكون مشرفًا على تجار يهود.

فجأة خلع أغريبا نفسه من السوق وقرر السفر ليعيش في روما لعله يصل إلى منصب ما، وفي ذات ليلة كان يمشي مع صديقه الأمير كاليجولا في عربة ملكية تجرها الخيول، وبينما هما يتضاحكان قال أغريبا مازحًا: «آه يا كاليجولا، متى يموت هذا العجوز الإمبراطور تيبيروس وترث منه الحكم وتصير حاكم العالم».

ابتسم كاليجولا وتصرف بحكمة ولم يرد، لمح أغريبا بطرف عينه قائد عربة الخيول العجوز يستمع إلى محادثتهم، نظر إليه أغريبا في قلق، لم يتصنع قائد العربة أنه لم يسمع، ولم ينظر بعيدًا، بل كان ينظر بعينه العجوز إلى عين أغريبا مباشرة.

في اليوم التالي قُبِض على أغريبا وأُلقي في السجن مقيدًا بالسلاسل وهو يجز على أسنانه وصورة ذلك العجوز اللعين ذو الأسنان المكسورة لا تفارقه، لقد وشى به ذلك القمي».

قضى الأمير البائس شهورًا داخل السجن حتى أُخِذ ذات يوم مع بقية المساجين في نزهة خارج السجن وهم مقيدون في بعضهم بعضًا، وفجأة وقعت مشاجرة بين السجناء وبدأ الحراس يفصلون بينهم، لاحظ أغريبا ظلًا

يمر فوق رأسه فنظر ليجد بومة سوداء قبيحة تفرد أجنحتها ثم تحط على غصن الشجرة وتنظر إليه في ثبات.

- أنت اليوم تعتبر نفسك أسوأ البشر.

فزعه الصوت القادم من خلفه فنظر ليرى رجلًا عجوزًا قبيح الملامح مكسور الأسنان، اندفع أغريبا يقول غاضبا: «أنت يا وجه القذارة الذي..».

قال العجوز ونظرته لم تتغير: «لكن بعد خمسة أيام فقط ستصبح أنت الملك».

استدار العجوز وبدأ يمشي منصرفًا من المكان، وطارت البومة السوداء مبتعدة، ثم التفت الرجل العجوز فقال وعيناه تلمعان: «انسَ العذاب وتمتع بالحياة يا أغريباس، لكن لو رأيت هذا الطائر يحلق فوقك مرة أخرى فاعلم أنك بعد خمسة أيام. ستموت».

في تلك اللحظة صرخ أحد الحراس على العجوز ليبتعد وجذب أغريبا من سلسلته وحالت بينهما الجموع، وابتعد العجوز وأغريبا ينظر إليه في مشاعر بين الذهول والغضب والرعب.

وبعد خمسة أيام بالضبط توفي الإمبراطور العجوز تيبيروس، وأصبح كاليجولا صديق أغريبا هو الإمبراطور، ووجد أغريبا جنودًا ذوي طراز ملكي يأتون إليه في سجنه ويفكون له السلاسل الحديدية التي تربطه ويعطونه بدلًا منها سلاسل ذهبية هدية من الإمبراطور.

خرج أغريبا من محبسه في شرود وهو لا ينفك ينظر إلى تلك الشجرة التي كانت عليها البومة، وعلى الفور أعطى كاليجولا صديقه أغريبا حكم نصف مملكة اليهود وتحققت نبوءة العجوز بحذافيرها.

عاد أغريبا للأرض المقدسة وهو ملك على نصفها وأخته هيروديا ملكة على النصف الآخر. وأطلق جنوده للبحث عن ذلك العجوز في كل مكان. بلا جدوى.

لم يضع أغريبا وقتًا بل شغل نفسه في تحقيق حلم أكبر، حكم أرض اليهود كلها، وتحقق له هذا بحيلة خبيثة، حيث أرسل رسالة إلى صديقه

كاليجولا يتهم فيها أنتيباس زوج هيروديا بالخيانة وصدقه كاليجولا وعزل أنتيباس ونفاه هو وهيروديا إلى ليون في فرسا، وأعطى أغريبا النصف الثاني من مملكة اليهود، وأصبح أغريبا ملكًا على أرض اليهود كلها.

وبينما كان أغريبا جالسًا على نفس ذلك العرش الذي جلس عليه هيرودس الكبير يتمتع بملكه وغانياته دخل عليه رجل مهيب، الكاهن الأكبر للسنهدرين. رئيس السبعين المجرمين. ركزت الكاميرا على وجه هذا الكاهن بالذات بلحيته الكبيرة المرتبة. كان اسمه حيرام أبيود، ويلقب بالثعلب، وفور أن رآه أغريبا أشار بيده لكل الخدم والغانيات بالانصراف.

قال حيرام بهدوء: «هنيئًا لمولاي لقب ملك اليهود، لكن تذكَّر، كل من أخذ هذا اللقب من الهيروديين مات بطريقة بشعة كأنه لقب ملعون».

بلع أغريبا ريقه وهو يتذكر نبوءة العجوز والبومة السوداء وأخذ ينظر حوله في قلق حاول إخفاءه، وذلك الكاهن حيرام يكمل: «هيرودس الكبير صاحب مذبحة أطفال بيت لحم أصيب بمرض لم يعرف له أحد اسمًا ولا وصفًا من قبل، وفي النهاية أمسك بخنجر وطعن نفسه ليتخلص من آلامه المبرحة».

قال أغريبا بتوتر: «وما شأننا نحن بهذا. فلنهتم بما نحن فيه».

أكمل حيرام كأن لم يسمعه: «هيروديا أختك وزوجها أنتيباس عمك بعد أن نفاهم صديقك كاليجولا إلى ليون بسبب وشايتك اجتمع عليهم المتشددون هناك وصاحوا في الشارع «ارجموا الزاني والزانية»، ووجدا نفسيهما محاطين بحشد من الوجوه الكارهة الجائعة الذين أخذوا يرجمونهما حتى تشوَّه وجهاهما فلم تعد تعرف جثة هيروديا من جثة زوجها».

بدأ أغريبا يستمع بقلق وحيرام يكمل: «أما سالومي فقد ماتت بطريقة مبتكرة حقًا، فبعد نفي أمها هيروديا تركت سالومي البلاد مسافرة إلى ليون لتلحق بأمها لكن الشتاء نزل وتجمدت الأرض، وبينما هي تمشي انكسرت الأرض تحت قدمها فجأة وسقطت في بركة من الجليد، وأخذت تحاول التملص والخروج بجسدها الذي أصبح يتلوى يمينًا وشمالًا بنفس ما كان يتلوى في

رقصها العاري حتى تجمدت الأرض على جسدها، ولم يبق غير رأسها فوق الأرض وهي تذوق الموت بالبطيء، ومرت أيام عليها هكذا وهي لا تموت حتى انفصل رأسها عن جسدها وتدحرج على الأرض بمثل ما قطعت رأس يحيى».

ثم ختم حيرام بقوله: «وذلك المدعو عيسى، بعد صلبه حدث شيء رهيب، انشقت أرض الهيكل وانفصل إلى نصفين، وما زال البناؤون يصلحون ذلك الشق حتى الآن بلا فائدة».

ضيق أغريبا عينيه وقال مستنكرًا: «هل تلمح أن هؤلاء الأنبياء الكذبة يحيى وزكريا وعيسى كانوا على حق وأن الرب ينتقم لهم؟».

قال حيرام: «عفوًا يا مولاي، إن لنا تاريخًا حافلًا بقتل الأنبياء الكذبة، فليس أسوأ على الرب من نبي كاذب، لكن في السابق كان قتل النبي الكاذب يدمر دعوته ولا يسمع به أحد، أما عندما قتلنا زكريا ويحيى وعيسى فالأمر انعكس وأصبحت دعوة عيسى تنتشر أكثر حتى لا يخلو منها كل بيت، حتى قصرك هذا، بين هؤلاء الحرس ستجد منهم من يؤمن بدعوته».

قال أغريبا بغضب: «إذن يُذبَحون كالنعاج في الطريق».

رد عليه حيرام: «هذا المسيح الدجال عيسى قد فتن شعبنا من اليهود فأصبحنا نرى الابن ينفصل عن أبيه وأمه، والزوجة تترك زوجها ويلحقون بدعوته، ولا بُدَّ أن نتعامل مع هذه الفتنة بحكمة لأننا لو تركناها تنتشر هكذا ستمحو العقيدة اليهودية عن الوجود».

قال أغريبا: «ما الذي تفكر فيه؟».

قال حيرام: «نقطع رؤوس الثعابين، أولئك الذين يسمونهم بالحواريين، أمّا الشعب فليس الحل أن نقتله، بل أن نطلق بينهم رجالًا منّا، ليسوا جنودًا ولا كهنةً، بل رجال من الشعب، يتحدثون بكلام ليس فيه سيف ولا عصا كاهن، كلام قريب منهم يجفف منابع الفتنة، وينشر في قلوبهم ووجدانهم أن هذه المسيحية الناشئة هي شر، وأن عيسى هذا نبي كذاب».

لمعت عين أغريبا إعجابًا وقال: «يعني نُنشئ تنظيمًا خفيًا يكون من الشعب ويسير بين الشعب ويكون ولاؤه لدولة اليهود وملك اليهود ويأخذ تعليماته مني ومن السنهندرين».

أومأ حيرام برأسه إيجابًا وقال: «أخذتها من طرف لساني يا مولاي».

وهكذا بدأ الأمر كله، اضغط الآن على حيرام أبيود وجهز نفسك لتشهد ولادة التنظيم.

***

في حجرة مخبوءة مظلمة بقصر الهيروديوم لا تضيئها سوى الشموع وقف تسعة رجال أحدهم ملك، وثانيهم كاهن، والسبعة الباقون من وجهاء شعب اليهود، مدوا أيديهم ووضعوها فوق بعضها بعضًا وتحتها التوراة اليهودية، تجولت الكاميرا في وجوههم التي تعطيها الشموع مظهرًا مهيبًا.

هيرودس أغريبا، حيرام أبيود، مؤاب لافي، جوهانان، أنتيبا، جاكوب أبدون، سلومون أبيرون، أدونيرام، آشاذ آبيا، وكان حيرام أبيود هو الذي يتكلم وصدى صوته يقرع أسماعهم.

- أنتم رجال الملك وأعوانه وقوام الملك وحياة الشعب اليهودي، هناك فتنة خفية شديدة تحاربنا وأنتم الذين ستقطعون دابر هذه الفتنة قبل أن تبيد الشعب اليهودي عن آخره، فليحلف كل واحد منكم يمينه.

«أتعهَّد ألا أخون إخوتي، وأن أجتهد بتوفير عدد أعضائها، وأن أناهض بأفكاري كل مَن يتبع الدجال عيسى، وأن أحارب أفكار أتباعه وسأموت على هذا، وألا أبوح بأي سر من الأسرار المحفوظة بيننا».

قال لهم الملك: «أسرار هذه الجمعية يجب أن تكتموها وتبالغوا في كتمانها إلا عن الشخص الذي ستورثونه السر، يباح لكم ارتكاب أي شيء حتى القتل طالما الغرض هو الحفاظ على كيان الدين اليهودي، وسيتولى الملك بجنود الدولة الظاهرين قتل رموز الفتنة».

قال حيرام أبيود: «هل يحسن في رأي مولاي أن يكون اسم التنظيم «الاتحاد اليهودي الأخوي»؟».

قال أغريبا: «بل إني قد هيأت لها اسمًا أفضل وهو «القوة الخفية» The Mysterious Force. أفلا تستحسنونه؟».

وافقه الجميع وتقدم كل واحد منهم يتلو يمينه، وخرجوا للتنفيذ، وخلال شهرين فقط بلغ عددهم ألفي أخ يحملون لقب «الخفيين» وبدأوا في إنشاء فروع للتنظيم سموها «محافل» وكان رمز الجمعية هو النجمة السداسية.

كانوا يختارون الأعضاء بعناية من المؤثرين في الشعب، وحتى يضموا لهم أعضاء أكثر اضطروا إلى عمل جمعيات أخرى بأسماء أخرى لا تشير للهوية اليهودية للتنظيم لكن هدفها هو نفس هدف التنظيم، نشر بُغض يسوع وأتباعه بين الناس وحب اليهود مناصرتهم، هكذا زاد عدد المنضمين لهم بشكل كبير في وقت قليل، وانضم لهم كثير من فلاسفة ذلك العصر.

وابتدعوا علامات سرية يعرفون بها بعضهم بعضًا بمجرد النظر، مثل أن تنظر إلى عين الشخص مباشرة ثم إلى كتفه اليسرى ثم إلى كتفه اليمنى فيحصل التعارف، أو عند السلام تضغط بإبهامك ضغطة خفيفة على العقلة الأولى العليا من السبابة.

أما أغريبا فقد أطلق جنوده بالسيف يلاحقون الحواريين الذين اشتد خطرهم، وأصبحوا مؤثرين جدًا وكثيرٌ منهم ظهرت عليه معجزات.

طارت بك الكاميرا فوق الأرض المقدسة لتريك مشهدًا من منظور الطائر للفوضى التي حصلت والدماء التي سالت والجنود الذين يقبضون على كل مَن يُشتبه به حتى قبضوا على التلميذ الحواري يعقوب بن زبدي ابن خالة المسيح عيسى، صعدت الكاميرا إلى ساحة قلعة هيروديوم وأصبحت ترى الجنود ممسكين بيعقوب وقد أدلوا برأسه إلى أسفل والسياف يرفع السيف وينزل على رأسه الشريفة فيقطعها.

ثم مالت بك الكاميرا فوق القلعة لترى اجتماع الشعب في مظاهر احتفالية كبيرة، وهيرودس يطلع لهم من شرفة القلعة، هذا عيد يهودي اسمه عيد

الفطير، ولا بُدَّ أن يرضي الملك فيه الشعب بهدية، ولقد خبأ لهم هيرودس هدية من دم، رأس الحواري بطرس. خليفة المسيح الأول الذي يلقبونه بالصخرة، والذي تسبب في هداية كثير من اليهود إلى المسيحية، لكن لأن هذا العيد لا يجوز فيه القتل فقد انتظر أغريبا حتى انتهاء العيد، وخرج عليهم من شرفة القصر وهم متجمعون في ملابسهم الاحتفالية ينتظرون قطع رأس بطرس.

تحركت الكاميرا لتترك هذا الجمع، وتريك سجن القلعة من الأعلى حيث يظهر بطرس النائم في زنزانته مربوطًا بسلسلتين عظيمتين، ويقف على زنزانته أربعة جنود أشداء مفتولي العضلات. كل هذا التأمين من أجل حراسة رجل واحد، هذا يوضح لك مدى خطورته، لكنه كان نائمًا رغم علمه أن موته بعد ساعات.

فجأة ظهر نور يتحرك في ممر الزنازين، نزلت الكاميرا لتتبين الأمر فإذا هو رجل مهيب يمشي والنور يشع من حوله كأنما هو ملاك، وبالحق لقد كان ملاكًا فإن حراس السجن كانوا ما يزالون على وقفتهم كأنما لا يرون أي نور، ولو دققت في أعينهم ستجد النعاس قد غشيهم وهم واقفون، ودخل الملاك من الزنزانة كأنما هي سراب وسقطت السلاسل عن يد بطرس كأنما هي وهم، وخرج بطرس من السجن أمام رؤوس الجنود الواقفين بلا حراك، ولم يجد أغريبا شيئًا يقدمه للمحتفلين بالخارج فجنَّ جنونه في ذلك اليوم، وأمر بقتل حراس السجن وضاعف عدد الجنود الوحشيين المطلوقين في الطرقات.

خرج الحواريون من الأرض المقدسة بعد ملاحقة أغريبا الوحشية، وتفرقوا في البلاد يدعون إلى الله، فانطلق بطرس إلى روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، ويوحنا إلى الأناضول وبرثولماوس إلى اليمن، وغيرهم، ولم يهدأ أغريبا بل أرسل أغريبا جنوده وراءهم حيثما ذهبوا، وليس فقط جنوده، بل أرسل رجال منظمة القوة الخفية إلى تلك البلاد ليحاربوا الأفكار التي ينشرها الحواريون، فبلغ عدد محافل منظمة القوة الخفية 45 محفلًا في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية الواسعة وما حولها، وكلما أنشأ الحواريون كنيسة لعبادة الله الواحد أنشأت المنظمة محفلًا.

وفي ذات يوم موعود، في الصباح التالي لدورة الألعاب الرومانية، خرج هيرودس أغريبا على شعبه وهو يرتدي حلة فضية منسوجة من خيوط الفضة ومطرزة بطريقة شديدة الفخامة واللمعان، نظر الشعب إلى أغريبا وأشعة الشمس تنعكس على حلته الباهرة، فصرخوا هاتفين يحيونه، كان يبدو وسيمًا حقًا في هذه الحلة، سمع عبارات مديح تخرج من أفواههم أعجبته جدًا ثم صرخت مجموعة منهم. «أيها الناس ما هذا ببشر، إن هذا إلا إله كريم»، أصابت الجملة وترًا متعاليًا في نفس أغريبا الذي ابتسم لهم، رغم أنه يهودي الديانة كما يقول.

وهناك وسط الجموع، ظهرت بومة سوداء بشعة فردت جناحيها وطارت حتى نزلت على شرفة أغريبا الذي تجمدت عروقه وهو يحرك عينيه يمينًا وشمالًا في رعب، حتى ظهر له من بين هتاف الجموع رجل يمشي بقلنسوة سوداء على رأسه، وينظر إلى أغريبا نظرة يعرفها جيدًا. أرخى الرجل القلنسوة من على رأسه فعرفه أغريبا، بتلك الأسنان المكسورة التي يملكها، وذلك الوجه القبيح العجوز الذي ينظر في شماتة.

***

خمسة أيام، شحب فيها وجه أغريبا حتى صار كوجوه الموتى من الخوف، أسوأ ميتة هي عندما تعرف أنك ستموت يوم كذا ولا تدري كيف، فتحتاط لكل شيء. لم يغادر قصره، لم يجعل أحدًا يدخل عليه مهما كانت درجة قرابته، كل طعامه موجود في غرفته، أخلى الدور الذي يعيش فيه وطرد جميع الخدم ووضع أجنادًا مجندة حول القلعة في كل مكان، كان يتذكر كلام العجوز ويتذكر أكثر كلام حيرام أبيود، وهو يحكي له كيف مات هيرودس وهيروديا وأنتيباس وسالومي، حتى الشعب شاع بينهم أن الملك سيموت فأصبحوا ينوحون وينتحبون فأصبحت دولته كلها وكأنها مغطاة بسحابة من الكآبة، وغربت شمس اليوم الخامس واختفت وراء تلك السحابة، وكانت طريقة موت أغريبا هي أسوأ طريقة فيهم جميعًا.

فجأة ظهر الدود في جسده وبدأ يأكله، هكذا بلا سبب، كان يصرخ ويحك جلده ويغسله فيظهر الدود أكثر مما سبق، وكأن الحك يولد مزيدًا من الدود، لم يكن دودًا عاديًا بل دقيقًا جدًا يتحرك حركة سريعة يأكل وينخر. وكلما وصل الدود إلى طبقة أعمق ازدادت آلام أغريبا، وبالطبع لا حاجة لأن أقول لك إن الأطباء قد أتوا من كل مكان ليفهموا أي شيء بلا جدوى. ظل أغريبا يتساقط شيئًا فشيئًا، ويذوق الألم حتى قتله الرعب قبل أن يقتله الدود، وتركه أهله ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه لئلا ينتقل إلى جسده هذا الدود الوحشي، وظل هكذا حتى لم يجد الدود شيئًا يأكله فاختفى في جحور الأرض.

بقت الكاميرا في الغرفة حتى دخل ابنه الشاب أغريبا الثاني الذي تولى الحكم بعد أبيه، اضغط عليه الآن لنستمر.

أخذ الشاب أغريبا مكان والده في الحكم وفي منظمة القوة الخفية، ولم يتعظ أحد في المنظمة بل أصبحوا أشرس بكثير، وانضم لهم إمبراطور روما الجديد نيرون الذي أحرق روما كلها عن بكرة أبيها، أحرقها حقيقة وليس مجازًا، وأشعل النار في قصره الخاص وألصق التهمة بالمسيحيين الذين وجدوا قوات الإمبراطورية الرومانية كلها تلاحقهم بعد أن كانوا يهربون من قوات أغريبا وحده، وبدأ كرنفال الدماء.

كان المسيحيون يموتون بأبشع وسيلة يمكن أن يموت بها إنسان، أصبح نيرون يلفهم في جلود الحيوانات ويلقيهم للوحوش المسعورة في مسرح الألعاب الرياضية، ليس هذا فقط بل إنه كان يأمر أن يدهنون رجالًا ونساءً بالقار والزيت ويشعل فيهم النار ويعلقهم على أعمدة الصنوبر ليكونوا مشاعل تضيء له الطريق، ومن هول ما ذاقه المسيحيون على يد نيرون ظنوا أنه هو المسيح الدجال الذي حذر منه عيسى.

أما بالنسبة إلى الحواريين فقد قُبِض أخيرًا على بطرس «الصخرة» وصلبه رأسًا على عقب بالقرب من سيرك نيرون.

وأُلقي يوحنا بن زبدي كاتب إنجيل يوحنا في الزيت المغلي، أما برثولماوس فوُضِع في كيس من الرمل وأُلقي في البحر ليموت غريقًا.

لكن الإمبراطور نيرون كانت به لوثة في عقله فيما يبدو، فجأة غيَّر رأيه بالنسبة لليهود وانقلب عليهم، ويبدو أن انضمامه الأول إلى التنظيم كان فقط لكسر شوكة ذلك الدين المسيحي الجديد الذي بدأ ينتشر بين شعبه ويبعدهم عن الوثنية، فلما قتل نيرون الحواريين وشعر أن اليهود بدأوا بالركوب على الإمبراطورية انقلب ضد اليهود، وبدأ يضطهدهم حتى إنه نهب كنوز الهيكل وقال إنها من حق الإمبراطور، فثار اليهود ثورة كبيرة لكن أي ثورة تلك التي تكون ضد نيرون المختل الذي نزلت جنوده تذبح في اليهود وتطاردهم كما كانت تفعل مع المسيحيين، وهرب هيرود أغريباس الثاني من قصره وترك التنظيم وكل شيء ونزل جنود الرومان إلى القدس وهدموا الهيكل الثاني وتفرق اليهود وانتشروا في الأرض.

أكثر اليهود نزلوا إلى اليمن، لأنها كانت تابعة لمملكة فارس التي لم تضطهد إخوتهم يهود أصفهان بل أكرمتهم، وستعرف شأن يهود أصفهان عند رفيق آخر.

أما ما يهمنا هم اليهود الذين نزلوا إلى اليمن لأنه كان فيهم الشيوخ السبعون، وورثة تنظيم القوة الخفية.

هؤلاء في اليمن أنشأوا المحفل اليمني لمنظمة القوة الخفية، وهو نفسه الذي أصبح في العصر الحديث المحفل الماسوني اليمني.

والآن اضغط على هذا المحفل وتعالَ إلى القسم الأخير من هذا الفيلم، والذي سيتعلق بقتل خاتم الأنبياء. محمد صلى الله عليه وسلم.

***

سبأ، الجنة الخضراء التي لا تكاد تصدق أن يحدث فيها مكروه صارت حمراء من النار والدم. والألم.

بدل عبير الزهور الذي كنت تشمه في كل مكان وأنت تمضي في بساتينها أصبحت تشم رائحة اللحم المحترق، لحم المؤمنين، والسبب هو أن اليهود السبعين وصلوا إلى حكم مملكة سبأ، وهذا الرجل ذو الضفيرتين على رأسه هو «ذو نواس» ملك اليهود في اليمن ووارث التنظيم، وقد رمى بالمؤمنين

بالإله الواحد في الأخدود وأحرقهم في أسوأ محرقة عرفها التاريخ القديم، وسموا بأصحاب الأخدود.

ومرت السنون وأصبحت سبأ صفراء بعد انهيار سد مأرب ونزول سيل العرم عقابًا من الله، فبدأ كثير من اليهود يهاجرون منها.

إلى يثرب.

المهاجرون كانوا ثلاثة؛ بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، وكان فيهم الشيوخ السبعون موزعين على ثلاثة قبائل يهودية، نزلوا إلى يثرب لأنه مذكور في توراتهم المحرفة أن الله سيبعث نبيًا في آخر الزمان ومكتوب في التوراة اسمه وصفته فكانوا ينتظرونه ويستبشرون أنه سيكون يهوديًّا حسب توراتهم المحرفة التي تقول إن كل الأنبياء في التاريخ لا بُدَّ أن يكونوا يهودًا، كأن شعوب الأرض الأخرى في الشرق لا وزن لهم ولن يرسل الله لهم أنبياء أبدًا.

استعمر اليهود يثرب وحكموها أسوأ حكم يمكن أن تسمع عنه، حتى إن ملكهم الفاجر كان يضاجع أي عروس قبل أن تدخل على زوجها، لكن الأوس والخزرج قتلوه وأنهوا حكم اليهود في يثرب، لكن اليهود ظلوا يسكنون فيها حتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخزاهم الله وأخرجه من نسل إسماعيل وليس من نسل يعقوب.

أما التنظيم اليهودي فقد ورثه بنو النضير وحدهم من بين كل يهود السبعين، احفظ معي أسماء وارثي التنظيم من يهود بني النضير فسيكونون أبطال المشهد الأخير في الفيلم.

ظهرت ثلاثة صور على الشاشة؛ هذا العجوز ذو الحاجبين الثقيلين هو حُيي بن أخطب زعيم بني النضير في زمن محمد، وهذا الشيخ الذي يرتدي الذهب هو سلام بن مشكم، يمكنك أن تطلق عليه بنك اليهود، كل ذهب اليهود في كفة وذهب هذا الرجل في كفة، وهو وزير بني النضير في زمن محمد، وهذه المرأة قميئة الوجه هي زوجته زينب بنت الحارث وهي ساحرة يهودية، هل عرفت أبطال المشهد؟ الآن اضغط على العجوز ذي الحاجبين الثقيلين فهو الزعيم.

أخذتنا الكاميرا إلى داره، كان يقف في منتصف ساحة الدار يتحدث مع الشيخ الذي يرتدي الذهب سلام بن مشكم لكن الكاميرا لم تقترب منهما، بل بقيت بعيدًا وراء عمود في البيت، لو حركت الكاميرا يمينك ستجد فتاة واقفة خلف نفس العمود تستمع باهتمام لما يقوله أبوها العجوز زعيم بني النضير وزوجها الشيخ صاحب الذهب الذي يكبرها بكثير، هذه الفتاة هي صفية بنت حيي، ابنة زعيم تنظيم الشر، وزوجة وزير تنظيم الشر، هذه صفية التي ستكون بعد حين زوجة النبي محمد وأم المؤمنين.

تعالَ نضغط زرَّ التقريب في الكاميرا لنقرب الصورة من العجوز حُيي بن أخطب، ونسمع ما يقول، كان حيي يبدو غاية في التوتر والشيخ سلام يسأله: «أهذا الرجل الذي رأيناه هو المكتوب في التوراة؟».

نظر حيي إلى الأرض ومطَّ شفتيه ولم يرد، فقال له سلام: «أهو هو نفسه؟».

زفر حيي بن أخطب وقال: «نعم أنه والله هو».

قال سلام: «فماذا في نفسك منه؟».

رفع حيي بن أخطب عينه وقال: «عداوته ما حييت».

كانا قد رأيا النبي محمد لأول مرة منذ ساعة، وشاهدا تلك العلامة أسفل كتفه، وعرفا أنه المبشر به في التوراة، لكن المشكلة أنه جاء على غير العادة تمامًا، المفترض أن يكون النبي الحقيقي أو حتى النبي الكاذب يهودي كما تقرره توراتهم العنصرية، لكن هذا النبي عربي، وهذا يحطم أسطورة التوراة، لم يكن القرار بعدها يحتاج إلى تفكير، قرَّرا في تلك الساعة أن يقتلاه، كما قتل اليهود قبله أنبياء كذبة كثير.

هنا سمعنا شهقة مكتومة من صفية التي بجوارنا، حركنا الكاميرا ناحيتها فوجدنا امرأة عجوز قميئة خلفها تنظر لها بشرٍّ، تلك هي الساحرة زوجة سلام بن مشكم ، والتي تزوج عليها صفية.

يعني صفية ليست فقط ابنة الزعيم وزوجة الوزير، بل إن ضرتها هي ساحرة اليهود الأولى، هكذا فهمت الوضع الذي نحن فيه، دعنا نترك الزوجتين ونضغط على ذلك الرجل صاحب الذهب سلام بن مشكم وتعال نتبع الكاميرا.

***

إنه الليل في المدينة، القمر لا يظهر منه شيء تقريبًا، الصمت مع سواد الليل هما المسيطران ها هنا إلا من بعض المشاعل داخل البيوت، نحن في مساكن بني النضير في المدينة، وهناك رجل واحد يمشي في الظلام بين المساكن حتى وصل إلى مسكن معين دق بابه بحذر، هذا أبو سفيان سيد أشراف قريش، وهذا البيت الذي يدق عليه هو بيت سلام بن مشكم صاحب كنز اليهود، فتح سلام الباب وهو ينظر خلسة إلى الخارج في حذر ثم أدخل أبا سفيان.

لم تدخل الكاميرا، كل ما نراه هو مشعل اشتعل داخل البيت للإضاءة، وفي الداخل كان سلام يحكي لأبي سفيان عن كل الثغرات التي يمكن أن يدخل منها المدينة بجيشه لينتقم من الهزيمة التي حلت بهم في غزوة بدر، يطلعه على أفضل المداخل وبالسجل اليومي لأعمال المسلمين الاعتيادية، تعالَ نقترب من النافذة وننظر، كان سلام يقول بخفوت: «هكذا عرفت كيف تدخل يا أبا سفيان، إياك أن تحدث أحدًا أنك كنت هنا، فإن بيننا نحن النضير وبين محمد عهد ألا نخونه أو نعين عليه عدوه، والله إني أخاف أن يفعل بنا كما فعل مع يهود بني قينقاع».

كان النبي قبل عدة أشهر قد طرد يهود بني قينقاع من المدينة لأنهم أشعلوا الفتنة بين الأوس والخزرج، وكادت أن تشتعل أكثر وتعيدهم لحروبهم القديمة لولا تدخل رسول الله، ولمَّا انتصر النبي في غزوة بدر اغتاظوا جدًّا فجمعهم النبي في سوقهم، وقال لهم أسلموا قبل أن يصيبكم كما أصاب قريشًا، فقالوا له إن قريشًا لا تعرف الحرب، ولو أنك حاربتنا لعرفت أنَّا نحن الناس. فأعلنوا الحرب على النبي فحاصرهم وهزمهم وطردهم من المدينة.

كان سلام يخاف أن يحدث ليهود النضير كما حدث لقينقاع، لكن أبا سفيان طمأنه، ثم نزل مع جيشه إلى أضعف مكان في المدينة وقتل هناك بعض المسلمين وأحرق بيوتهم ونخيلهم ثم عاد مسرعًا، لم يكد دخان هذه النيران يسد أنوفنا حتى رأينا جيشًا مغوارًا يشق الأدخنة ليلحق بجيش أبي سفيان، هل ترى ذلك الجيش المغوار الذي ينطلق هناك، أن فيه محمدًا رسول الله.

ها هو سلام بن مشكم يخرج من بيته ويتطاول ليرى ماذا حدث، رأى جيش أبي سفيان يلوذ بالفرار، ويلقي كل الذي على الخيل من أمتعة أغلبها من السويق حتى يتخفف من الأحمال ويقدر على الهرب، لاحقًا سمى المسلمون هذه الواقعة غزوة السويق، عضّ سلام على شفتيه، كانت الخطة أن يقتحم أبو سفيان المدينة لكن يبدو أنه غير رأيه وهرب.

بقيت الكاميرا مع سلام بن مشكم الذي يضرب كفًّا بكف، حرّك الكاميرا قليلًا إلى هذا البيت المقابل لبيت سلام واضغط عليه فهو النادي الذي يجتمع فيه بنو النضير.

أخذنا المشهد إلى يوم آخر في هذا النادي، يمكنك أن ترى الشيخ حُيي بن أخطب زعيم بني النضير يجلس مع سلام وبقية الكبراء، فجأة ظهر عند مدخل النادي مجموعة رجال لا تظهر الكاميرا سوى ظلالهم، هؤلاء هم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعشرة من أقرب أصحابه. قام اليهود وشعر أجسادهم يرتجف، هل عرف محمد شيئًا؟ لكن سرعان ما اطمأنوا فالنبي كان يطلبهم أن يساعدوه في دفع دية رجلين قتلهما بعض المسلمين جهلًا.

كان من العهد الذي على اليهود أن ينفقوا الأموال مع المسلمين في الحرب، تسابق اليهود في الاستجابة وطلبوا من النبي وأصحابه الجلوس عند ذلك الجدار هناك حتى يأتوا بنقود الدية. أعلم أنك تود الاقتراب بالكاميرا من النبي وأصحابه، لكن اضغط هناك على أي واحد من سلام بن مشكم أو حيي بن أخطب الذين ذهبوا مع الرجال ليجهزوا النقود.

أظهرتهما الكاميرا وهما يتهامسان مع بقية أشياخ اليهود وكأنهم يدبرون لأمر، لم تسمع همسهم لكن صوت سلام علا قليلًا فسمعناه يقول: «يا قوم أطيعوني هذه المرة فقط ، إن رب محمد سيخبره بما أنتم فاعلون، الأمر لا يتم هكذا بهذا الجموح، لا بُدَّ من التخطيط».

لكن القوم لم يسمعوا له وانطلق رجل ضخم منهم مفتول العضلات مسرعًا يصعد إلى السطح، اصعد بالكاميرا وراءه سريعًا، حمل الرجل أكبر صخرة في المكان وعاونه الرجال وهم حذرون في خطواتهم حتى لا يصدر منهم أي صوت، وحركوا الصخرة حتى أصبحت فوق رأس النبي تمامًا على ذلك الجدار، وتجهزوا ليلقوها عليه، وفجأة تحرك النبي.

قام كأنما هو ذاهب إلى مكان سريعًا، لم يظهر في الكاميرا سوى طوله وردائه الذي ينحدر من فوق منكبيه في جلال وهو يمشي سريعًا، نظر أصحابه بعضهم إلى بعض في حيرة وانتظروه وهم ينظرون حولهم في ريبة، ولمَّا مرَّ الوقت ولم يأتِ قاموا ليلحقوا به.

حدث ما توقعه سلام، أخبر الله النبي بأمر الصخرة التي أرادوا أن يقتلوه بها وأخبره بأمر سلام بن مشكم وخيانته لما أعطى أبا سفيان نقاط ضعف المدينة ليهاجمها، وفي هذا كله نقض للعهد وخيانة عظمى تقتضي إخراج بني النضير من المدينة حسب المكتوب في المعاهدة.

أرسل لهم النبي أن يخرجوا من المدينة لأنهم خانوا العهد وحاولوا قتل النبي فاعترفوا ولم ينكروا.

طلعت الكاميرا فوق مساكن بني النضير ورؤوسهم لتشاهدهم من أعلى وهم في فوضى يتجادلون حتى قرروا أن يحملوا أمتعتهم ويخرجوا من بيوتهم، لكن أتاهم زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول، وصاح فيهم أن يبقوا في ديارهم ولا يخرجوا لأنه سيأتيهم بجيش من ألفي رجل ينصرهم به.

بعد مغادرة زعيم المنافقين تجادل سلام بن مشكم مع العجوز حيي بن أخطب فقال له: «هذا الرجل يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمدًا،

ثم يجلس في بيته ويتركك، لقد خالفتني في رأيي بأمر الصخرة وانظر ما نحن فيه، ولولا خشيتي على مقامك في القوم لاعتزلتك أنا ومن أطاعني منهم».

وكالعادة لم يسمع حيي بن أخطب النصيحة وأعلنها صراحة للمسلمين، لن يتحرك من بني النضير أحد، وبقي ينتظر وعد ابن سلول الذي جلس في بيته ومدَّد قدميه في استرخاء وهو يشاهد جيش المسلمين يحاصر بني النضير حتى رضخوا بعد ستة أيام ووافقوا على الرحيل، لكنهم قرروا أن يهدموا بيوتهم حتى لا ينتفع بها أحد، وأخذوا متاعهم وذهبهم وخرجوا في قافلة من البعير تحمل أثقالهم ذاهبين إلى خيبر، وأصبح مركزَ التنظيم في خيبر.

لطالما قتل اليهود الأنبياء، وقد تم لهم ذلك وهم في مركز السلطة أيام السبعين شيخًا والسنهندرين والهيروديين، أمّا اليوم بعد أن خرج فيهم خاتم الأنبياء محمد وليسوا في موضع سلطة فلم يكن أمامهم إلا محاولات الاغتيال، لكن حُيي وسلام بعد فشل المحاولة الأولى رفعا من معيار الشر والخباثة إلى أقصاها وفعلا شيئًا جديدًا، وكارثيًا.

مشيا على بيوت القبائل كلها، من قريش إلى جميع من حولها من العرب تقريبًا، وأقنعا أغلب الجزيرة العربية أن يحشدوا الجيوش وينزلوا ليستأصلوا المسلمين الذين لا يبلغ عددهم حتى 3 آلاف، حشد حيي وسلام عشرة آلاف مقاتل من فوارس العرب الذين نزلوا كالجراد المميت ليدخلوا المدينة، لكنهم توقفوا فجأة بجيوشهم ينظرون إلى شيء ما بذهول، استدارت الكاميرا عن وجوههم لترى ما ينظرون إليه، كان هناك خندق عميق وواسع محفور بالعرض شمال المدينة، خندق حفره المسلمون للحماية، فالمدينة شرقها جبل وأحراش، وغربها جبل وأحراش، وجنوبها جبل قصير يمكن المرور منه، لكن عنده مساكن بني قريظة اليهود وهم يحرسون المدينة حسب العهد، والمدخل الوحيد لأي جيش غازٍ هو من الشمال، وهذا فيه الخندق.

نظر الجيش الآتي من الشمال إلى الخندق العميق الذي يبلغ طوله أكثر من خمسة كيلومترات وعرضه لا يسمح لأي إنس ولا فرس بالقفز، وعلى الجانب الآخر من الخندق يقف صف كامل من المسلمين يمسكون السهام ويرمونها

على أي شخص يحاول أن يستطلع هنا أو هناك ليبحث عن نقطة ضعيفة في الخندق يمر منها.

ثلاثة أسابيع كاملة يحاول فيها عشرة آلاف مقاتل المرور من أي مكان ضيق في الخندق فيتصدى لهم المسلمون بالسهام، الجو بارد ينهش في العظم، بطون الجيشين بدأت تجوع لنقص الطعام، النساء والأطفال في المدينة كلهم مختبئون في حصن أو اثنين داخل المدينة والحراسة عليهم بسيطة.

ثم أكمل حُيي بن أخطب الكارثة التي عملها بكارثة أخرى، ذهب إلى زيارة يهود بني قريظة الذين يحرسون جنوب المدينة وأقنعهم أن يخونوا العهد، ولم يفكروا كثيرًا، بل أخرجوا الصحيفة التي كتبوا فيها العهد مع النبي ومزقوها وتحول جيش بني قريظة من حراسة المدينة إلى حصارها. وأصبحت سيوف الموت تطل على المدينة من كل جوانبها.

طلعت الكاميرا فوق أرض النزاع، عشرة آلاف جندي أصبحوا أقوى بعد أن مدهم يهود بني قريظة بالطعام، ثلاثة آلاف مسلم نقصوا إلى ألفين في يوم واحد، فهناك ألف منافق وضعوا أسلحتهم وغادروا إلى بيوتهم، وفجأة هجم جنود يهود بني قريظة من الجنوب، نعم هجموا على النساء والأطفال من الخلف، وفي الشمال دخل الكفار من ثلمة ضيقة في جانب الخندق، هنالك زلزل المسلمون وبلغت القلوب الحناجر، وكانت النتيجة واضحة لأي إنسان له عقل، حتى هذه الكاميرا الصماء تعرف النتيجة.

فجأة أصبحت الدنيا صفراء كلها، كأنما هناك غبرة متعلقة في الجو، الكاميرا تحاول أن تنزل لتجد موضعًا واضحًا للرؤية، هناك صوت كارثة في الجو، لا وصف له أحسن من هذا، المشركون على الخندق يرفعون رؤوسهم ليفهموا لكن الكارثة لم تمهلهم حتى دقائق.

رياح غاضبة نزلت من رب السماء، الكاميرا تهتز، القدور تطير، الخيام تنقلع من الأوتاد، الخيل تثور على فرسانها وتهرب، الجنود يحبون على الأرض، هناك أصوات تكبير يسمعها الجميع كأنما تنبعث من الأفق نفسه، ولم

تكن من تكبير المسلمين الذين كانوا ينظرون إلى هذا بذهول، بل من تكبير الملائكة. الرياح لم تأت ناحية المسلمين، بل ضربت المشركين في الشمال وبني قريظة في الجنوب كأنما هي تسير بأمر ربها.

أبى الله إلا أن ينجي نبيه الخاتم الذي بدأت الكاميرا تحاول الاقتراب منه، وسط هذه الغبرة الصفراء كان يقف، كأنه هو النور وحده، بعيد ما بين المنكبين يرتدي حلة الحرب كأنه سبيكة فضة. هنا كبَّر المسلمون.

بعد هذه الواقعة توجه المسلمون إلى بني قريظة فحاصروهم حتى استسلموا، وأسروا المقاتلين الذين خانوا العهد وهجموا على المسلمين من الخلف، فقط المقاتلين، وكان عددهم أربعين رجلًا، ليس أربعمئة ولا تسعمائة كما تحكي الروايات ذات السند الضعيف، فقط أربعين، عفا النبي عن بعضهم والبقية قُتلوا جزاءً وفاقًا. ومن ضمن الذين قتلوا حُيي بن أخطب، زعيم بني النضير ووارث التنظيم.

صورت لك الكاميرا ذلك العجوز وهو جاثٍ على الأرض وقد أسلم رأسه للسيف فنظر إلى النبي وقال بتحدٍّ: «أما والله ما لمت نفسي على عداوتك أبدًا».

ثم نظر إلى الناس وقال: «لا بأس بأمر الله، إنها ملحمة كتبها الله على اليهود».

ثم ضربت عنقه، وورث زعامة بني النضير من بعده الشيخ سلام بن مشكم، وقد نجح فيما فشل فيه العجوز، لكن ليس عن طريقه هو بل عن طريق زوجته الساحرة زينب بنت الحارث.

***

ارتفعت الكاميرا عاليا جدًّا تاركة المدينة وتحركت إلى الأمام سريعًا ناحية الشمال حتى ظهرت حصون يهودية مصنوعة بحجر أسود، هذه خيبر. دخلت الكاميرا من بوابة الحصن ومشت بين المنازل حتى توقفت أمام بيت معين، لم تمر ثوانٍ إلا وخرجت من البيت امرأة عجوز نحيلة الوجه والقد. هذه زينب

بنت الحارث. الساحرة. تبعناها بالكاميرا وهي تركب جوادها الأسود وتتحرك خارجة من الحصن، نلاحظ ابتعاد الناس عنها كأنهم يخشونها.

وصلت إلى المدينة وتركت حصانها عند بني قريظة وأرخت الخمار على رأسها حتى لا يعرفها أحد، ثم توجهت ناحية بيت من العرب ففتحت لها فتاة مكحلة العين بشكل ثقيل وهي لم تبلغ العشرين، سارعت الكاميرا بالدخول إلى البيت قبل غلق الباب، كان ذاك بيت لبيد بن الأعصم تاجر عربي من المنافقين يعمل بالسحر الأسود ويقول الناس عنه إنه ليس الساحر بل أن بناته أسحر منه وأخبث.

نظرة واحدة داخل البيت تكفي أن تعرف أن لبيد مجرد تاجر، وأن الخطر كان من بناته، اجتمعت زينب الساحرة اليهودية بساحرات العرب الثلاث بنات لبيد بن الأعصم في حجرة وأمامهم شيء ما لم تستطع الكاميرا تبينه من انحنائهن عليه، كن ينفثن بريقهن القذر في شيء ما، إحداهن تعقد عقدة وتربطها بشيء ثم ينفثن فيها، هؤلاء اللاتي وصفهن القرآن بالنفاثات في العقد، ولم ينفثن في عقدة واحدة بل إحدى عشر عقدة ربطوها في حبل واحد ولفوه حول تمثال من الشمع وغرزوا فيه إحدى عشرة إبرة.

دخل عليهن لبيد بن الأعصم ورمى إليهن بمقدار قبضة من شعر النبي محمد حصل عليها بالحيلة فأخذنها فوضعنها فوق رأس التمثال ثم أحضرن شيئًا يعرفه المزارعون، وعاء طلع نخلة ذكر، ذلك الغصن الخشبي الملفوف بغشاء وتكون بداخله حبات الطلع، أفرغن الغصن من الطلع ووضعن فيه السحر ثم خِطْنَ الغشاء وأعطينه للبيد.

هرع لبيد إلى بئر ذروان وهي بئر مهجورة مرعبة في المدينة نسج الأهالي عليها كثير من الحكايات الشيطانية بسبب منظرها، والنخيل الجاف المثني على نفسه حولها كأنه الحيات، حتى أغصانها يعلوها الزغب الأخضر مثل جلد الثعبان، نزل لبيد إلى البئر ووضع السحر تحت راعوفة البئر أو الصخرة التي يجلس عليها الساقي الذي ينزل للبئر.

ظهر على الأرض أمام الكاميرا ما يشبه الظل الذي يمضي إلى ناحية المدينة، رفعنا الكاميرا لنرى فلم يظهر شيء، لا تدري أهو ظل شيطان أم طير أم لعنة.

وهناك في بيت النبوة كان النبي محمد يخيل إليه أنه يرى أشياء وهي ليست حقيقة، نوع من التخييل مثلما جعل سحرة فرعون النبي موسى يرى الحيات كأنها تسعى وما هي حيات ولا تسعى، وبقي النبي محمد شهورًا يرى أمورًا مقلقة، وبدأ ينسى ويظن أنه فعل أشياء من أمور الدنيا وهو لم يفعلها، إلا القرآن الذي تعهد له ربه أن يقرأه فلا ينسى وأن الله عليه جمعه وقرآنه.

دعا النبي ربه أن يكشف عنه هذا فاستجاب له ربه ذات ليلة حيث نام فرأى رؤيا جاءه فيها جبريل وميكال، وأخبراه بأسماء من سحره، ومكان السحر، ونزلت على النبي يومها المعوذتان، فقرأهما النبي فبرئ مما فيه على الفور بما فيهما من سر إلهي.

وذهب النبي مع صحابته إلى تلك البئر الموبوءة وأخرجوا منها السحر وأراد الصحابة أن يفتحوا الوعاء المخيط ليخرجوا السحر فرفض النبي وقال إن الله كفاه وكفى الناس شر السحر بالمعوذتين، فقال: «لقد أنزلت عليّ سورتان، فتعوذوا بهما، فإنه لم يتعوذ أحد بمثلهما». فأغلق الباب على كل الدجاجلة الذين يزعمون فك السحر بإخراجه وإحراقه أو بذبح ديوك أو قطط أو بأي شيء آخر غير المعوذتين.

وأمر بدفن السحر حتى لا يتعلم الناس منه أو يستعملوه في شيء يؤذي أحدًا آخر.

ومرة أخرى نجى الله نبيه من الكيد، وفشلت زينب بنت الحارث اليهودية، لكنها لم تنه كل ألاعيبها بعد..

***

دخلت الساحرة اليهودية بيتها في خيبر فسمعت صرخات ضرتها صفية، كان الشيخ سلام بن مشكم يضربها حتى اخضرّت حلقات عينها، فلما رأى

الشيخ زوجته الأولى مقبلة قال: «هذه الطفلة تريد أن تكون ملكة يثرب تقول إنها رأت في منامها أن قمرًا يقع في حجرها، تريد أن تتزوج محمدًا».

قالت العجوز: «لا عجب أن تقول هذا بعد أن سمعتك تثرثر مع أبيها عن أنه النبي المنتظر، والله ليكونن خسوف هذا القمر على يدي هاتين».

فجأة سمعوا مناديًا ينادي في الحصون أن أعدوا السلاح فإن محمدًا وأصحابه قد جاؤوكم على رأس جيش كبير، نظر سلام إلى صفية نظرة أخيرة ثم جهز نفسه للخروج وقال: «يظن أن قتالنا مثل قتاله مع الأعراب البدو، هذه حصون محصنة في ذراري الجبال فيها عشرة آلاف مقاتل وليست خيام بدو».

مشاهد عظيمة من القتال لن يمكن التفصيل في أحداثها، مشاهد من البطولة استسلمت بعدها خيبر وفتحها المسلمون حصنًا وراء حصن، وكانت صفية وزوجها الشيخ سلام في حصن النزار الحربي المسلح فقاتل المسلمون هذا الحصن طويلًا حتى هزموا اليهود الذين هربوا تاركين نساءهم اللاتي في الحصن المسلح سبايا للمسلمين، ومات سلام بن مشكم وهربت زينب زوجته الشمطاء، أما صفية فقد أخذها المسلمون سبية.

ولأنها أميرة ابنة ملك اليهود فإن النبي صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن تسلم فتكون زوجة له أو تبقى على دينها وتلحق بأهلها فقالت له: «لقد صدقت بك قبل أن تدعوني، وإن الله ورسوله أحب إليَّ من أن أرجع إلى قومي».

وأصبح النبي يعتذر لها ويخبرها ما فعل أبوها حيي وسلام فيه منذ غزوة السويق إلى غزوة الخندق حتى ذهب من نفسها كل شيء على رسول الله.

واصل المسلمون فتح حصون اليهود حتى سقطت كلها واستسلم اليهود، وقرَّر النبي طردهم من خيبر بسبب كل العهود التي نقضوها لكنهم تصالحوا معه على أن يتركهم في ديارهم لكن يعطوا نصف ثمرهم للمسلمين كل عام.

وفي إحدى ليالي خيبر، عندما انصرف النبي إلى مكان مبيته وجد امرأة نحيلة تغطي وجهها بشال. بادرته بالقول: «أبا القاسم، هذه هدية أهديتها لك».

قبل منها النبي الهدية وانصرفت والكاميرا تتطاول لتريك وجهها حتى عرفتها، تلك هي الساحرة تنصرف وهي تبتسم ابتسامة صفراء.

فتح النبي محمد الهدية فإذا هي شاة مشوية، فدعا أصحابه للطعام، ثم مدَّ النبي يد فأكل فتشجعوا فأكل منهم واحد هو بشر بن البراء، ثم رفع النبي يده بحزم فجأة وقال: «أمسكوا، إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة».

لم يكن أحد أكل منها سوى النبي وبشر بن البراء، لم يحدث شيء للنبي وقتها سوى أنه شعر ببعض الألم لكن بشر بن البراء تغير لونه وصار لا يتحرك حتى مات في مكانه.

استدعى النبي زينب بنت الحارث فأتوا بها وهي تنظر له بشيء من التعجب وعدم التصديق، فإن ما وضعته في الشاة كان أعتى أنواع السموم اليهودية ولا ينجو منه كائن مَن كان.

قال لها النبي: «ما حملك على ما صنعت؟».

قالت: «إن كنت نبيًّا فسيخبرك ربك بالسم، وإن كنت غير ذلك استرحنا منك».

فأمر بها النبي فقبضوا عليها وقتلوها قصاصًا لأنها قتلت بشر بن البراء بسمها، وإلا فإن النبي لم يكن ينتقم لنفسه مطلقًا.

وبهلاك ساحرة اليهود، وزوجها سلام، وأبوها حيي، انقطعت رؤوس التنظيم الكبار وتوقفت محاولات قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأخزاهم الله بأن أخرج منهم أم المؤمنين صفية بنت حيي، وكما نجَّى الله إبراهيم الخليل من النار ونجَّى عيسى ابن مريم من الصلب فقد نجَّى محمدًا من أن يقتله السم في تلك السنة بل أخَّر الله مفعوله ثلاث سنوات كاملة حتى يتم النبي محمد تبليغ دعوته، ثم أذن الله للسم أن يسري في عروقه لينال مقام الشهادة كما نال مقام النبوة.

فالله تعهد لنبيه أن يعصمه من الناس لكن هي عصمة مشروطة حتى يبلغ رسالته كما جاء في القرآن. ﴿يَا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فبعد ثلاث سنوات من أكله لتلك الشاة في خيبر، بلغ رسول الله الرسالة وأتمها ثم مرض مرضه الأخير.

وفي آخر لحظات حياة النبي الخاتم قالت له صفية: «إني والله يا نبي الله لوددت لو أن الذي بك يكون بي».

فتغامزت بقية زوجات النبي بأبصارهن لبعضهن خفية. فقال النبي: «تمضمضن».

يعني افعلن المضمضة كما في الوضوء، فقلن له: «من أي شيء؟».

فقال لهن: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة».

ثم في النهاية قال لعائشة: «يا عائشة، ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر. فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».

وباستشهاد النبي محمد خاتم النبيين يكون التنظيم قد أنهى مهمته في هذه المرحلة، وأغلق الستار، وانتهى الفيلم بكل ما فيه من سموم.

***

القرآن الذي أنزل على محمد وصف اليهود كثيرًا بأنهم قتلة الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ولم يحدد أسماء القتلة.

النبي عيسى في الإنجيل كذلك كان يقولها: «يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين»، ولم يحدد أيَّ أسماء.

المشكلة أن هذا التنظيم لم يكتفِ بقتل الأنبياء بل أخفى نفسه بين بطون التاريخ، واستمر بعد النبي محمد يقتل فيمن يأمرون بالقسط حتى هذا اليوم.

الماسونية، الصليب الوردي، الإيلومنياتي، الجمجمة والعظام، كلها أسماء قميئة خرجت من بوتقة تنظيم يهودي إجرامي واحد هو تنظيم القوة الخفية الذي كان يعمل تحت إمرة السنهندرين، وكذلك جميع المنظمات الخفية الحديثة تعمل حاليًا تحت إمرة كبار حكماء صهيون.

«حاولنا مناهضة أفكار محمد ولكن عدد أتباعه كانوا يزيدون بسرعة مثلما حدث مع يسوع».

«لم نحتج إلى صلب محمد لأننا أمتناه مسمومًا».

هكذا هو المكتوب بالنص في وثائق منظمة القوة الخفية، جميع كتب السيرة والحديث أجمعت على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مات من أثر السم، وأن التي وضعت له السم هي زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم زعيم اليهود بعد حيي بن أخطب، وأن بني النضير هم الذين كانوا يحاولون دومًا قتل النبي بعكس بقية يهود المدينة الذين كانوا تابعين لهم، كل هذا مكتوب ونعلمه من الكتب الموثوقة، لكنها المرة الأولى التي نسمع فيها من طرف اليهود، ولو قرأت وثائق القوة الخفية الخاصة بهم ستجدهم يفخرون جدًا بما فعلوا ويعتبرون كل هؤلاء الأنبياء دجالين ويستحقون القتل.

ظهرت هذه الوثائق في وقت حرج جدًا، أيام الدولة العثمانية، أيامها كانت قد بقيت خطوة واحدة وينقلب تنظيم تركيا الفتاة الماسوني على السلطان عبد الحميد الذي بح صوته في كل مجلس وهو يحذر من الماسونية، وفجأة وجد الماسون ثلاثة من كبارهم خرجوا للعالم بهذه الوثائق.

طبعًا لا حاجة أن تعرف أن عوض الخوري والخواجة لوران ماتا ميتة غامضة بعد أن نشر كل واحد منهما نسخته ورئيس البرازيل في السنة نفسها تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة حيث فداه وزيره فمات بدلًا عنه، ورغم كل جهود الماسون لإخفاء النسخة لكنها انتشرت.

النسخة الإنجليزية اسمها «Dissipation of the Darkness – History of the Origin of Masonry» بقلم الخواجة لوران Jonas (James) Lawrence والنسخة العربية اسمها «تبديد الظلام – أصل الماسونية» ترجمة عوض الخوري، وقد توقف نشرهما ورقيًا لكن يمكنك الحصول عليهما إلكترونيًا ببعض الجهد.

قصة نشأة الماسونية في هذه الوثائق تحبس الأنفاس فمنظمة القوة الخفية أصبح لها محافل في أنحاء العالم، ولا ينضم لها سوى التجار الكبار

والعلماء والمؤرخين والمؤلفين والصحفيين والشعراء والخطباء والقضاة والفلاسفة، وأغلبهم لا يعلمون الأهداف اليهودية للمنظمة لأن تاريخها الأسود كان مكتوبًا في نسخة مع جوزيف لافي الجد الأكبر للخواجة لوران.

ورغم خفاء تاريخها عن الجميع كان عدد المنضمين محدودًا بسبب اسم المنظمة المخيف، القوة الخفية، فقرر جوزيف لافي أن يغير اسم المنظمة ويسميها فرانماسونيري يعني البناية الحرة، واجتمع بأحفاد التنظيم وأقنعهم بهذا ومنهم إبراهيم أبيود حفيد حيرام أبيود وديزاكوليه مؤسس الماسونية الحديثة.

لم يكن أعضاء المنظمة فرحين بوجود نسخة التاريخ مع جوزيف لافي فقرروا قتله وإعدام النسخة لأن المكتوب فيها لو ظهر حتى بالمصادفة ستكون هذه نهاية المنظمة كلها، فاليهود في ذلك الوقت كانوا في كرب عظيم وملكيات أوروبا تطردهم، لكن جوزيف لافي كان قد أعطى نسخة أخرى لإبراهيم أبيود الذي كان متزوجًا من ابنة جوزيف لافي. «إستر» جدة الخواجة لوران.

كانوا جميعًا ناقمين على الماسونية بعد قتل جوزيف لافي، وكانوا يورثون النسخة إلى أبنائهم ويوصوهم بنشرها إذا توفرت الظروف، ولم تتوفر الظروف إلا في زمن الخواجة لوران، وهكذا خرجت النسخة ودفنها الماسون بكل طرائقهم، لكنها وجدت طريقها إلى النشر مثلها مثل بروتوكولات حكماء صهيون.

بالنسبة إلى يهود خيبر وارثي التنظيم، فبعد وفاة النبي نقضوا العهد مرة أخرى في زمن عمر بن الخطاب فاختطفوا ابنه عبد الله بن عمر، وعذبوه ورموه من فوق بيت عالٍ حتى تكسرت عظامه. فغضب عمر لابنه لكنه لم يفعل لليهود شيئًا حتى بلغه أن النبي قد قال حديثًا ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان، فتثبت عمر من الحديث وسأل الصحابة فأقروه، فطرد عمر يهود خيبر وارثي التنظيم فهاجروا إلى الكوفة، وقد كان لهم في الكوفة شأن آخر.

أما يهود بني قينقاع فقد ذهبوا إلى الشام بعد أن طردهم النبي إلى المدينة، ثم انتقلوا منها إلى الكوفة في عهد عمر بن الخطاب.

وكذلك يهود بني قريظة، هاجروا إلى الكوفة في عهد عمر.

وهكذا أصبح الشيوخ السبعون الموزعون على القبائل اليهودية الثلاث موجودين في الكوفة، وكذلك بنو النضير وارثو التنظيم، فأصبحت الكوفة مركزًا يهوديًا خبيثًا مملوءًا بالحقد.

وحان الآن وقت ذهابك إلى رفيق آخر ينتظرك في مجلس آخر ويحضر لك لعبة أخرى من طراز عجيب.

الفصل الرابع

شيعة الفرس

مرحبًا بك في صالوني الخاص، فقط اجلس على هذا الكرسي الذي تعمدت أن أجعله مريحًا جدًا لأني أعلم أنك مرهق فكريًا، دقائق فقط وسآتيك بمشروبك الساخن وبعض المكسرات التي تحبها. أرى في أعينك نظرات قلقة بسبب كل هذه الشموع التي حولنا، معذرة لم أخبرك، أنت لست الضيف الوحيد هنا، بل هناك ضيوف من نوع خاص سيأتون الآن، ومن أجلهم أوقدت هذه الشموع وأغلقت الأنوار.

أنا أعرف العصر التكنولوجي الذي جئتني منه، أراك تنظر إلى الشموع وديكورات الصالون المقبضة وإلى هيئتي بهذه القلنسوة وتظن بي الظنون، نعم نحن سنقوم بجلسة تحضير أرواح. سأتكلم بمصطلحاتك، لكن في العصر التكنولوجي الذي جئت أنا منه لا نحتاج إلى كل هذه الشموع، ولا إلى هذا الكتاب المهترئ المملوء بالتعاويذ لنحضر روحَ شخص، حتى روح الشخص عندما تأتي لا تطفئ الشموع، ولا تفجر المصابيح في السقف ولا تحدث تيارًا باردًا يضرب صفحة وجهك، في عصري روح الشخص فقط تتكون ها هنا وتأتي وتجلس بجوارك.

مرحبًا، أنا الرفيق «هـ»، ولعبتي هي الهولوجرام، في عصرك أنت ترى فقط الهولوجرام على المسارح، تحضر حفلة لأم كلثوم، أو مايكل جاكسون، لكن في عصري الهولوجرام موجود في جوالك، ينبعث منه كما ينبعث نور الكشاف، ويمكنك أن تسلطه على أي أرضية أمامك فتظهر لك أم كلثوم في غرفتك بدلًا من المسرح، ليس هذا فقط بل نحن أضفنا للهولوجرام تقنية ستسمع عنها بعد سنوات كثيرة في عصرك اسمها «الأنسنة»، من «إنسان»، وليست في عالمي شيئًا مخيفًا، بل مسليًا ومحبوبًا.

الأنسنة دمجت بين الهولوجرام والذكاء الاصطناعي فأصبح بإمكانك أن تستدعي أشخاصًا تعرفهم للجلوس في منزلك، فقط عليك أن تجعل الذكاء الاصطناعي يتعرف عليهم ببعض الصور، أو الفيديوهات وفي لحظات تجدهم أمامك يتحدثون معك بصوتهم الذي تعرفه، وطريقتهم التي تعرفها، وسيضحكون معك وهم يذكرون مواقف جمعتكم معًا، وسيبكون على أحزانهم التي تعرف أنها تبكيهم.

الأنسنة لها درجات فلو أعطيت الذكاء الاصطناعي صورة فقط لشخص تحبه ففي ثوانٍ سيجعله الهولوجرام أمامك بنفس شكله الذي في الصورة، ولو أعطيته صورًا أكثر ستكون الملامح أكثر دقة، ولو أعطيته تسجيلات صوتية للشخص فسيجعله الهولوجرام يتكلم بالصوت نفسه، وهكذا. ما نفعله عادة هو أننا نعطي الهولوجرام صفحات الشخص على السوشيال ميديا فيقوم هو بسحب كل الصور والمقاطع والمنشورات والتعليقات والفيديوهات منها والناتج يكون باهرًا ودقيقا جدًا.

في عالمنا يستعملون هذه التقنية في أنسنة الأحباء الذين ماتوا، فتجد الفتاة تؤنسن والدها فيأتيها بعد موته ويحدثها وتحدثه حتى يطمئن قلبها قليلًا، أو يزيد عذابها، وتجد الفتى الذي له حبيبة خذلته ورفضته يدخل للبرنامج صورها وفيديوهاتها، وفي ثوانٍ يجدها تجلس إلى جواره فيتأمل في ملامحها وضحكتها كما يحلو له، وتجد الشهواني يعطي الهولوجرام مقاطع لهذه الممثلة أو تلك من فيلم ظهرت فيه بلا ملابس فيجدها أمامه

بنفس جسدها الذي أثار شهوته، سأترك لك تخيل المشكلات التي أحدثتها هذه التقنية في عالمي.

في التحديث الأخير للبرنامج أصبح يمكنك أنسنة الشخصيات التاريخية، الذكاء الاصطناعي أخذ معلومات هذه الشخصيات من الكتب، وأصبحت لديه قائمة جاهزة فيها نسخ محفوظة من الشخصيات الشهيرة التي يحبها الناس، والشخصيات التي أثارت الجدل، فيمكنك أن تجلس مع هتلر أو جنكيز خان أو الملكة كليوباترا، أو أي شخصية روائية تحبها مثل شيرلوك هولمز أو شخصية سينمائية مثل الجوكر، أو أي ممثل تحبه، كل هؤلاء لديهم نسخ محفوظة منهم في الهولوجرام، لكن المشكلة بدأت عندما بدأ هولوجرام الأنسنة هذا يضيف شخصيات الأنبياء.

بدأ الأمر بعيسى المسيح الذي أصبح يمكنك أن تستدعيه ليجلس معك في صالون منزلك ويناقشك فيما حدث معه، أو يناقشك في مشكلاتك أنت ويحلها لك، ثم تطور الأمر لباقي الأنبياء، ثم أضاف الهولوجرام شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا ثارت ثائرة المسلمين وسأترك لخيالك تخيل ما حدث.

نحن في هذه اللعبة لن نقترب من الأنبياء بالطبع فهم خط أحمر لا ينبغي لأي برنامج ولا ذكاء أن يرسم أشكالهم وأوصافهم حتى تلك المكتوبة في الكتب، ناهيك عن أن يجلسهم معك بهذه الطريقة، نحن فقط سنستدعي شخصيات تاريخية معينة لا بأس بتحضيرها، لكني لا أدّعي أن هذه الشخصيات ستكون مسالمة ولن تثير الجدل، فهي لن تحكي أي قصة، بل قصة فيها كثير من الشجون والسموم والخيانات. قصة الشيعة.

أظنك فهمت ما نحن مقبلون عليه، والآن. لنبدأ اللعب.

***

لمسة واحدة من إصبعي لشاشة جوالي فتحت نورًا أبيضَ مثل نور الفلاش لكنه مركز جدًا. وجهت النور إلى المكان الذي أريده، ثم بلمسة أخرى اختفى النور المركز تمامًا كأنه لم يكن، هو لم يختفِ في الحقيقة لكنه صار شفافًا،

وبلمسة ثالثة بدأت الروح تحضر، أخذت تتشكل بسرعة أمام أعيننا في ذلك الموضع الذي كان فيه النور.

برزت من اللاشيء أميرة جميلة الملامح والعينين بشكل مبالغ فيه، درجة فخامة ردائها الأبيض ونوعية التاج على رأسها يوحيان بأن هذه ملكة فارسية، انظر إلى دقة ملامحها وحركة أعينها وهي تنظر إلى ديكورات الصالون في شيء من الاستغراب كأنها بالفعل ترى هذا النوع من الديكور للمرة الأولى، نسيت أن أقول لك إن الهولوجرام بعد إضافة الذكاء الاصطناعي إليه يمكنه التفاعل مع البيئة من حوله، قم من الكرسي وأعطها تحية حتى لا تتضايق ثم يمكننا أن نأخذ منها ما نريد.

هذه شوشندُخت اليهودية وهي ملكة إمبراطورية فارس، كيف ومتى أصبح اليهود يملكون فارس؟ دعها هي تتكلم بعد أن تعتاد على المكان وتزول عنها الرهبة.

***

تقول شوشندخت:

كنت طفلة يهودية فقيرة تعيش في بابل، أنظر إلى الملوك في مسيراتهم وأنا أختبئ بين الجموع، كانت تبهرني هذه الملابس الفاخرة والمظاهر، وأنظر إلى ردائي فلا أجد سوى خرقتين باليتين. قبل مئتي سنة جاء أجدادي اليهود إلى بابل أسرى مع جيش الطاغية البابلي نبوخذ نصر مكبلين بالأغلال وعاشوا عبيدًا، ثم ابتسم لهم الزمان يومًا فنزلت على بابل جيوش ملك عظيم اسمه كورش هزم البابليين شر هزيمة وحررنا نحن اليهود من عبوديتنا وسمح لنا أن نعود للأرض المقدسة وأعاد لنا كنوزنا التي سرقها البابليون، بالطبع كثير من اليهود ذهبوا إلى الأرض المقدسة وأعادوا بناء الهيكل، لكن كثيرًا منهم بقوا في بابل وعاشوا في المملكة الفارسية.

نحن من اليهود الذين اختاروا أن يبقوا في بابل، ولم نكن أي يهود بل أن جدي الأكبر كان هو رأس جالوت اليهود، وهو لقب يعني رئيس اليهود في بابل والمتولي شؤونهم، كل أجدادي توارثوا منصب رأس الجالوت، لكن ساء

حظهم مرة أخرى لما سقطت المملكة الفارسية وبرزت المملكة الفارسية الثانية التي سمت نفسها المملكة الساسانية، وهؤلاء كانوا مجرمين، أعدموا كثيرًا من علماء اليهود ومنعونا من ممارسة شعائرنا، بل طردوا كثيرًا من اليهود من مساكنهم وأسكنوا فيها غيرهم.

حتى جاء يزدجرد الوسيم، وأصبح ملك البلاد، كان أبي هو رأس جالوت اليهود والوحيد المسموح له الدخول على الملك، وكنت أنا شابة أساعد والدي في أعماله خاصة في رعاية الأيتام اليهود. فكنت محبوبة جدًا عند الشعب اليهودي، ثم جاء ذلك اليوم الذي دخلت فيه مع أبي على الملك يزدجرد الذي كان أفضل إمبراطور ساساني عرفناه وفور أن رآني ابتسم كأنما رأى ملاكًا، ثم قال لأبي: «هل هذه ابنتك التي يحبها الفقراء؟».

أومأ والدي برأسه إيجابًا فقال له الملك: «هل لها زوج؟».

قال أبي: «ليس بعد يا سيدي الملك».

ابتسم لي يزدجرد مرة أخرى وانفتحت ببسمته هذه أمامي أبواب الدنيا، فتزوجني وصرت أول يهودية تصبح ملكة فارسية، ولم أنسَ شعبي اليهود بل جعلت يزدجرد يبني مدينة كاملة ليعيش اليهود فيها، وسمينا هذه المدينة أصفهان، وجعلته يبني مدينة ثانية هي خراسان وأسكناهم بها، وجعلته يعطيهم كافة حقوقهم وممارسة شعائرهم، ومن وقتها أصبح اليهود مكرمين عند ملوك فارس المجوس، خاصة يهود أصفهان، حتى إنهم أنهوا كتابة التلمود البابلي كاملًا في بلاد فارس وجاءت فيه آيات كثيرة تمدح الفرس الإيرانيين مثل «الله عندما قسَّم نصيب الحكمة والفطنة والمروءة على عباده، وهب تسعة أجزاء منها للإيرانيين وترك جزءًا واحدًا وزَّعه على سائر البشر».

رزقني الله بابن من يزدجرد سميناه بهرام كور، تولى الحكم بعد يزدجرد وصار أول ملك يهودي يحكم إمبراطورية فارس، حقًا لقد أحببنا إيران مثل حبنا لأورشليم أو أشد.

سكتت شوشندخت فقمنا وحييناها ثانية ثم جلست في هدوء.

دعني أميل عليك وأخبرك بشيء مهم، لعلك تتساءل أين الشيعة في الموضوع ونحن نتحدث عن المجوس، ستفهم لاحقًا لكن تذكر أننا نتحدث عن إيران. بالمناسبة، يهود أصفهان هم الذين سيخرجون وراء المسيح الدجال في آخر الزمان عليهم الطيالسة، وهذه المرأة الجالسة هناك والتي تنظر لنا في ريبة هي ملكة يهود أصفهان، بل هي التي أنشأت أصفهان، هذه المعلومة لا علاقة لها بأمر الشيعة مباشرة، فقط اجعلها في طرف دماغك لأننا سنحتاجها لاحقًا بعدما ننتهي.

الشخص الثاني الذي سنحضر روحه هو من طراز مختلف. تمامًا.

***

لمسة أخرى على شاشة الجوال وبدأ الهولوجرام الثاني يتشكل.

خرج علينا في الصالون رجل عربي مهيب جدًا، عظيم القامة عريض المنكبين أحمر الشعر طويله، وسيم الملامح جدًا له حاجبان مكحلان فيهما قوة وعزة العرب كأنما خرج من نافذة الزمن. هيا قم واقفًا ولا تقعد حتى أخبرك وسأشير لهذه اليهودية أن تقوم، قمنا جميعًا نحييه، دارت عينه في المكان بسرعة حتى توقفت عند الملكة اليهودية ونظر إلى ردائها الملكي، ثم قال: «ما الذي تفعله ملكة فارسية هاهنا؟».

نسيت أن أخبرك، الهولوجرامات تتعرف على بعضها وتتفاعل مع بعضها أيضًا بالذكاء الاصطناعي حسب شخصياتهم، قلت له: «لا عليك يا مغيرة، إنما كنا نسألها عن أحوال الفرس المجوس».

نظر إليّ كأنه حقيقي وقال: «وما بال الفرس المجوس؟ لقد أمكننا الله منهم بعز رسول الله».

كانت اليهودية تنظر إليه في شيء من القلق، دعني أعرفك، المغيرة بن شعبة، من صحابة رسول الله، وهو خير من ينبئنا عن أحوال الفرس المجوس، وستعرف السبب.

***

يقول المغيرة بن شعبة:

لقد أعز الله الأمم بالذهب والفضة والبنيان وأعزنا نحن برسول الله، كنا نسمع عن الفرس هؤلاء وعن تيجانهم وقصورهم وجنودهم ونحن أعراب نرعى الشاة والبعير.

أربع معارك خضناها مع الفرس بأجنادهم التي قيل إنها تسد عين الشمس، وهي لا تسد عين صبي مسلم واحد، أربع معارك هزمناهم فيها ولعب بهم خالد بن الوليد كالدمى الخربة حتى صارت فرائصهم ترتعد منا.

ما زلت أذكر عمر بن الخطاب الخليفة الفاروق لما أمر بفتح العراق، ولم يطلع عليهم صباح آخر إلا وقد لقيناهم في القادسية، وهم خمسة أضعافنا فاندحروا وهربوا من أمامنا وفتحنا العراق، ثم هزمناهم في نهاوند وفتحنا فارس، وبهذا أسقطنا المملكة الفارسية بأكملها فلم تقم لهم قائمة في الأمم من بعد يومهم هذا.

وأصبحت إيران المجوسية بكاملها تحت حكم المسلمين، قليل منهم فقط حسن إسلامه، وكثير حملت قلوبهم الحقد على المسلمين فأسلموا نفاقًا مثل الهرمزان قائد الفرس الذي جيء به إلى المدينة مكتوف اليدين أمام عمر بن الخطاب وأعلن إسلامه نفاقًا.

أعطاني عمر ولاية الكوفة في العراق فوجدتها صارت جحرًا للضباع المهاجرة من كل مكان. فبعد أن كان العرب يسكنون فيها وحدهم، نزل إليها سبعة آلاف يهودي أتوا مهاجرين من خيبر بعدما طردهم عمر بسبب نقضهم العهد ومحاولتهم قتل عبد الله بن عمر.

ثم نزل عليها المهزومون من جيش الفرس في القادسية بعد أن عقدوا معنا عهدًا فسمحنا لهم أن ينزلوا إلى الكوفة، وكنا نسميهم «حمر الديلم»، حمر لأن شعورهم كانت ملونة وديلم لأن رئيسهم اسمه ديلم، وبعدهم بدأت أفواج الفرس المجوس يأتون من إيران مهاجرين أفواجًا مثل الجراد يسكنون في الكوفة حتى أصبح عدد المجوس فيها يقارب نصفها، بل أنه في مسكني كان عندي أسير من أحد حمر الديلم هؤلاء، كان مجوسيًا يدعى «أبو لؤلؤة

المجوسي»، طلب مني يومًا أن أسمح له بالنزول إلى المدينة المنورة ليعمل هناك فأذنت له.

ولم يلبث أن جاءني خبر هز كياني، أبو لؤلؤة المجوسي اللعين، ذلك الذي كان أسيرًا عندي. وثب إلى عمر بن الخطاب بعد صلاة الفجر فطعنه بخنجر مسموم له نصلين فقتله.

وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أنه رأى أبا لؤلؤة المجوسي هذا في الليل وهو واقف مع الهرمزان قائد جيش الفرس الذي أسلم نفاقًا، وأنه في وقفتهما هذه وقع منهما خنجر مميز له نصلان، هو نفسه الخنجر الذي طعن به عمر بن الخطاب.

فانتقم المجوس من عمر لإسقاطه مملكة الفرس المتعالية، فبئسا للمجوس وبئسا لكل الذي أتانا منهم.

جلس المغيرة بن شعبة على ذلك المقعد الوثير، وقد بدأ يلحظ أشياء غريبة عن نظره في هذا الديكور، دعني أميل عليك الميلة الثانية وأنكرك أن الكوفة فيها يهود خيبر وارثو التنظيم الذين طردهم عمر بن الخطاب فأصبحوا حاقدين عليه وعلى الإسلام.

وفيها أيضًا الشيوخ السبعون لأن بني قينقاع وقريظة هاجروا إليها كذلك، فستجد العراق هو مركز الفتن في مرحلة الخلافة كلها.

أما يهود أصفهان ويهود اليمن الذين تحت حكم مملكة فارس، فقد اتصلوا بيهود العراق وتعاونوا لعمل ما سيحدث بعد قليل.

***

بلمسة واحدة ظهر كأنما انبعث من ذرات الهواء وبقينا ننظر له في استغراب نحن والهولوجرامات الأخرى، كان شابًا أصلع الرأس تمامًا أملس الوجه لا يملك شعرة واحدة في شارب ولا لحية، له عينان فيهما دهاء الدنيا ونمش أحمر على خده، هذا «طويدا بن أباه» يهودي فارسي ادَّعى الإسلام وسمى نفسه حمران بن أبان، ونزل للمدينة بعد مقتل عمر بن الخطاب وأقام الدنيا ولم يقعدها. سنسمع منه هو، بلسانه هو.

يقول طويدا: «كنت أنظر إلى رؤوس المسلمين الراكعين الساجدين في هذا المسجد البدائي بسقفه المصنوع من جذوع الشجر وأتعجب، كيف أسقط هؤلاء الرعاع مملكة فارس، إن سقف أصغر كنيس يهودي في فارس أرقى من هذا السقف بمئة مرة على الأقل، هم لا تنقصهم الأموال ويمكنهم عمل بناء فاخر كأحسن ما يكون، لكنهم يعيشون في الدنيا كعابري سبيل، كأنهم لا يريدون منها شيئًا، هذا الأمر وحده يجعلني أكاد أخرج من ردائي، أجناد فارس دائمًا يكون عددهم أكثر منهم أضعافًا، وفي وقت النزال يهرب الفرس من أمامهم كأن شياطين الدنيا تطاردهم، وإني حتى هذه اللحظة أذكر كيف أخذني هؤلاء المسلمون أسيرًا من وسط حصن السابور المسلح في قلب عين التمر الحامية الفارسية المنيعة المجاورة للحيرة.

لم أكن أنا جنديًا داخل الحصن بل يهوديًا من أصفهان أرسلني أبواي لأتعلم الكتابة مع عشرين يهوديًا آخرين في كنيس يهودي عظيم داخل حصن فارسي يزيد حجمه على مئة بيت من بيوت هؤلاء الأعراب، فنحن من عائلات كبار كهنة اليهود، الخلاصة أنني وجدت نفسي هنا أسيرًا يهوديًا صغيرًا في بلاد المسلمين.

اشتراني عثمان بن عفان وأعتقني وعلمني الكتابة العربية، وحدثني عن الإسلام كثيرًا فلم أحب أن أغير يهوديتي حتى سمعت أن عثمان سيكون هو الخليفة بعد عمر، فأظهرت له قبول الإسلام وأخذت أسمع باهتمام ما يقوله لي عن الدين فتظاهرت بالإسلام.

سمعت خبر سقوط إمبراطورية فارس، وأن جميع أراضيها صارت تحت حكم المسلمين، ثم تم اغتيال عمر بن الخطاب وأصبح عثمان خليفة كما قال الناس، من ثقته في شخصي عيّنني كاتبًا عنده فإذا أراد أن يكتب إلى أحد عملائي فأكتب ثم يختم هو بختمه.

اشتقت إلى أبوَيَّ كثيرًا وانتابني القلق، اليهود في بلاد فارس كانوا مكرمين، ماذا عن هؤلاء الأعراب المسلمين، أيكرمون اليهود؟ لم أكن أعلم أن يهود فارس في عهد المسلمين أصبحوا أكثر حرية وسقطت عنهم كثير من

التكاليف التي كان يفرضها عليهم الفرس، لم أكن أصدق هذا، حتى سمعت صوته».

- أنسيت يهوديتك يا طويدا ولحقت بالأعراب؟

التفت وكل ذرات جسدي ترتعش. هذا الصوت.

كان صوت أخي، وجدته أمامي ينظر لي في عتاب واضح واشتياق، عانقته وهمست في أذنه: «لا والذي بعث موسى لم أنسَ».

قال لي في حزم: «فإن أباك يبلغك السلام ويخبرك أن لديك فرصة لا تأتي مرتين فإذا جاءك اليهودي الأسود فاسمع منه وأطع».

وانصرف عني سريعًا كأنما لا يريد أن يراه أحد معي حتى لا يظن الناس بي شرًا، يهودي أسود؟ أتراه يقصد ذلك الـ .. هذا محال.

وبينما أنا أسند ظهري في ذات ليلة إلى جدران أحد البيوت أنظر إلى سماء المدينة التي تبدو أنور من أي سماء أخرى رأيت إنسانًا أسود له عين لامعة كأنها عين قط، كان ينظر لي بطريقة مربكة، لو كان حدسي صحيحًا فهذا هو الرجل الذي يحذروننا منه، ذلك اليهودي الذي نزل من اليمن إلى الكوفة والبصرة ومصر وأفرغ في عقول الناس أحقادًا على عثمان بن عفان، رجل يهودي واحد كان يتردد اسمه كثيرًا هنا في المدينة، عبد الله بن سبأ، ولقد عرفته من صفته.

قال لي: «يهودي في بيت عثمان، يكتب لعثمان، ويختم لعثمان، يأمن له عثمان لأنه أسلم على يده وعلمه القرآن».

أردت أن أتحدث بشيء لكنه عاجلني قائلًا: «لكنه يهودي أصيل، من أعيان يهود إيران، ألم تشتق لأبويك يا غلام».

قلت له في توتر: «ما الذي يعنيك في».

قال بذلك الأسلوب المربك: «ألا تريد أن ترجع لهم أميرًا. فيكون لك ملك فارس».

لم يكن عبد الله بن سبأ يحتاج إلى وقت لإقناع شخص مثلي وهو الذي جند أجلاف العرب من الكوفة والبصرة ومصر، فتبعته ولقد أدهشتني قدرته

على إشعال النفوس كأنه شيطان، والحق أقول إن العود الذي كان يشعل به النار في نفوس الناس هو قلمي أنا، ففي مرة جعلني أكتب كتابًا كأنه من عائشة تدعو الناس في البصرة للخروج على عثمان بن عفان، ولما انتشر ذلك خرجت عائشة تقول للناس: «والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا».

ليس هذا فقط بل كتبت كتبًا من طلحة والزبير ومن علي بن أبي طالب لأهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، لأن دين الإسلام قد فسد على يد عثمان، والجهاد في المدينة خير من الجهاد في البلاد البعيدة، حتى هاجوا وخرجوا في أفواج وأجناد بلغت ألف رجل أو أكثر يطالبون بعزل عثمان. وكان اسمهم الخوارج، نزلوا إلى المدينة فاستقبلهم عثمان بحلمه الذي أعرفه وكلمهم بالحسنى ورد على كل الأكاذيب التي كانت تقال عليه، وجاء علي بن أبي طالب ورد عليهم أيضًا حتى هدأت نفوسهم وانصرفوا إلى بلادهم، وكادت خطة عبد الله بن سبأ أن تفشل، لولا أن جاء دوري في اللحظة الأخيرة فانقلبت الآية.

جهزت راحلتي للسفر فجأة دون أن أخبر أحدًا وانطلقت وراء ذلك الوفد من الخوارج الذين ذهبوا عائدين لمصر بعد أن أهدأ عثمان من ثورتهم، وكانوا نحو ستمائة رجل مسلح، فظهرت أمامهم بحصاني وتظاهرت أنني أنظر إليهم برعب وبدأت أهرب منهم، فانطلق بعضهم ورائي فأسرعت بحصاني وحاولت أن أتصنع الهرب حتى أمسكوا بي وسألوني بحدة من أكون، فرفضت أن أجيب حتى قال رجل منهم: «هذا كاتب عثمان».

تصنعت التوتر والإنكار لكنهم أخذوا متاعي وأفرغوا ما فيه فإذا صحيفة مكتوب فيها، من عثمان بن عفان إلى والي مصر، آمرك أن تقتل هؤلاء النفر الذين خرجوا في ستمائة رجل وتصلبهم في جذوع النخل وتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

كانت هذه رسالة أنا كتبتها، وختمتها بختم عثمان، استدار الخوارج ناحية المدينة مرة أخرى يطالبون هذه المرة برأس عثمان، وتكفل رجال عبد الله بن سبأ باللحاق بكل الخوارج العائدين للكوفة والبصرة فأخبروهم بأمر الرسالة، فاستداروا كلهم وهجموا على المدينة.

نزل مئات الخوارج على المدينة واحتلوها وحاصروا دار عثمان، واستبسل المسلمون في المدينة بالدفاع عنه، لكن الخوارج في النهاية دخلوا عليه وهو يقرأ القرآن وسلم أمره لله فقتلوه وسقطت دماؤه على المصحف.

ولما تولى علي بن أبي طالب الخلافة أشعل عبد الله بن سبأ الدنيا كلها فحدثت الفتنة بين علي ومعاوية فحارب الصحابة بعضهم حتى أقام علي هدنة مع معاوية فثار الخوارج في الكوفة وقالوا إن علي هذا كافر يستحق القتل بسبب هذه الهدنة، وبالفعل قتلوه في مسجد الكوفة الكبير.

وبعد قتل علي بن أبي طالب تولى ابنه الحسن الذي قرر أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان حتى يطفئ نار الفتنة، فخرج رجل فارسي من حمر الديلم اسمه «كيسان أبو عمرة» وكان خادمًا لعلي بن أبي طالب نجح عبد الله بن سبأ في تجنيده هو الآخر، لكنه يختلف عني فهو فارس مقاتل لذلك فالأوامر الصادرة له كانت لها صبغة الموت، فأنشأ فرقة اسمها الكيسانية تدعو إلى صرف النظر عن الحسن والحسين فهما لا يريدان الخلافة وتدعو إلى خلافة الابن الثالث لعلي بن أبي طالب، محمد بن الحنفية.

كثير من أهل الكوفة انضموا إلى الكيسانية هذه، وأخطر رجل انضم لهم هو المختار الثقفي وهو من كبار سكان الكوفة وأول عمل قامت به هذه الفرقة هي محاولة اغتيال الحسن الذي فوجئ برجال من جيشه يدخلون عليه خيمته ويثب عليه واحد منهم ويطعنه بخنجر مسموم لكنه لم يتمكن من قلبه بل أصاب فخذه.

فشلت محاولة الاغتيال ووصل الحسن إلى معاوية وتنازل له عن الخلافة وحقن دماء المسلمين. وانتقامًا حاول الذين خانوه أن يسمموه أكثر من مرة حتى نجحوا في آخر مرة ومات متأثرًا بالسم.

انتهى طويدا أو حمران من كلامه فقام المغيرة بن شعبة غاضبًا يريد أن يفتك برأسه وقال: «لعنك الله يا ابن اليهودية».

وجهز نفسه ليمسك به ويقتله وكلاهما هولوجرام فأخرجت هاتفي بسرعة وعدلت الإعدادات إلى إنهاء العنف تمامًا في البرنامج، فهدأ المغيرة قليلًا وعاد للجلوس وهو يتبرم ناظرًا إلى حمران بغضب يبدو حقيقيًا جدًا.

***

لعلك تتساءل عن هذا الجنون الذي نحن فيه وتلك الهولوجرامات جالسة هاهنا معنا، أحدهم ملكة وواحد صحابي والثالث خائن، وربما أنت تقول أين الشيعة من هذا كله؟ أريدك أن تركز على الكوفة، تلك المدينة التي صارت مثل عش الدبابير، نصفها إيرانيون مجوس مهزومون حاقدون قتلوا عمر وحرضوا الناس على عثمان، وربعها يهود مطرودون حاقدون حركوا الفتنة بين الصحابة، والربع الباقي عرب تحول معظمهم إلى خوارج قتلوا علي بن أبي طالب وسط المسجد. كل هذا أشعل في الكوفة نارًا لا تنطفئ، نار خرج منها الشيعة.

وإني لا أجد أحدًا يمكن أن يقول ما يجب أن يقال في الشيعة إلا هذا الرجل الذي برز هناك في وسط الغرفة.

***

عمامة عربية خضراء، ملامح عربية أصيلة، لكنها حزينة جدًا، تقدم في وسط الصالة ناظرًا إلينا كأنه مجبر على القدوم، هذا رجل يلقبونه بسفير الإمام الحسين، قيس بن مسهر الصيداوي. مهمته حمل الرسائل من وإلى الحسين، اخترته ليأتينا لأنه الوحيد الذي كان يجوب أرجاء دولة الخلافة بين أكثر المدن فيها اشتعالًا بالفتنة، وقد ضحى بنفسه لأجل إخماد الفتنة.

يقول قيس:

لم نجد في وجوه الرجال وجها أجمل من الحسين، ولا أخشع من وجه الحسين، ولا أشبه برسول الله من الحسين، اللحية والشعر الأسود، مهابة آل بيت رسول الله، سيد شباب أهل الجنة كما قال رسول الله، فكل هؤلاء الشباب

من أبناء الصحابة الموجودين في هذا الزمن، سيدهم جميعًا هو الحسين بلفظ رسول الله.

بعد كل الفتن التي حلت علينا كقطع الليل المظلم جاء أخوه الحسن وأطفأها بجمال وجلال آل بيت النبوة، فأعطى الخلافة لمعاوية إيثارًا على نفسه، لحقن الدماء، ومعاوية صحابي جليل لكننا وجدناه يفعل شيئًا ما فعله أحد من قبله، بدأ يأخذ البيعة لابنه يزيد ليتولى الخلافة بعد أن يموت، ولو كانت البيعة هكذا لكان أخذها أبو بكر لابنه عبد الرحمن، ولأخذها عمر لابنه عبد الله، ولأخذها علي لابنه الحسن، وكلهم أفضل وأعظم قدرًا من يزيد.

كل الصحابة يعلمون ذلك، لكنه كان يقول لهم إن الأمة ابتليت بفتن عظيمة مات فيها ثلاثة خلفاء عمر وعثمان وعلي، ولم تهدأ إلا بعد الحسن، ولئن تركها شورى فهو لا يأمن الفتن التي ستشتعل، فقد كانت شورى واشتعلت الفتنة بين الناس وفيهم أصحاب رسول الله، فما بالك ولم يبق من الأصحاب كثير، اقتنع أغلب الصحابة بكلامه وبايعوا يزيد درءًا للفتنة، إلا الحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

ولقد قالها عبد الرحمن بن أبي بكر لمعاوية : «الله لتردَنَّ هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لتفرنها عليك جذعة». أي لتتكشفنَّ عليك فتنة شديدة. أما الحسين فلم أجده قد تكلم بشيء، فقط امتنع عن البيعة، وسكت. حتى جئته أنا، فتغيَّر كل شيء.

بدأت دموع قيس تنزل وهو يتحدث.

جئت إلى الحسين ومعي أكثر من مئة وخمسين رسالة من أهل الكوفة يدعونه أن يأتي إليهم وسينصرونه ويبايعونه، وكلنا نعلم أن أهل الكوفة أكذب وأجبن الناس، ليس فيهم من أهل الجهاد إلا قليل، أكثرهم فرس مجوس منافقون أو خوارج أو يهود، قالوا عن أنفسهم إنهم شيعة علي بن أبي طالب، ونحن لا ننسى مقالة علي بن أبي طالب فيهم لما نقل مقر الخلافة عندهم وخطب فيهم خطبة فضحتهم للعالم وأوجعتهم فقال: «استنفرتكم للجهاد

فلم تنفروا وأسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرًّا وجهرًا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أحثكم على الجهاد فما آتي على آخر قولي حتى أراكم ترجعون إلى مجالسكم تضربون الأمثال وتتددون الأشعار، وتتجسسون الأخبار حتى إذا تفرقتم تسألون عن الأسعار، جهلة من غير علم وغفلة من غير ورع. أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المبتلي بهم أهواؤهم، لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلًا منهم، والله لقد ضربتكم بالدرة التي أعظ بها السفهاء فما أراكم تنتهون، فما بقى إلا سيفي، وإني لأعلم الذي يقومكم بإذن الله ولكني لا أحب أن ألي ذلك منكم، اللهم إني مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني خيرًا منهم وأبدلهم شرًّا مني».

لا أدري ماذا رأيت في عين الحسين لما رأى كل هذه الصحائف من أهل الكوفة، لكني لم أرَ فيها رغبة في سلطة، ورغم ذلك عزم على الذهاب إلى الكوفة لينصره أهلها كما يزعمون، كدت أجن. جميع الصحابة يعرفون أن أهل الكوفة كذّابون، والحسين نفسه يعرف لكنه رغم ذلك أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة ليتأكد من صدق أهلها، وأمرني أن أرافق مسلم للكوفة ثم آتي إلى المدينة بالخبر.

ولما دخلت الكوفة مع مسلم بن عقيل التف حولنا أهلها من كل مكان حتى بلغوا أكثر من ثمانية عشر ألفًا فاستبشرنا بهذا أحسن استبشار، وانطلقت على الفور إلى المدينة لأبلغ الحسين بالخبر، وبينما أنا في الطريق حصلت أمور في الكوفة عرفتها فيما بعد، أمور قلبت الموازين على رؤوس الجميع.

كان لدى يزيد بن معاوية مستشارًا نصرانيًّا اسمه سرجون، وهذا من الكوارث لأن هذا النصراني فور أن علم أن مسلم بن عقيل في الكوفة يأخذ البيعة للحسين أشار على يزيد أن يعزل واليها ويعين بدلًا منه رجلًا فارسيًّا كريهًا قاسيًا اسمه عبيد الله بن زياد حتى يحكم أهلها ويمنع الفتنة، وابن زياد هذا ربته امرأة مجوسية شرب منها الفارسية حتى أصبح لا يحسن العربية وينطقها مثل حمر الديلم الذين في الكوفة. نزل هذا الرجل إلى الكوفة ودخلها ملثّمًا فاجتمع عليه الناس وقالوا مرحبًا يا ابن بنت رسول الله، يظنون أنه

الحسين، فلما كشف عن لثامه عرفوه وأصابهم الرعب لكنه تركهم وانطلق إلى قصر الإمارة.

ولم تمضِ ساعات حتى جاء مسلم بن عقيل إلى القصر وحوله جيش من الكوفيين ولم يخرج لهم ابن زياد، بل خرج كبراء القبائل الكوفية الجبناء الذين قبضوا المال من ابن زياد، أخذوا يحدثون الناس أن يرجعوا وألا ينصروا هذه الفتنة، وأن يبايعوا يزيد فبدأ الناس يتناقصون، حتى أتى المساء وليس حول مسلم بن عقيل إلا خمسمئة رجل، ثم أصبحوا ثلاثمئة، ثم أصبحوا ثلاثين رجلًا صلى بهم المغرب فانتهى ولم يبقَ معه سوى عشرة ولم يلبثوا إلا انصرفوا عنه وبقي وحيدًا ليس معه أحد، ومشى في الظلام لا يدري أين يذهب، هؤلاء هم أهل الكوفة، شيعة علي والحسين. عند النزال لا يساوون حتى الورقة التي كتبوا فيها عهودهم.

نزل مسلم بن عقيل في دار عند أطراف الكوفة أحاط بها جنود بن زياد وحاصروها وجعلوا يشعلون النار في القصب ويرمونها داخل الدار حتى خرج لهم مسلم بن عقيل يقاتلهم لكن بلا جدوى، ولما عرف أنه لا بُدَّ مقتول بكى، بأبي هو وأمي فقال له أحد الجنود: «ويحك.. إن من يطلب مثل الذي تطلبه لا يبكي هكذا».

فقال له: «أما والله لست أبكي على نفسي، ولكن أبكي على الحسين وآل الحسين، أنه قد خرج إليكم اليوم أو غدًا من مكة فقد وصلته رسالتي أن أهل الكوفة سينصرونه».

أخذه الجنود إلى قصر ابن زياد وأصعدوه إلى سطحه وهو يكبر ويستغفر ويقول: «اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا».

ثم ضربوا عنقه وألقوا برأسه إلى أسفل القصر، قتله الإيراني ابن المجوسية.

أما أنا فوصلت إلى الحسين وأنا لا أعرف شيئًا عن هذا كله فبشرته بالنصرة ومرة أخرى لم أرَ في عينيه رغبة في سلطان ولا شيئًا لنفسه، ولم أكن أدري ما به.

أخرج الحسين أهل بيته معه وخرجت معهم في قافلة متوجهة إلى الكوفة.

أعطاني الحسين رسالة أذهب بها إلى أهل الكوفة تنبئهم بقدومه إليهم، ونظرت إليه نظرة أخيرة، هذا رجل ذاهب ليكون قتيلًا في سبيل الله، فسألت الناس فأبلغوني من الخبر ما لم أكن أعلم. أبلغوني أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان ذات مرة وهو صغير يتوثب على ظهر النبي فدخل على رسول الله ملك من الملائكة لم يدخل عليه من قبل، فقال له الملك أتحبه، قال نعم، قال فإن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك التربة التي يقتل بها فقال النبي نعم، فقبض الملك قبضة من تراب أحمر وأعطاها للنبي فأعطاها أم سلمة حتى تحفظها.

توجهت إلى الكوفة برسالة الحسين وعيني مليئتين بالدمع فقبض عليَّ الجنود وذهبوا بي إلى ابن المجوسية، وقبل أن أدخل عليه قطعت رسالة الحسين وأتلفتها فقال لي: «من أنت؟».

قلت له في ثبات: «أنا رجل من أنصار الحسين عليه السلام».

ثم قال: «فلماذا مزقت الرسالة؟».

قلت له بقوة: «لئلا تعلم ما فيها».

فقال لي: «من صاحب الرسالة وإلى من بعثها؟».

قلت: «الرسالة من الحسين بن علي إلى رجال من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم».

فغضب ابن المجوسية وقال: «والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر، وتلعن الحسين وإلا قطعتك إربًا إربًا».

قلت له: «أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأما لعن الحسين وأبيه وأخيه فسأفعل».

فأصعدني الإيراني ابن المجوسية إلى المنبر فحمدت الله وأثنيت عليه وصليت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم قلت أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم، وإنه قادم لكم بعد أيام فأجيبوه ولا تخذلوه، ثم لعنت ابن زياد وترضيت على الحسين وعلى أبيه، فأمر ابن زياد أن يرموني من أعلى القصر فرموني حتى تقطعت أوصالي.

سكت قيس ولم يتكلم بعدها وكان يبكي فقلت له ما رأيك يا قيس أن أخبرك بما حدث من بعدك للحسين، فأحنى رأسه في حزن وأومأ إيجابًا.

قلت له: «فإن الحسين يا قيس قد عرف في الطريق بموتك وموت مسلم بن عقيل فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لا خير في العيش بعدهما. وكان الناس يتجمعون حوله كلما اقترب من الكوفة فكان يقول لهم: يا قوم لقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه».

فتفرق الناس عنه يمينًا وشمالًا حتى لم يبق معه إلا أهله وأصحابه الذين جاؤوا معه من مكة، ولما دخل كربلاء هجم عليه جنود بن زياد بجيش تسعة عشاره من حمر الديلم الفرس، فقال لهم الحسين: «اختاروا مني إحدى ثلاث؛ إمَّا أن تتركوني أرجع كما جئت، وإمَّا تسيروني إلى يزيد فأضع يدي في يده ثم يحكم في أمري ما يرى، وإمَّا تسيروني إلى أمة الخزر فأقاتلهم حتى أموت في سبيل الله».

فأرسلوا إلى بن زياد فقال لهم لا نختار أيًا من الثلاثة، بل ينزل على حكمي أنا، فرفض الحسين وتأهب للقتال، فغضب بعض الرجال الشرفاء الذين كانوا في جيش بن زياد وقالوا للآخرين: «أيعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال، فلا تقبلوا منها شيئًا؟».

فتحولوا مع الحسين فقاتلوا معه، ونجح المجرمون في قطع رأس الحسين وأمسكوها بأياديهم القذرة يحملونها إلى ابن زياد الذي وضع الرأس في طست وأخذ يضربه بقضيب في يده استهزاء وهو ينظر إلى الرأس ويقول: «ما رأيت مثل هذا جمالًا وحسنًا».

سمعنا أنينًا من الهولوجرام الذي يمثل قيس فنظرنا إليه فإذا هو قد غطى رأسه بردائه وأخذ يبكي وكذلك الهولوجرام الذي يمثل المغيرة بن شعبة الذي كان يقول: «فداك نفسي يا ابن بنت رسول الله».

لم يشهد المغيرة أيًا من هذه الأحداث بل مات قبلها، أعرف أنك تشعر بغرابة وأنت تنظر إلى هذه الهولوجرامات تبكي هكذا لكنهم قد أدوا دورهم.

لمست شاشة جوالي لمسة واحدة فقامت الهولوجرامات واستدارت كأنها مغادرة ثم تبخرت من الجو كأن لم تكن.

***

الآن راجع معي جيدًا.

الذين قتلوا عمر بن الخطاب هم الفرس (أبو لؤلؤة المجوسي) وصنع له شيعة إيران تمثالًا ليكرموه.

الذين تآمروا على عثمان بن عفان هم الفرس (حمران بن أبان).

الذين خذلوا علي بن أبي طالب في قتاله ضد معاوية هم شيعة العراق، منهم عرب وأكثرهم فرس.

الذين خذلوا الحسن عند ذهابه ليتنازل لمعاوية وحاولوا قتله هم شيعة العراق بمؤامرة مع شيعة الفرس (كيسان أبو عمرة).

الذين خذلوا الحسين بعدما وعدوه أن ينصروه هم شيعة العراق، منهم عرب وأكثرهم فرس.

الذين قتلوا الحسين هم الفرس (عبيد الله بن زياد) وجيشه من الفرس (حمر الديلم).

كما تلاحظ الفرس الإيرانيين الحاقدين على الإسلام دخلوا في الإسلام وتآمروا لإسقاط الخلفاء الراشدين بكافة الطرق الممكنة؛ فقتلوا عمر وهيجوا الخوارج على عثمان واتبعوا شيعة علي ثم خذلوا علي وقتلوا الحسن ثم خذلوا الحسين وقتلوه، كل هذا لأن إمبراطوريتهم الفارسية المجوسية أسقطها المسلمون وأبطلوا دين المجوس ونشروا دين الله.

فكان شيعة العراق نصفهم فرس إيرانيون، بعضهم رؤوس كبار يحركون الثورات وبعضهم جنود فرس من حمر الديلم، لا يدرون عن الدين شيئًا، ويسهل توجيههم إلى أي اتجاه مثل الغنم.

تكاد كل جملة أن يكون فيها فرس إيرانيون، ركّز معي جيدًا، لا أريد أن أقول لك إن كل الفرس الذين دخلوا الإسلام كانوا حاقدين، بل إن الفرس

فيهم أكبر علماء الإسلام مثل البخاري ومسلم وابن ماجة والبيهقي والترمذي والبغوي والرازي والطبري وغيرهم كثير، فكل هؤلاء فرس من أهل السنة والجماعة، إنما حديثي سيكون عن الفرس الشيعة، وهؤلاء كانوا أخطر شيء أصيب به الإسلام منذ بدء الرسالة حتى الآن.

فالفرس ظلوا يشعلون الأجواء بعد ذلك على الدولة الأموية حتى ظهر أبو مسلم الخراساني، رجل إيراني شيعي أسقط الدولة الأموية كلها، اسمه الحقيقي هو بهزادان بن شيرون بن إسفنديار، انتحل اسمًا إسلاميًا هو «أبو مسلم»، وجمع الفرس حوله في بلاد فارس، ودعا إلى حكم آل البيت العباسيين أحفاد العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فاحتل بلاد فارس والعراق فأخذها وهزم الأمويين وأقام الدولة العباسية.

حاول أبو مسلم الاحتيال فادعى أن نسبه من آل البيت من سليط بن عبد الله بن عباس وخطب امرأة عباسية وكادت الدولة الإسلامية أن يخلفها شيعي إيراني، لكن سرعان ما انتبه له الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور وقتله.

لكن الفرس وجدوا طريقهم كما يعرفون دائمًا وتسلل كهنة المجوس الإيرانيون، وأصبحوا وزراء الدولة العباسية. خالد بن برمك، كان هو وأبوه وإخوته كهنة يخدمون معبدًا للمجوس في إيران توقد فيه النيران، تسلل خالد إلى قلب الدولة فصار وزيرًا للمنصور، وأصبح ابنه يحيى وزيرًا لهارون الرشيد، ثم خلفه في الوزارة ابنه الفضل الذي صار وزيرًا يحمل خاتم السلطة العباسية.

كبرت عائلة برمك الإيرانية وتولوا مناصب في الدولة العباسية، وملكوا شؤون الدولة المالية وكبرت أموالهم حتى ملكوا القصور والضياع والمزارع، ودفعوا إلى الرشيد بجارية إيرانية اسمها مراجل بنت أستاذ سيس الفارسي الذي ادَّعى النبوة في فارس، دفعوها إلى هارون الرشيد ليتزوجها فأنجبت له المأمون.

اهتم البرامكة بالمأمون جدًا لأنه نصف فارسي، لكن هارون الرشيد عيَّن ابنه العربي «الأمين» وليَّ العهد ليصير الخليفة من بعده، لكن البرامكة جعلو هارون يعين المأمون ولي العهد ليصير الخليفة من بعد الأمين.

مرت الأيام والبرامكة الفرس يكبرون حتى طغى صيتهم على صيت هارون الرشيد الذي انتبه فجأة لنفوذهم المتغلغل داخل الدولة، فأمر بالقبض عليهم أجمعين وإيداعهم السجون وكانت نكبة كبيرة للفرس سميت بنكبة البرامكة.

واكتملت نكبة الفرس بعد أن تولى الأمين الخلافة فعزل أخاه الفارسي المأمون من ولاية العهد، فغضب أهل خراسان وانطلق المأمون إليهم فجمع جيشًا فارسيًا كبيرًا انقضَّ به على بغداد عاصمة الدولة العباسية، وحاصرها خمسة عشر شهرًا، وضربها بالمنجنيق حتى سادت فيها الفوضى وأهلكتها المجاعة حتى تهاوت أسوار المدينة، وقبض على أخيه الأمين ووضعه في السجن، وأدخل عليه جماعة من الفرس الإيرانيين السجن فقتلوه وتولى المأمون الخلافة، وكان أول قرار له هو نقل مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى مرو الإيرانية.

أحدث المأمون الفارسي في الإسلام أكبر فتنة عرفها العلماء والفقهاء وهي فتنة خلق القرآن، حيث قرر المأمون فجأة أن القرآن مخلوق، وحبس وقتها كثيرًا من العلماء في السجون، وكان يخرجهم فيمتحنهم فيغير كثير منهم أقواله فيخرجه من السجن، إلا الإمام أحمد بن حنبل الذي وقف وحده أمام هذه الفتنة وبقي في السجن.

ونشط في عصره المجوس من الفرس وبدأوا في تشويه التاريخ الإسلامي، خصوصًا أحداث الفتنة بين الصحابة فبدأوا في دس الأحاديث المكذوبة على النبي، والتي تعظم من شأن الشيعة وتحقر من شأن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة، فما من رواية أو حديث مكذوب في كتب الحديث والتاريخ والسير إلا وتجد مجوسيًا وراءه.

وأكبر كذبة روَّجوها في ذلك الوقت هي أن الحسين تزوج من بنت إمبراطور الفرس يزدجرد، قالوا إن اسمها شهربانو، وأن علي بن الحسين

من نسلها وكل أئمة آل البيت الإثني عشر الذي يؤمن بهم الشيعة كلهم أولاد شهربانو الفارسية، وضريحها موجود في إيران حتى اليوم.

لذلك تجد الشيعة الفرس لا يهتمون سوى بالحسين، ولا يستغيثون سوى بالحسين رغم أن علي بن أبي طالب عنده عشرة أولاد غير الحسين: الحسن والمحسن والعباس وهلال وعبد الله وجعفر وعثمان وأبو بكر وعبيد الله وعمر، كل هؤلاء أولاد علي بن أبي طالب، فهل تراهم يومًا يقولون يا محسن أو يا هلال، بل فقط يا حسين، لأن حسين تزوج تلك الفارسية المزعومة وأنجب منها كل الأئمة الإثني عشر، وهذا كذب صريح فإن جميع كتب التاريخ الفارسي تجمع بلا شك أن يزدجرد لم تكن له بنات أصلًا، لكن هذه الكذبة أسهمت في إدخال كثير من الفرس في المذهب الشيعي.

ثم توالت الثورات الشيعية الإيرانية على الدولة العباسية، فنشأت دول شيعية فارسية في قلب الدولة العباسية، مثل دولة القرامطة الشيعية في البحرين التي تنتسب إلى قرمط الفارسي، وهم الذين هجموا على مكة وعملوا فيها مذبحة حيث قتلوا ثلاثين ألفًا من أهلها، وخلعوا باب الكعبة وسلبوا كسوتها واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه، وحملوه إلى بلادهم وظلوا يفسدون في الأرض حتى نزل عليهم الأتراك السلاجقة السنة وأسقطوا دولتهم.

ثم الدولة الفاطمية الشيعية التي احتلت مصر ثم الشام، وهم ينتسبون إلى عبد الله بن ميمون القداح وهو مجوس إيراني اسمه الحقيقي ابن ديصان البوني، وقد ادَّعى زورًا وكذبًا انتسابه لآل البيت.

وجاء من حكام الشيعة الفاطميين الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية وبث دعاته في كل مكان يبشرون بمعتقدات المجوس مثل تناسخ الأرواح وحلول الله في الأجسام، وهؤلاء نبت عنهم الدروز الذين يعيشون حتى اليوم ويرجعون إلى الإيراني حمزة الدرزي الذي دعا أول مرة إلى ألوهية الحاكم بأمر الله، حيث يؤمنون أن الله يمكن أن يتجسد في إنسان، وظهرت خيانتهم فيما بعد عندما دعموا إسرائيل المحتلة الصهيونية، وتطوع عدد كبير من أبنائهم في جيش الدفاع الإسرائيلي.

ولما نزلت الحملة الصليبية الغاشمة على بلاد المسلمين ساعدهم الفاطميون الشيعة على احتلال أنطاكية وهزيمة أهل السنة السلاجقة هناك، حتى إن الصليبيين قدموا رؤوس السلاجقة المهزومين هدية للفاطميين الشيعة، ولم يكتف الفاطميون بل احتلوا القدس من السلاجقة الذين أنهكتهم معركة أنطاكية وقدموها للصليبيين على طبق من ذهب فكانوا هم سبب احتلال الصليبيين للقدس بكل ما استباحوه فيها من دماء ونساء وأطفال، وذلك لما هربوا وتركوا في القدس حامية صغيرة لا تصلح لصد جيش من الذباب.

ظل الفاطميون الشيعة بخياناتهم رابضين على مصر حتى أتى صلاح الدين الأيوبي وأسقط دولتهم وأعادها للدولة العباسية ونشر المذهب السني.

هل عددت كم مرة ذكرنا الإيرانيين الفرس الشيعة، هل تتخيل كمية الخيانات البغيضة؟

ليست المشكلة في المذهب الشيعي نفسه، فإن شيعة العرب يعيشون مع أهل السنة ويتزوجون منهم ويصاحبونهم في العراق والكويت والبحرين ولبنان واليمن وسوريا، واختلاف أهل السنة معهم هو في عقائد وتاريخ وشخصيات، لكن المشكلة هي في الشيعة الفرس، فهؤلاء تسلقوا على المذهب الشيعي لأغراض سياسية وكلهم بلا استثناء خونة.

تابع معي وستفهم أكثر.

نزل البويهيون إلى أرض الأحداث وهم أسرة إيرانية شيعية احتلوا بلاد فارس، ثم احتلوا العراق وخلعوا الخليفة العباسي وعينوا خليفة عباسي آخر مثل الدمية، وصاروا هم على رأس الخلافة العباسية لأكثر من مئة عام، وهؤلاء فرضوا التشيع بالقوة وفرضوا الحزن واللطم والنوح على الحسين يوم عاشوراء ومنعوا فيه البيع، واستولوا على أموال الدولة ومنعوا الخليفة من الاطلاع على أي معاهدات سياسية أو قضايا سيادية، لكنهم لم يتمتعوا طويلًا بتشيعهم فقد هزمهم السلاجقة الأتراك السنة، واستعادوا إيران والعراق وأرجعوها للدولة العباسية، وأزالوا سب الصحابة من على أبواب المساجد.

ثم خرج الحشاشون في إيران وهي فرقة شيعية إيرانية أسسها حسن الصباح الذي ولد وعاش وحكم من قلعة ألاموت جنوب إيران، ولقد أذاقهم صلاح الدين الويل قد حاولوا اغتياله أكثر من مرة وفشلوا، وظلوا يغتالون ويعيثون في الأرض الفساد حتى نزل عليهم المغول بقيادة هولاكو فاحتل المغول إيران وأسقطوا الحشاشين، واحتلوا قلعة ألاموت وأخذوا منها وزير الحشاشين الشيعة نصير الدين الطوسي الإيراني الذي أصبح -ويا للعجب- وزيرًا لهولاكو.

أقنع الطوسي الشيعي الفارسي هولاكو بالهجوم على الدولة العباسية وإبادتها، ومهَّد له الطريق بأن تواصل مع وزير الدولة العباسية الشيعي ابن العلقمي، ووعده أن يعطيه هولاكو إمارة بغداد عند احتلالها، ونزل المغول كأنهم يأجوج ومأجوج ودكوا بغداد وجعلوا عاليها سافلها حتى صارت الأنهار حمراء من الدم، ولا يوجد موضع في المدينة ليس فيه حريق أو أكوام من الجثث، وكان الطوسي الإيراني رفيق هولاكو في كل خطوة ودليلًا له على كل ما يفعل، حتى قتل أكثر من مليون ونصف مسلم في أبشع مذبحة عرفها التاريخ الإسلامي، وتحولت بغداد من زهرة مدائن الدنيا إلى مدينة خربة ينعق فيها البوم ورائحة الجثث تزكم الأنوف.

كل هذه الدول الشيعية الفارسية ظهرت في زمن متقارب جدًا، واقتسموا العالم الإسلامي مثل الكعكة حتى أعطوه هدية للمغول الذين أنهوا الدولة العباسية من على وجه التاريخ.

أتخيل أنك مللت من كل هذه الخيانات الشيعية في كل هذه السطور، لكن لا يجب عليك الشعور بالملل بل بالحسرة.

حتى عندما برزت الدولة العثمانية وضمت جميع العالم الإسلامي تحت جناحها، وبدأت تفتح البلاد الأوروبية أتاها الخنجر الشيعي الإيراني من ظهرها، فخرجت عليها الدولة الصفوية الفارسية الشيعية واستولت على إيران وفرضوا عليها التشيع، وجعلوه الدين الرسمي للدولة وكانوا شيعة متعصبين حتى إنهم حولوا مسار الحج للحجاج الإيرانيين من مكة إلى مشهد التي فيها مقام الإمام الرضا ثامن الأئمة الشيعة، وبدأوا في مهاجمة العثمانيين

من الخلف فاضطر العثمانيون إلى وقف الفتوحات الإسلامية، والتوجه إلى مواجهتهم وحدثت حروب كثيرة بينهما.

كذلك خرجت الدولة البهائية والتي زعم مؤسسها بهاء الله الشيعي الفارسي أن الله حل فيه، وألف كتابًا زعم أنه أقدس من القرآن وأبطل البهائيون شريعة الجهاد الإسلامي مما جعل الإنجليز يدعمونهم حتى إنه لما احتلت بريطانيا فلسطين أصدر البهاء لوحًا يبجل فيه الملك البريطاني وقال: «اللهم أيّد الإمبراطور الأعظم عاهل إنجلترا بتوفيقاتك الرحمانية، وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم الجليل (فلسطين) بعونك وصونك وحمايتك، إنك أنت المقتدر المتعالي العزيز الحكيم»، وأصبحت إسرائيل المحتلة لاحقًا تعامل البهائيين الساكنين فيها كما تعامل اليهود تمامًا.

حتى وصلنا إلى هذا العصر الحديث وقامت الثورة الشيعية الفارسية في إيران بقيادة الخميني، وهي ثورة شارك الرئيس الأمريكي كارتر والمخابرات الأمريكية في تنفيذها، كل هذا انكشف مؤخرًا بوثائق من المخابرات الأمريكية تم رفع السرية عنها وفي مذكرات الشاه الملكي الإيراني محمد رضا بهلوي الذي خلعه الخميني بثورته.

الآن تعال نعود ليهود أصفهان، هل تذكرهم؟ وتلك الأميرة التي ظهرت لتحكي لنا قصتها في البداية، إن إيران اليوم هي ثاني أكثر دولة في الشرق الأوسط فيها يهود بعد إسرائيل، وهناك معابد كثيرة لليهود في طهران، ولا يوجد بها مسجد واحد للسنة، وعلى الرغم مما هو معلن أن إيران تعادي إسرائيل فأنا أعلم أنك واع كفاية الآن لتقبل ما سأقوله لك.

يهود أصفهان الإيرانيون هم أكبر رؤوس دولة إسرائيل المحتلة، بل إنهم وصلوا إلى أن أصبح رئيس إسرائيل هو يهودي من أصفهان، الرئيس الثامن للكيان المحتل موشيه كتساف.

وزير الدفاع الإسرائيلي السابق Shaul Mofaz يهودي إيراني.

قائد جيش الدفاع الإسرائيلي السابق هو Dan Halutz يهودي إيراني.

تريد المزيد؟

كبار حاخامات اليهود في إسرائيل هم إيرانيون من أصفهان ولهم نفوذ واسع داخل المؤسسات الدينية والعسكرية، ويرتبطون بإيران عبر حاخام معبد أصفهان.

الحاخام الأكبر لإسرائيل كان يهوديًا إيرانيًا هو Eliyahu Bakshi-Doron.

كثير من أعضاء الكنيست الإسرائيلي المجرم هم يهود إيرانيون مثل ميخائيل بين-أري وMordechai Zar وMeirav Ben-Ari وGalit Distel-Atbaryan.

هناك 100 ألف يهودي إيراني في إيران و200 ألف يهودي إيراني في إسرائيل.

حجم الاستثمارات الإسرائيلية داخل الأراضي الإيرانية بلغت أكثر من 30 مليار دولار، ألم تسأل نفسك لماذا تضبر وكالات الطاقة الذرية على تخصيب اليورانيوم والمفاعلات التي تملأ أراضي إيران؟

أظنك عرفت السبب، حتى حزب الله الشيعي الذي يفترض أنه يحارب إسرائيل في الظاهر اتخذ من مقاومة إسرائيل وسيلة فقط لإنشاء كيان شيعي إيراني في لبنان، وولاؤه الكامل هو لإيران حسبما صرح رئيس حزب الله حسن نصر الله حينما قال: «مشروعنا دولة إسلامية، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة، وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه بالحق الولي الفقيه الإمام الخميني».

فكما أن الشيعة الفرس هم خونة فكذلك شيعة العرب الذين ولاؤهم لشيعة الفرس وإيران هم أيضًا خونة.

ولقد اتضح هذا تمامًا في غزو أمريكا للعراق، ذلك الغزو الذي دمر بلادنا ونهب خيراتها، تجد أن الخائن الذي تعاون مع أمريكا وإيران لعمل هذا الغزو هو نوري المالكي، وقد أصبح رئيس وزراء العراق بعدها، فهو شيعي عربي لكن ولاءه لإيران، فهو خائن، بينما في نفس أزمة الغزو الأمريكي هذه كان الذي جند الجنود لمقاومة الغزو الأمريكي هو رئيس شيعة العراق العربي

مقتدى الصدر. وهو شيعي، لكن ولاءه ليس لإيران، بل لبلاده. العراق، هل عرفت الفرق؟

فشيعة العرب غير الموالين للفرس بريئون من الخيانة السياسية كلها، رغم أن مذهبهم الشيعي مبني في أصله على تكفير جميع المسلمين من غير الشيعة، فعندهم أي شخص لا يؤمن بالإمامة كافر بإجماع كل شيوخهم وكتبهم بلا استثناء. ورغم هذا يبيحون الزواج من أهل السنة على كراهة، والإمامة هي أن تؤمن أن الأئمة الاثني عشر معصومون مثل الأنبياء وكلامهم هو تشريع مثل كلام النبي تمامًا، وأن آخر الأئمة هو المهدي الذي اختفى تمامًا من الأرض وهو صغير وسيعود في آخر الزمان.

وللأسف اتضح أن المهدي الذي ينتظره الشيعة هو نفسه المسيح المنتظر اليهودي الدجال بلا أي اختلاف، فلو راجعت نصوص الشيعة الموثوقة عن مهديهم المنتظر ستجد أوصافه كالتالي.

يعطيه الله مثلما أعطى داوود وسليمان وسيحكم بحكم داوود وسليمان، وسيدعو الله باسمه العبراني اليهودي «يهوا»، وسيتبعه سبعة وعشرون رجلًا من قوم موسى، وسيفتتح المدن بتابوت اليهود وسيخرج عصا موسى، ويبايع الناس على شريعة جديدة وكتاب جديد وسلطان جديد من السماء.

ولو تأملت في أوصاف المسيح اليهودي ستجد أنها منسوخة بالضبط من مهدي الشيعة.

فعندما يعود مسيح اليهود سيضم مشتتي اليهود من كل أنحاء الأرض، ويكون مكان اجتماعهم مدينة اليهود المقدسة وهي القدس.

وعندما يخرج مهدي الرافضة سيجتمع إليه الرافضة من كل مكان، ويكون مكان اجتماعهم المدينة المقدسة عند الرافضة «الكوفة».

عند خروج مسيح اليهود يحيي الأموات من اليهود، ويخرجون من قبورهم لينضموا إلى جيش المسيح.

وعندما يعود مهدي الرافضة يحيي الأموات من الرافضة وسيخرجون من قبورهم لينضموا إلى معسكر المهدي وسيقتل مسيح اليهود ثلثي العالم «لا

يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس فقيل له: فإذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى قال: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي».

وسيقتل مهدي الرافضة ثلثي العالم حسب نبوءة التوراة «وَيَكُونُ فِي كُلِّ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أن ثُلْثَيْنِ مِنْهَا يُقْطَعَانِ يَمُوتَانِ، وَالثُّلْثَ يَبْقَى فِيهَا» وإن كنت لا تصدق كل هذا فاقرأ نصوصهم التي لا ينكرونها وعُد إلى هنا.

وفي النهاية تذكر حديث رسولك صلى الله عليه وسلم الصحيح «يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة».

ألا هل بلغت. اللهم فاشهد.

الفصل الخامس

الخزر

لم يقولوا لك عندما جئت إلينا إن هذا العالم هو للكبار فقط، كمية العنف والدماء التي رأيتها لا يتحملها قلب طفل، أراك تنظر لي بطريقة مختلفة قليلًا، نعم أنا فتاة، كما يظهر من هيئة عباءتي وقلنسوتي والشعر الأسود المتدلي على كتفي رغم أن وجهي ما زال مظلمًا فلا تقدر أن ترى منه شيئًا، صدقني عندما تخرج من عندي ستعرف أن الوجوه ليس لها أهمية كبيرة.

أنا الرفيقة «أ»، وهي ترمز لكلمة اقرأ، ولو نظرت حولك الآن ستفهم.

أنت في مكتبة، ليست مكتبة عادية كما ترى بل هي أكبر مكتبة في العالم تقريبًا، هذه القاعة التي نحن فيها أكبر من قاعات القصور، ورفوف الكتب تحتل الجدران من أسفلها إلى أعلاها.

هل كوني فتاة يجعلك تظن أنك لن ترى أي دماء وعنف عندي؟ لا أعدك بذلك لكن أعدك أن الأمر سيكون محتملًا.

تفضل معي هنا واجلس على هذا الكرسي في وسط القاعة وكل هذه الكتب حولك، أنت تحب الكتب، لذلك اقتنيت هذا الكتاب الذي تقرأني منه، قوة الكلمة المكتوبة هي أنها تهمس لك وتتحدث كأنها صوت خفي يخرج من الكتاب، ولا يسمعه أحد ممن حولك، فقط تسمعه أنت، لأنه يحدثك أنت.

مثلما أفعل أنا الآن. هل يسمعني أحد؟

بالطبع لا، هذا هو سحر القراءة، لذلك كان حرفي هو الألف وكلمتي هي اقرأ، أول كلمة أنزلت على خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم.

الكلمة تثير خيالك، أكثر مما يفعل الفيلم واللوحة، تجعلك تشعر أنك حر، لا أحد يفرض عليك طريقة التخيل، فقط أنت وخيالك، تتخيل الملامح والصوت كما يحلو لك، هذه هي قوة الكلمة.

لو قرأني ألف إنسان اليوم سيتخيلونني في ألف صورة، لأجل ذلك ستبقى الكلمة مهما تطورت الدنيا.

في عالمي وزماني كل شيء تطور وأصبح أعلى من كل الذي رأيته عند رفاقي السابقين، ربما تتساءل عن صدق كلامي هذا وأنت تنظر إلى المكتبة العادية التي حولك، المفترض عندما أقول لك إنني الأكثر تطورًا أن تكون في سفينة فضاء مثلًا، لا تتعجل، ستفهم خلال ثوانٍ.

أنت رأيت الهولوجرام والأنسنة واللوحات المتحركة والأفلام التفاعلية والوهمية، كل هذا جميل لكن العلم دخل في حقبة جديدة تمامًا عندما اكتشفنا هذا الشيء الذي سأريك إيّاه.

مبدئيًا حتى تتقبل ما سأقوله سأعطيك الأساس الذي انطلقنا منه، أنت تذكر الهولوجرام، فكرته هو ضوء يتكثف في الهواء فيتخذ شكلًا معينًا، هذا عادي ورأيته، لكن الهولوجرام كان مجرد هواء، لو مررت يدك خلاله ستمر منه كأنه سراب، التطور الذي أحدثك عنه بدأ عندما نجحنا في جعل يدك لا تمر منه.

فأصبح له كيان.

درجة تكثيف المادة الهولوجرامية أصبح بإمكاننا التحكم بها، هل تذكر لعبة القط التي يلعب بها طفلك في الجوال؟ مجرد قط أبله يلمسه طفلك على الشاشة فيبدأ التحرك وكأنه يلاعبه، نحن أخرجنا هذا القط من الجوال جعلناه هولوجرام لو مد طفلك يده إليه سيلمسه، ويلاعبه، هذا القط أصبح له كيان هولوجرامي له ملمس غريب لكنه حقيقي، لو اصطدمت به يقع ويمكنك أن تحمله وتضعه في مكان آخر.

المثير هو التطور الذي عملناه بعد ذلك، بمزيد من البحث استطعنا زيادة التحكم بالتكثيف إلى أي درجة صلابة نريدها، فأمكننا أن نجعل هذا القط في صلابة الحديد فلو ضربته بيدك تؤلمك، ويمكننا أن نجعله في صلابة البالون لو ضربته سيطير في الغرفة، فقط بالتحكم في كثافة المادة الهولوجرامية.

هذا سمح لنا بمحاكاة المواد الحقيقية بالهولوجرام، انظر إلى هذه العصا التي في يدي، خذها الآن بيدك وأمسكها، هل تشك لحظة أنها عصا خشبية؟

هذه ليست عصا خشبية هذه هولوجرام، وهذا الكرسي الذي تجلس أنت عليه هولوجرام، وهذه المكتبة التي نحن فيها كلها لو ذهبت إلى رف منها ستجده رفًا حقيقيًا ولو أخذت كتابًا وفتحته ستجده كتابًا له ملمس الورق وصوت الورق، وكل هذا هولوجرام، يعني يمكنني أن أخفيه بضغطة زر.

انظر.

اختفت العصا من يدك.

انظر.

بإشارة من يدي تحركت بعض الكتب التي في الرفوف وطارت في الهواء وأصبحت تدور فوق رأسي، سأمسك أي كتاب منها وألقيه إليك لتتصفحه.

هل رأيت.

نحن لا نصنع الأشياء ونخلقها من العدم طبعًا، كل هذه هولوجرامات، يعني سراب. لها جسم خارجي مزيف يمكن إخفاؤه بضغطة زر، فلو صنعت أنا مسدسًا بالهولجرام لن أقدر أن أطلق عليك النار لأن الهولوجرام فقط يصنع الشكل الخارجي وليس الميكانيكيات الداخلية، لكن لو ضربتك بجسم المسدس الهولوجرامي الصلب سيؤلمك.

تقنية الأنسنة أنت رأيتها، كانت تخرج أشخاصًا هولوجراميين، لكن في عصري لو لمست يد هذا الشخص الهولوجرامي ستشعر بملمس الجلد الحقيقي، لكن هذا مجرد شكل خارجي، ليس فيه دم ومعدة وأمعاء وعقل ولا أي شيء، مجرد شكل إنسان كأنه تمثال شمع لكن بالهولوجرام.

سمينا هذه التقنية «التجسد»، يمكن أن تجعل الهولوجرام يتجسد في أي شيء، إنسان، قط، كلب، تنين، وإذا ذهبت لتلمس أي شيء من هذه الأشياء ستجد ملمسه يبدو حقيقيًا جدًا.

كثير من أبناء عصري قالوا إن هذه التقنية هي بداية اكتشاف طبيعة الجن والشيطان الذين يمكنهم أن يتمثلوا بتغيير تكثيف أجسادهم، أو يكونوا شفافين غير مرئيين تمامًا، وكذلك الهولوجرام يمكن أن نجعله شفافًا ويمكن أن نكثفه.

المادة الهولوجرامية التي صنعنا منها هذه التقنية هي مادة البلازما، الحالة الرابعة من حالات المادة كما يقول علماء عصرك، وهي المادة التي تصنع النار والبرق ووهج الشمس الذي اسمه الشواظ.

لذلك قالوا في عصري أن الجن مخلوق من بلازما لأنه مخلوق من نار، والنار فيزيائيًا هي بلازما.

على كل حال قلت لك إننا دخلنا بعد هذه التقنية في عصر تكنولوجي جديد كليًا.

أطلق خيالك وتخيل الأشياء التي استفدناها من هذه التقنية، خاصة أنها أصبحت متاحة في يد الشخص العادي لأن الهولوجرام أصبح في الجوال.

أولًا طبعًا محبو الكتب أصبح يمكنهم قراءة أيّ كتاب وإمساكه في أيديهم بدلًا من الكتب الإلكترونية العقيمة التي تتعب العين، لا حاجة لأن تقتني الكتاب الحقيقي، فقط أظهره بالهولوجرام.

صناع السينما لم يعودوا بحاجة أن يصرفوا مبالغ مهولة على صناعة الديكورات، بينما يمكنهم أن يصنعوا ديكورات غرفة كاملة بالهولوجرام.

ولن أطيل في سرد الأشياء التي أمكننا تحقيقها فأنا أعرف أن خيالك واسع، أما الآن فسأجعلك تلعب بهذه التقنية معي.

***

استرخِ تمامًا، لحظة حتى أغير لك الكرسي، لا داعي أن تقوم من مكانك، ثانية واحدة.

معذرة على هذه المفاجأة، المقعد تحتك تغير وصار ذلك الذي يسمونه شيزلونج، الذي يكون منحنيًا للخلف للاسترخاء.

يمكنني أن أغير كرسيك بضغطة زر، في هذه اللعبة سيكون البطل في اللعبة هو القراءة، لن أفرض عليك صورًا أو أفلامًا أو أشياء تكنولوجية عجيبة، فقط سأعطيك كتبًا هولوجرامية تقرؤها وأنت مسترخٍ هكذا، وسيتولى خيالك الإخراج.

***

من بين الكتب التي تدور حول رأسي سأختار لك هذا المجلد الضخم الذي يبدو مهترئًا، هذا مجلد يجمع كل أعداد صحيفة نيويورك تايمز، انظر كيف يحاكيه الهولوجرام، لو أخذت المجلد الحقيقي في يدك لن تشعر باختلاف يذكر، أمسك به في يدك، قلب هكذا وانظر إلى ملمس الصفحات، لحظة سأجعل المجلد ينفتح على صفحة معينة أريدها.

ما الذي ستكشفه هذه اللعبة؟

الكثير.

تعال نقرأ.

صحيفة النيويورك تايمز – مارس 1983

آرثر كوستنر، صحفي يهودي مثير للجدل، وجدته الشرطة جثة هامدة في شقته الفاخرة هو وزوجته، البعض يقول إنه انتحر، والبعض يقول إن اليهود قتلوه بسبب كتابه الأخير «القبيلة الثالثة عشر».

لا يمكن أن نخفي الضجة الكبيرة الغاضبة التي أثيرت مؤخرًا في أوساط اليهود بسبب كتابه الأخير الذي قال فيه إن يهود العالم اليوم ليسوا في الحقيقة يهودًا، أي إنهم لا ينحدرون من بني إسرائيل المذكورين في التوراة، فهؤلاء بادوا وانتهوا قديمًا بكل أسباطهم الإثني عشر، قال إن يهود اليوم ينحدرون

من جنس همجي وحشي اسمه الخزر، أظهروا في العصور الوسطى بشكل غامض واعتنقوا اليهودية بشكل غامض وأقاموا مملكة متوحشة اسمها مملكة الخزر كانت تبيد الشعوب المسالمة.

ثم مر الزمان ونزل المغول عليهم كالكارثة فهرب كثير منهم إلى أوروبا وانتشروا فيها وأصبحوا هم يهود اليوم.

سماهم كوستنر السبط الثالث عشر، سبط متسلق على اليهود، لا يرجعون إلى يعقوب ولا حتى إلى سام بن نوح، بل يرجعون إلى يافث بن نوح.

لم يتوقع كوستنر قطُّ الضجة والغضب اليهودي العارم بعد إصدار كتابه فخرج ليعتذر ويقول إنه كان يريد أن يخفف كراهية العالم لليهود، يريد أن يقول للعالم نحن لسنا من أحفاد بني إسرائيل الذين قتلوا المسيح بل نحن أحفاد جنس أوروبي آخر، لكن يبدو أن السحر الذي كتبه كوستنر انقلب على رأس الساحر.

موت كوستنر بهذه الطريقة الغامضة أثار الضجة والجدل أكثر وأكثر، وجعل العالم يظن أن اليهود قتلوه لأنه كان على حق في أن أصلهم مجرد خزر.

***

ما رأيك في هذا الذي قرأته؟ هل تعرف ما معناه؟ هذه كارثة بالمناسبة لكن لا بأس، دعني أسحب منك هذا المجلد هكذا بإشارة من إصبعي وأعطيك هذا المجلد بإشارة أخرى.

المجلد الذي في يدك الآن هو مجلد أخبار اليوم، فيه أعداد جريدة أخبار اليوم المصرية، والخبر الذي ستقرأه الآن أثار ضجة بين العرب أشد من ضجة اليهود على موت آرثر كوستنر.

أخبار اليوم – 17 أبريل 1993

اليوم ببالغ الحزن والأسى تنعي الدولة المصرية موت رجل من أهم علمائها في مجال التاريخ والجغرافيا. جمال حمدان، الرجل الحائز على جائزة

الدولة التقديرية وجائزة التقدم العلمي ووسام العلوم من الطبقة الأولى عن موسوعته الشهيرة «شخصية مصر».

بكل أسف، وجدنا السيد جمال حمدان مقتولًا في شقته والجزء السفلي منه محروق بالكامل دون الجزء العلوي مما يشير إلى محاولات تعذيب إجرامية من القاتل.

مدير المخابرات المصرية السابق أمين هويدي فجّر مفاجأة مدوية حينما قال إن الذين قتلوا جمال حمدان هم الموساد الإسرائيلي، لأن جمال كان يحضر لمفاجأة تتعلق بنسب اليهود، وبالتحقيق وجدنا أن هناك بالفعل ثلاث مسودات لكتب لم تكتمل، كتبها جمال حمدان قبل أن يموت واختفت تمامًا من منزله.

توصل السيد جمال حمدان في بحوثه التاريخية السابقة أن يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل، بل هم في الحقيقة منحدرون من شعب همجي قديم كان يسكن في الشمال ناحية جبال القوقاز وبحر آزوف، كانوا يهجمون على الممالك وينهبون خيراتها وكانوا أكبر مصدر إزعاج للروم والفرس والعرب، وكان حمدان سيصدر كتابًا كاملًا عن هذا الأمر لكن سبقه اليهود واغتالوه، فرحم الله جمال حمدان وجزاه خيرًا عن كل ما كتب.

***

لماذا قتلوا جمال حمدان وآرثر كوستنر بهذه السرعة؟ ببساطة لأن الاثنين طرحا سؤالًا غاية في الخطورة، والإجابة على السؤال تهاجم فكرة وجود شعب كامل على أرض هو أصلًا لا يمتلكها، تهاجم ملايين الدولارات التي صُرِفت على الدعاية اليهودية لقضيتهم المزعومة معاداة السامية.

فأنت عندما تسأل أي يهودي عن أرض فلسطين وما يفعلونه بها من مجازر يقول لك: الله وعدنا بها في التوراة.

ماذا إذا قلنا لك إنك أصلًا لست ذلك اليهودي الموعود كذبًا بهذه الأرض، بل أنت لست من بني إسرائيل أصلًا.

إن ما كشفه جمال حمدان وآرثر كوستلر يدمر العقيدة اليهودية من أساسها، العقيدة العنصرية التي بنيت كلها على النسل اليهودي الذي يزعم أنهم شعب الله المختار فلا يكون الأنبياء إلا منهم. وكل الشعوب الأخرى هي شعوب أقل شأنًا خلقها الله لخدمة اليهود، لذلك لم تكن هناك غرابة أن يجند الموساد الإسرائيلي جنوده لقتل الرجلين لأن هذه النظرية لا بُدَّ أن تُلغى من الوجود، ولا ينبغي أن يسمع بها أحد فضلًا أن يصدقها.

ولو بحثت عن الكتب التي ذكرت هذه النظرية لن تجدها كثيرًا، فقط كتاب جمال وكوستلر وبعض الكتب الأخرى على استحياء، إنهم يبيدون أي كاتب شهير يكتب شيئًا عن هذا الأمر.

وربما يكون هذا الكتاب الذي بين يديك هو ثالث أشهر كتاب يتحدث عن أصل اليهود الخزر. المشكلة أننا كلما قرأنا عنهم أكثر اكتشفنا عجائب وأمورًا لم نكن نتوقعها قطُّ، وكل هذا الذي قرأته هو مجرد قشور، وما خفي كان أعظم.

***

دعني أطرح في يدك الآن كتاب تاريخ، كتابًا يخبرنا من أين جاء الخزر بالضبط، والحق إنهم جاؤوا من آخر مكان في العالم يمكن أن يرد على ذهنك.

كتاب البلدان – ابن الفقيه

كيان حديدي ضخم تجاهد برفع رأسك حتى تنظر إلى نهايته، بناء طويل من الحديد الفضي المخطط بالنحاس الأحمر، أملس تمامًا يستحيل تسلقه، صلب بإعجاز يستحيل كسره، لكن يمكن الحفر فيه ببعض الجهد والحيلة، المشكلة أن المحبوسين وراءه كلما حفروا فيه وبدأوا في اختراق مادته، عاد في اليوم التالي أحسن مما كان وأصلب، كأنه مصنوع من حديد ليس مثل الحديد، حُبست وراءه أمتان من البشر، آدميون من بني آدم لكنهم أطول أعمارًا. يأجوج ومأجوج.

المشكلة أنه ليس كل يأجوج ومأجوج قد حُبسوا، بل كان هناك بعض منهم نجوا، لأنهم لم يكونوا داخل البلاد التي طوقها السد بل كانوا يسيحون في

الأرض يفسدون فيها، فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوا هذا السد حائلًا أمامهم ولا يدرون من الذي بناه، سمَّاهم المؤرخون «الترك»، لأنهم تُركوا أمام السد.

منهم أمة اسمها الهون نزلوا على أوروبا واحتلوها بكاملها في القرن الرابع الميلادي، وكانوا وحشيين يبيدون الأمم التي تحاربهم.

ومنهم التتار والمغول وقد اشتهروا أيضًا بالبطش وبإبادة الأمم.

ومنهم أمة اسمها الخزر يسكنون وراء جبال القوقاز في شمال العراق، وهؤلاء أيضًا متوحشون هجموا على ثمانية وعشرين مملكة في الشمال وأخضعوها بالقوة، وهم مثل البقر السائحة الوحشية التي لم يسلم منها أحد.

***

كما رأيت، الخزر أجداد يهود اليوم كانوا أمةً بغيضةً متوحشةً من يأجوج ومأجوج، ساحوا في الأرض فأكثروا فيها الفساد.

لكن ليس من سمع عن الشيء مثل الذي رآه، إن مملكة الخزر كانت مملكة خطرة جدًا وضعت نفسها بين إمبراطورية الروم وفارس ودولة الخلافة الإسلامية.

وفي يوم من الأيام ساقت الظروف الرحالة العربي ابن فضلان ليدخل إلى مملكة الخزر، ويصف الحكاية من داخل عش الدبابير، وإنها حكاية لها العجب.

رسالة ابن فضلان

لم أكن أسمع عن الخزر إلا أنهم يأجوج ومأجوج، لم يكن الذي قال هذا الرأي رجل من المسلمين أو العرب بل قاله رحَّالة مسيحي اسمه «أبو التفليسي»، كان مسلمًا ثم كفر وسافر بصحبة ملك جورجيا إلى بلاد الخزر طلب معونة عسكرية، ولم يقل فيهم خيرًا، بل قال إنه رأى في تلك البلاد قوم يأجوج ومأجوج، لهم شعور طويلة وأخلاقهم هي أخلاق الوحوش.

قادتني الظروف إلى هناك في قصة يطول شرحها، لكني اضطررت إلى دخول بلادهم ورؤية كل شيء بنفسي، وكان الذي يحكونه عنها أدنى بكثير مما هو فيها.

هيئتهم همجية غليظة بذلك الشعر على أجسامهم، طباعهم باردة وشعورهم طويلة تتجاوز الأكتاف يضفرونها رجالًا ونساءً بلا اختلاف، ولهم أعين ضيقة زرقاء لا ترحب بغريب، يرتدون معاطف طويلة مصنوعة من جلود الخنازير ولها أذيال كأذيال الخنازير.

كلهم يهود لكن لا علاقة لهم باليهود الذين نعرفهم، ولا يعرفون من يهوديتهم شيئًا، يسميهم الروس باليهود الحمر، ربما لأن هناك نمشًا على وجوه كثير منهم، لهم لغة خاصة لا يفهمها أحد سواهم تختلف عن العبرية، جميع بيوتهم دائرية، وهم ليسوا يأجوج ومأجوج، لكن جدهم الأعلى كان اسمه توجارما وهو ابن أخ مأجوج حسب التوراة.

جميع مدنهم عادية إلا مدينتهم الكبرى خزاريا التي يسمونها المدينة البيضاء، لأن كل مبانيها بيضاء يعيش فيها الملك وحاشيته، ويفصل بينهم وبين باقي المدينة نهر عليه جسر كبير عائم.

هذه الجزيرة الملكية بالذات أثارت فضولي، فكل شيء متعلق بها أغرب من جميع الحكايات.

الملك فيها ينظرون إليه كمختار من الإله، لا يظهر لهم إلا كل أربعة شهور مرة، وإذا خرج يكون بينه وبينهم ميلًا كاملًا فلا يراه أحد من رعيته إلا خرَّ ساجدًا، ويبلغ من طاعتهم له أنه لا يحتاج أن ينفذ حكم الإعدام في أي شخص، هو فقط يقول له اذهب فاقتل نفسك، فيعود الشخص لبيته ويقتل نفسه بالفعل.

له ثمانٍ وعشرون زوجة بعدد الممالك التي أخضعها، كل زوجة لها بيت أبيض مستقل في الجزيرة، مدة حكم هذا الملك هي أربعين سنة بالتمام والكمال فإذا انقضت هجموا عليه وقتلوه ثم عينوا واحدًا آخر مكانه.

فإذا دفنوه يجعلون قبره على النهر حتى لا يصل إليه الدود ويفسد جسده.

ولأن هذا الملك لا يظهر كثيرًا فإن نائبه هو الذي يدير شؤون البلاد، الملك عندهم اسمه خاقان، ونائبه اسمه خاقان بك.

***

أكبر لغز في التاريخ هو كيف تحولت هذه المملكة الهمجية بكل ما فيها من غرائب إلى مملكة يهودية، من المعروف أن اليهود لا يرحبون بأي داخل جديد على ديانتهم، بل يختبرونه اختبارات كثيرة ويرفضونه غالبًا. فكيف دخلت مملكة كاملة إلى اليهودية وأصبحت تحارب باسمها، ليس هذا فقط بل أصبحت أول مملكة صهيونية في التاريخ، وأصبح شعارها هو نجمة إسرائيل السداسية، فكانت هي أول بذرة لدولة إسرائيل.

وحتى تفهم ما سيأتي يجب أن تكون عالمًا بالفرق بين اليهودية والصهيونية، في جملة واحدة أقول إن اليهود تخبرهم التوراة أنه محكوم عليهم بالتشتت في الأرض حتى يأتي المسيح المخلص اليهودي فيعيدهم إلى الأرض المقدسة فلسطين، لكن الصهاينة هم الذين حرفوا التوراة وقرّروا ألا ينتظروا المخلص بل يحتلوا فلسطين بأنفسهم حتى يرضى عنهم المسيح المخلص اليهودي فينزل ويحكم بهم الأرض، باختصار الصهيونية فصيل سياسي تسلّق على اليهودية مثلما تسلق الخوارج والدواعش على الإسلام، ومثلما تسلق الفرس الإيرانيون على المذهب الشيعي.

لغز تهود الخزر لا يمكن أن نفهمه بقراءة كتاب واحد بل مجموعة من الكتب والوثائق النادرة حتى تترتب الحكاية لدينا كاملة، وهي حكاية عجيبة جمعت بين اليهودية أسوأ ديانة دموية محرفة والخزر أسوأ أجلاف متوحشين على وجه الأرض في ذلك الوقت.

بإشارة من يدي طارت إلى ناحيتي مجموعة مخصصة من أربع وثائق.

- الوثائق النادرة المحفوظة في المعبد اليهودي بالقاهرة والتي يسمونها «وثائق جنيزة القاهرة».
- رسالة حسدي بن شبروط طبيب ووزير خليفة الأندلس إلى ملك الخزر يسأله هل فعلًا أنتم دولة يهودية ولماذا وكيف، ولو أنتم حقيقة سأترك

كل شيء وآتيكم زحفًا، وهذه الرسالة موجودة في المكتبة الوطنية الإسرائيلية.

- وثائق تسجيل الندوة الدولية للخزر التي أقامها معهد بين زيفي الإسرائيلي **Ben Zvi Institute** وهي وثائق موجودة في المكتبة الوطنية لإسرائيل أيضًا.
- وكتاب تاريخ الخزر اليهود للمستشرق البريطاني الشهير دوغلاس مورتون دنلوب.

لو قرأت هذه الوثائق كلها بهذا الترتيب ستفهم اللغز، ولأنه ليس لدينا وقت كبير تعال أعطيك الخلاصة.

هل تذكر يهود الكوفة بكل خبائثهم ودسائسهم؟ لقد خرج منهم جماعة تجار سكنوا في راذان بالعراق التي يسميها العرب سواد العراق، غير بعيد عن الكوفة، وكان اسمهم الرذنية نسبة إلى راذان. وأصبحت لهم رحلات يجوبون أنحاء الأرض للتجارة يشترون الشيء من روما مثلًا ويبيعونه للعرب أو يشترون من العرب ويبيعون في الصين وهكذا، فعملوا ثروة هائلة لم يبلغها أحد على وجه الأرض وقتها، وهم بذرة البنكيين اليهود الذين يحكمون العالم اقتصاديًا في زمنك الآن.

هؤلاء الرذنية في أثناء تجارتهم كانوا يمرون على مملكة الخزر ولهم فيها حي يسكنون فيه لتسهيل تجارتهم، لم يكونوا يشترون من الخزر شيئًا فليس عند الخزر حضارة يمكن أن تنتج شيئًا قابلًا للشراء، بل كانوا يبيعون لهم فقط.

تقرب الرذنية لملك الخزر بالذهب، أغدقوا عليه الهدايا والقربات حتى أحبهم، وعرضوا عليه أجمل بناتهم فتزوج منها وصار لها بيت أبيض مثل بقية زوجاته، ومع الوقت والهدايا والذهب أصبحت هي أقرب زوجاته إليه. كان اسمها الملكة سيراخ **Serach**، وكان هو اسمه الملك بولان **Bulan**.

ثم نبتت في عقول الرذنية فكرة، هؤلاء الهمج الذين ليس لهم تاريخ يمكن أن يصبحوا مملكة حاضنة لليهود مثلما كانت مملكة فارس حاضنة ليهود

أصفهان، لكن مملكة فارس كانت لهم حضارة وتاريخ يعتزون بها، ولم ينجح اليهود في تهويدهم رغم أن شوشندخت اليهودية كانت زوجة إمبراطور فارس وابنها هو إمبراطور فارس، أمَّا هؤلاء الهمج فأين تاريخهم وحضارتهم، ليس لهم من الأمر شيء إلا استباحة الدماء وسرقة الأموال هنا وهناك، مثل العلقات يمتصون دماء البشر ليعيشوا من ورائها، فمملكتهم ليس فقط يجب أن تكون حاضنة اليهود، بل تكون مملكة يهودية بشكل كامل.

عندما دفع اليهود بابنتهم الجميلة سيراخ لتتزوج الملك، لم يختاروها مصادفة، فأبوها يهودي عربي من بني النضير اسمه إسحق سنجري Yitzhak ha-Sangari، وهو أكثر يهودي في العالم وقتها لديه فصاحة وعقل متقد بالذكاء ولم يناظره أحد في أي فكرة إلا غلبه، سواء كان على حق أو باطل.

بدأ إسحق سنجري يتقرب من ملك الخزر ويشير عليه ببعض الأمور التي زادت من ثروته أضعافًا، فمرة أشار علية أن يذهب بجيوشه إلى داربيلا في أرمينيا، وسيجد هناك كنوزًا من الذهب والفضة، كل ما عليه أن يهزم حامية أرمينية بسيطة لا تقارن بقوة الخزر، فهجم الخزر عليهم ووجدوا مناجم ذهب وفضة غنية جدًّا فاستولوا عليها كلها.

فأصبح إسحق سنجري بعدها مستشارًا للملك بولان، أصبح يكلمه في أمر التهود، قال له إن الخزر بديانتهم الشامانية البدائية ليسوا فقط متخلفين عن مقتضيات عصرهم، بل إن ديانتهم عاجزة أن تضفي على رجال الحكم الخزري الهيبة الشرعية والروحية التي يتمتع بها إمبراطور روما أو خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وقتها، والمسيحية أو الإسلام هم مجرد تحوير من الديانة اليهودية الأصلية الأقدم منهما بكثير.

ومملكتك موجودة في المنتصف بين مملكة روما المسيحية وخلافة الإسلام، فإذا صارت مملكتك يهودية أصبحت عالية على هاتين المملكتين وأكثر شرعية، وبدل أن تحارب بسيف الهمجية والسرقة ستحارب باسم الدين وتغنم الغنائم ويأتيك اليهود الرذنية ليقيموا عندك بكل ذهبهم وتجارتهم، وتعقد معك مملكة روما معاهدات ومصالحات، بدلًا من أن تكون مملكتك مهددة دائمًا بسبب بربريتها.

كلام كثير ألقاه سنجري في أذن الملك بولان حتى اقتنع وأعلن لحاشيته قصة خرافية أن هناك ملاكًا جاءه من السماء وأنبأه أن الدين الحقيقي هو دين اليهود، وأن كل الأديان الأخرى باطلة وأنه يجب أن ندخل فيه وننصره، ولم يكن هناك إنسان من الخزر يجرؤ أن يخالف الملك في شيء، فهم يقتلون أنفسهم لأجله، وبهذا في ضربة واحدة صارت مملكة كاملة يهودية تمامًا.

ليس هذا فقط بل الملك بولان بنى هيكلًا يهوديًا كاملًا مثل ذلك الهيكل المزعوم في التوراة وجهزه بصندوق مقدس مماثل لتابوت العهد فيه شمعدان وأدوات مقدسة، ودعا اليهود من جميع الأنحاء ليأتوا إلى مملكة الخزر، فكان أول من هاجر هم يهود الرذنية التجار، جاؤوا بتجارتهم وذهبهم وكنوزهم، وأغدقوا على الملك بالذهب ومولوا حروبه فتطورت أسلحة الخزر ودروعهم وأصبحوا أكثر وحشية، وبدأوا في التوسع فأخضعوا مملكة بلغاريا والمجر وعقدوا حلفًا مع الروم.

ثم هاجر إليهم كثير من يهود الكوفة بما فيهم من قريظة والنضير وقينقاع، جاؤوا بمؤامرتهم وخبائثهم وتنظيمهم السري القوة الخفية والسبعين شيخًا المجرمين إياهم، ثم تبعهم يهود الروم الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد، أمّا يهود أصفهان فقد فضلوا البقاء في مملكة فارس التي وجدوا فيها أنفسهم.

وفي ذات يوم، كان إسحق سنجري واقفًا على سور ينظر برعب إلى جيش ضخم وقف بعسكره خارج السور يتهيأ للهجوم على الخزر، جيش عظيم أسقط الإمبراطورية الفارسية، وهزم الإمبراطورية الرومانية وطردها من بلاد الشام، وحرر القدس وأقام المسجد الأقصى.

جيش عمر بن الخطاب.

***

كانت أيام المسلمين كلها عز، إذا صالحوك تكن أسعد الناس، وإذا قاتلوك تكن أتعس الناس، ورغم أن الخزر لهم خبرة في الحرب وعندهم عتاد وأسلحة فإن هذا الجيش المسلم الذي جاءهم جعلهم يظنون أن هناك ملائكة تقاتل

معهم، فانهزم الخزر، لكن المسلمين رجعوا دون فتح، فلم تكن هذه ضربة فتح إنما ضربة تحذير وتأديب.

كان إسحق بن سنجري صهيونيًا، يحلم بغزو فلسطين وهو أول من بذر الفكرة الصهيونية في عقول اليهود، لكن أي صهيونية تلك التي في عهد عمر بن الخطاب، فلو قرأت فقط شيئًا من الكتب التي في هذا الرف هناك في المكتبة سترى أنه بينما كانت جيوش الشرق والغرب يصيبهم الرعب من كلمة خزر، كانت جيوش المسلمين تدك حصونهم وترد كيدهم في نحورهم، اقرأ تاريخ الطبري وابن الأثير، اقرأ كيف فعل بهم معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز، وجيوش الدولة الأموية.

ولو أردت قراءة ليلة ملحمية لتبرد قلبك، وتعلم كيف فعل المسلمون بهذه الدولة الصهيونية الناشئة اقرأ عن ملحمة الجراح بن عبد الله الذي فتح جزءًا كبيرًا من مملكتهم فانتفضوا وجمعوا كل رجالهم وهزموا الجيش المسلم، واستشهد الجراح وكل المقاتلين المسلمين معه، وقطعوا رأسه وأسروا زوجته وآذوها واعتدوا عليها، ورفعوا رأس الجراح المقطوعة على رمح ثبتوه على عربة قائدهم تنكيلًا وإغاظة للمسلمين، وأصبحت تلك الليلة رمزًا لأي ليلة شديدة عند العرب فأصبحوا يقولون «ليلة كليلة الجراح».

لكن المسلمون هجموا عليهم بجيش آخر أكبر بقيادة مسلمة بن عبد الملك، وهو ابن الخليفة عبد الملك بن مروان، كان فارسًا مغوارًا حارب الروم وحاصر القسطنطينية، ولقد أذاق الخزر الويل، تلك ملحمة أخرى اقرأ عنها، وعن الحيل الحربية التي استخدمها مسلمة لإسقاط قلاع الخزر وحصونهم حتى فتح نصف مملكتهم.

والملحمة الثالثة قادها مروان بن محمد آخر خليفة في الدولة الأموية الذي نزل على رأس جيش توغل في أراضي الخزر حتى حطم جيشهم بالكامل حتى إن ملك الخزر استسلم وطلب منه أن يسمح له أن يحتفظ بعرشه، فرفض مروان إلا أن يعلن ذلك الملك الإسلام، فأعلن ملك الخزر الإسلام نفاقًا وأبطن اليهودية، ولما أسقط الشيعة الدولة الأموية ارتد ملك الخزر وأعلن اليهودية مرة أخرى.

كانت نهاية الخزر عندما هبط عليهم الروس كالكارثة واستولوا على مملكتهم ثم تبعهم المغول. وهرب اليهود الخزر فرارًا من مملكتهم وخرج منها شيوخ اليهود السبعين وورثوا التنظيم والتجار الرذنية الكبار، وساحوا في الأرض وقد ملأ قلوبهم الغل، وكانت المرة الثالثة في التاريخ التي يهيمون في الأرض على وجوههم بهذه الطريقة المهينة، لكنهم في هذه المرة أقسموا على إفساد كل شيء، وهذه ليست عبارة بلاغية بل هذا ما أقسموا عليه بالفعل.

***

قوافل بشرية يهودية كاملة خرجت من مملكة الخزر وانتشرت في أوروبا، لم تعد لهم دولة تحميهم مثل فارس أو الخزر، ولا دولة ترحب بهم بسبب وجودهم السابق في مملكة الخزر اليهودية المكروهة من كل أحد، وكانوا فوق هذا ممنوعين من الإقامة بفلسطين منذ أن حررها عمر بن الخطاب، وعمل قانون العهدة العمرية التي تعطيهم حقوقهم كاملة، لكن تمنعهم من الإقامة بالأرض المقدسة. لم يعد هناك شيء يحميهم سوى أموالهم وذهبهم، وقد استغلوه أسوأ الاستغلال، فقد كانوا أغنى أهل الأرض وهذا وحده يعني القوة لكنها ليست قوة يحسن استخدامها كل أحد.

انتشروا في أرجاء الإمبراطورية المسيحية البيزنطية الواسعة واستغلوا أن المسيحية تحرم الربا، ورغم أن التوراة تحرمه أيضًا فإنهم حللوه لأنفسهم وقالوا إن التعامل المالي بالربا مع غير اليهود هو حلال لا شيء فيه، ولم يكونوا يقرضون أي أحد، بل كبار القوم فقط، النبلاء، أصحاب الأراضي، رجال الدين الكبار، الكنيسة، الأمراء، وأخيرًا، الملوك، فكانوا يغدقون الأموال على الملوك ويتساهلون في تحصيل الدين، حتى أصبحوا مقربين من الأمراء والملوك وسُمُّوا في هذا العصر يهود البلاط الملكي Court Jews.

وهكذا تحول الشيوخ السبعون وورثو التنظيم والرذنية في هذا العصر إلى يهود البلاط الملكي وأصبحوا عائلات غنية جدًا.

ولم يكونوا يقرضون أي ملك أو أمير، بل فقط الملوك الذين يحققون مصالحهم، ولأن أكبر مصلحة لهم هي القدس فكان أول شيء مؤلوه هو

الحملة الصليبية الأولى التي أقامتها الكنيسة لاحتلال القدس، تلك الحملة التي نجحت نجاحًا دمويًا وسالت أنهار الدماء دون مبالغات لفظية، حتى إن الخيول وجدت صعوبة في المسير على الأرض من أنهار الدم.

كل هذه الأسلحة والدروع الهائلة التي كان يرتديها الصليبيون كانت من أموال يهودية، ولعل هذا من أغرب الأمور فمجازر هذه الحملات طالت اليهود الساكنين في القدس أيضًا، ولم تقتل المسلمين فقط. فكيف يمول اليهود حملات تقتل اليهود، ولو أنك كنت واعيًا لما قرأت معي ستعرف أن الشيوخ والرذنية الذين يمولون هم يهود أصليون، لكن اليهود الآخرين المنتشرين في الأرض هم خزر ليس لهم أصل يهودي.

وبعد نجاح الحملة الصليبية الأولى واحتلال القدس أراد شيوخ اليهود استعادة الأسرار والكنوز التي دفنها أسلافهم تحت بيت المقدس عند دمار الهيكل، فدفع شيوخ الجبل بتسعة من أهم أفراد عائلاتهم ليقنعوا حاكم القدس الصليبي بإنشاء تنظيم من الفرسان يحمي الحجاج المسيحيين المسافرين إلى بيت المقدس، تنظيم فرسان المعبد.

كانت هذه مجرد حجة ليبقوا في القدس ويحفروا تحت المسجد الأقصى ليصلوا إلى تلك الكنوز التي دفنها أسلافهم. وكتب السحر وعلوم الأولين التي دفنها الشياطين تحت كرسي النبي سليمان.

إن يهود اليوم الذين تراهم حولك في كل البلاد والذين في إسرائيل هم في الحقيقة ليسوا يهودًا من بني إسرائيل بل هم خزر من بقية يأجوج ومأجوج، أما اليهود الأصليون هم كبار البنكيين وأصحاب الشركات والمناصب في الدول التي يكونون فيها، وكذلك يهود أصفهان هم يهود أصليون، لكن اليهود الأصليون هؤلاء لا يشكلون سوى 5% من يهود العالم اليوم، وهذا ينسف فكرة شعب الله المختار الذي وعده الله بأرض فلسطين، فهذا الشعب أصلًا لم يعد موجودًا منه سوى طغمة قليلة أذلت العالم بأموالها وأكثرت فيه الفساد.

هل ترى كل هذه المكتبة وكل هذه الرفوف التي حولك؟ إن أكثر هذه الكتب قيمة هو هذا الكتاب الذي يطير بهدوء ثم يأتي ويهبط بين يديك القرآن

الكريم، هذا الكتاب يغني عن هذه الكتب كلها. فكل جملة منه تحكي الكثير، وهو بأكمله يحكي كل شيء، جاءت فيه آية تقول «ما فرطنا في الكتاب من شيء»، فكل الوقت الذي أمضيناه لنجعلك تفهم كيف أن اليهود هم وراء كل الحروب التي تحدث في أي منطقة يوجدون فيها، تجده مكتوبًا في آية واحدة في القرآن، مد يدك وافتح سورة المائدة واقرأ:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادًا. باختصار، هؤلاء اليهود هم الذين (يوقدون) كل الحروب التي حدثت في البلاد التي وُجدوا فيها في أي يوم من أيام التاريخ، ولم يعد هناك مزيد كلام.

الفصل السادس

الكاثوليك

سعيد بأنك وصلت إلى هنا، أراهن أنك شعرت ببعض الراحة عند رفيقتنا «أ»، حيث لم يكن عليك سوى أن تقرأ ويتولى خيالك الباقي، ورغم أن التقنية التي عندها أعلى من كل الرفاق السابقين لكنها تقنية مريحة وهادئة، هل سمعت عن الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ كل التقنيات السابقة كانت الهدوء، وكل التقنيات التالية ستكون العاصفة.

وأنا أول بوادر العاصفة، اسمي الرفيق «م»، والميم ترمز إلى تقنية «ميتا»، أعلنوا في عصرك عن حلمهم بتحقيق هذه التقنية وتخيلوها، في عصري تحققت بكامل قوتها وأضيفت إليها أشياء لم ترد على خاطر الذين تخيلوها في عصرك.

لقد رأيت عند رفاقي أين وصل الذكاء الاصطناعي، شاهدته وهو يخرج أفلامًا كاملة ولوحات متحركة وهولوجرامات بشرية متحدثة، أما أنا فسأريك جانبًا من الذكاء الاصطناعي أكبر من كل هذا، بل يجمع كل هذا.

الألعاب الإلكترونية في عصرك تطورت شيئًا فشيئًا حتى دخل لها الذكاء الاصطناعي فخرجت على الناس تقنية مجنونة اسمها الألعاب اللانهائية، حيث يصمم المطورون الشخصيات فقط ويحددون عالم اللعبة والقصة، ويتولى

الذكاء الاصطناعي الباقي، أصبح يمكنك أن تتجول في عالم اللعبة بلا نهاية، فلو نزلت في مدينة ومشيت فيها فإن هذه المدينة تتولد في أثناء مشيك، وإذا دخلت مستشفى في المدينة فالذكاء الاصطناعي سيولد لك شخصيات وقصة داخل المستشفى. عالم متكامل لا نهائي تدخل إليه بمجرد أن تبدأ اللعبة، وكل شخص يرى أشياء في اللعبة لم يَرَها صديقه، لأن الذكاء الاصطناعي يولد الصور والقصص والشخصيات بشكل عشوائي، فبعضهم يزور المقبرة المهجورة في المدينة ويلعب لعبة رعب ويحارب الزومبي، والبعض يحاول التسلل إلى مبنى الوزارة في المدينة ويلعب لعبة جاسوسية.

صانعو الأفلام أخذوا هذه التقنية ودمجوها مع تقنية الأفلام التفاعلية فخرجت لنا الأفلام التفاعلية اللانهائية، أفلام يمكنك أن تشاهدها لسنوات وسنوات دون أن تنتهي.

لكن عندما دخلت تقنية الميتا إلى هذا كله نقلته إلى مستوى آخر.

أنت تعرف خوذة الميتا التي تلبسها فتدخل في عالم افتراضي ثلاثي الأبعاد، كانت بدائية جدًا في زمانك حيث يظهر لك في الخوذة عالم افتراضي مصمم بالكمبيوتر، لكن في زماني أصبح العالم الذي تراه حقيقيًا جدًا وكله متولد بالذكاء الاصطناعي، فيمكنك أن تضع الخوذة وأنت جالس في غرفتك فترى نفسك جالسًا في حديقة غنَّاء بأشجارها وطيورها، وتستطيع أن تستدعي صديقك الذي يرتدي خوذة ميتا أخرى ويعيش خارج البلاد فيأتي ويجلس معك في الحديقة فتراه يأتيك بهيئته التي تعرفها وتتبادلان أطراف الحديث.

لكن لا يمكنك أن تقوم من مكانك وتمشي بهذه الخوذة لأنك ستصطدم بالجدار الحقيقي الذي في غرفتك، لذلك في عصرك اخترعوا آلة مشي اسمها Omni وهي مثل أي آلة مشي موجودة في صالة الجيم، لكن الفرق أنها دائرية ومقعرة قليلًا تشبه الطبق، فتقدر أن تمشي عليها في جميع الاتجاهات وأنت واقف مكانك، ولها حزام مطاطي يربطك بها حتى تقدر أن تقفز أو تسقط عليها وتقوم دون إصابات، في عالمك هي تستخدم في الألعاب، في عالمي أصبحت بوابة للدخول والتجول في عالم كامل مخلوق بالذكاء الاصطناعي.

فهذه الحديقة الغنّاء التي كنت تجلس فيها أصبح يمكنك أن تتحرك منها وتدخل إلى قصرك المصنوع بالذكاء الاصطناعي، أو تخرج من الحديقة وتمشي في مدينة كاملة مصنوعة بالذكاء الاصطناعي فتقابل شخصيات وتزور أماكن، وكل هذا وأنت في غرفتك تمشي على الأومني وتضع تلك الخوذة.

عندما تلبس الخوذة لا حاجة أن تمسك جهاز تحكم في يدك لتفتح أي باب، أو تلتقط أي شيء، أو تختار بين القوائم، بل إن الخوذة تستطيع التعرف على حركة يدك، فتمد يدك وتفتح ذلك الباب أو تمسك بذلك التمثال الصغير الموضوع كديكور في قصرك فتتأمله، أو ترفع إصبعك وتختار بين القوائم كما يحلو لك، هذا هو عالم الميتا.

ثم جاءت فكرة إضافة الرائحة، كيف تجعل الشخص الذي يمشي في الحديقة يمسك بزهرة ويقرب أنفه منها فيشم عبيرها، في عصرك اخترعوا لأجل هذا تقنية اسمها OVR Scent وهي مثل الطوق الذي تلبسه على رقبتك تخرج منه رائحة إلكترونية تماثل تمامًا أي رائحة تريدها، فيمكنه أن يعرض عليك روائح العطور التي تحبها أو الأزهار، أو أن تبتكر أنت رائحة تريدها، في عصري دُمجت هذه التقنية في خوذة الميتا.

كانت المشكلة هي في الكتابة، في عصرك كانوا يستخدمون الهاتف الجوال للكتابة والدردشة أو للتعليقات على السوشيال ميديا، في عصري أصبحت الخوذة تقدر أن تقرأ حركة شفتيك. فتحركهما بلا صوت فينكتب الكلام الذي تريده، وأصبحت هذه أسرع طريقة للكتابة عرفها الإنسان.

ويمكن لخوذة الميتا أن يخرج منها ذلك الهولوجرام المكثف الذي يتجسد لك في أي شيء صلب تريده، فمثلًا إذا لم تجد في الحديقة كرسيًا وتريد أن تجلس فقط أطلق الهولوجرام من الخوذة واجعله يتجسد في شكل كرسي في الحقيقة فتجلس عليه مباشرة، وإذا كنت تلعب لعبة واحتجت إلى سيف تمسكه بيدك الحقيقية اجعل الهولوجرام يتجسد لك في هيئة سيف وأمسكه وادخل اللعبة ولوح به في الهواء كما تريد.

بعدما تطورت الخوذة إلى نظارة أو عدسات إلكترونية تضعها في عينيك وهي تقوم بكل المهمات التي كانت الخوذة تقوم بها، فرمى الناس جوالاتهم وأصبحوا يستخدمون العدسات الإلكترونية أو النظارات.

إذا نظرت إلى الشارع في عصري ستجد الناس ينظرون أمامهم ويحركون أيديهم في الهواء كأنهم يقلبون في السوشيال ميديا أو يقرأون في كتاب، وبعضهم يحرك شفتيه كأنه يدردش مع شخص ما، الكل أصبح يرتدي هذه العدسات أو النظارات حتى الأطفال.

هذا فتح على الناس فتوحات عظيمة فأصبح بإمكان الطفل الذي كان يرتدي نظارة الميتا في صغره أن يحن لطفولته عندما يكبر فيذهب إلى آلة الأومني، ويفعّل خاصية الدخول إلى الماضي فيمشي ويتجول في طفولته ومدرسته كما يريد، لأن العدسة فيها كاميرا سجلت كل حياته، ويمكن للشخص أن يرى مقاطع فيديو من ماضيه في أي وقت يريد.

دعنا من كل هذا الشرح وتعال لنلعب، سيصعد كل واحد منا على آلة المشي الأومني الخاصة به، ويرتدي العدسة الإلكترونية، لعبتنا اليوم ستدخلك في عالم ستشعر أنه حقيقي جدًا.

حضر نفسك وتذكر أنني قلت لك إنني أول بوادر العاصفة، سندخل بالميتا في عالم من التاريخ، وليس أي تاريخ، بل التاريخ الأسود.

***

دخلنا بالميتا في زحام كبير، تجمع ضخم من البشر حول مبنى كليرمونت المقدس، هناك خطبة كبيرة لأوربان. بابا روما الأكبر، ومع كل جملة يقولها يتحمس الناس.

ماذا يقول هذا الرجل؟

اخترقنا الصفوف ونظرنا إلى داخل المبنى، هناك قاعة كبيرة متكدسة حتى آخرها بالرهبان الكاثوليك، ومنبر في المنتصف يعتليه البابا، ويصيح فيهم قائلًا بغضب:

القدس مهد إيماننا استولى عليها العرب أبناء الجارية هاجر، وضايقوا شعبنا أبناء سارة الحرة، ألا تذكرون عندما صاحت سارة بأعلى صوتها لإبراهيم، اطرد ابن الجارية، فلنطرد أولاد الجارية.

وصاح الناس وراءه: اطردوا أولاد الجارية.

نظر إليهم بغرور ثم أكمل صائحًا:

لقد دخل المسلمون الكلاب الأماكن الطاهرة، فكل من يخرج معنا في هذه الحملة الصليبية ليطردهم سنضع عنه خطاياه وندخله إلى الجنة الأبدية، وسيغنم غنائم الدنيا، فأرض الشرق فيها فيوض من الذهب، ذهب حلال، كل من يقدر أن يحصل على شيء منه فليأخذ، وكل من دخل بيتًا أو بستانًا وطرد منه أهله المسلمين فالبيت له، والأرض له، والزروع له، فليبلغ الشاهد الغائب، واعلموا أن الذي يتخلف عن هذه الحرب سنوقع بدخوله إلى الجحيم.

كانت خطبة البابا هذه مثل نوبة حادة من الجنون، لم يكن هناك خطاب في التاريخ حرك الناس بهذه الطريقة، فهذا ليس خطابًا عاديًا، بل هو الشرارة التي أطلقت أول حرب عالمية في العصور الوسطى.

انصرف الناس والطمع يغزو قلوبهم ويفيض من أعينهم، فمَن ذا الذي يرفض أن يخرج في حرب مثل هذه.

أول من تطوع هم الفقراء والمجرمون وعامة الشعب، خرجوا في جيش جرار، مليون إنسان على أقل تقدير، كلهم يريدون القدس.

هذه تدعى الحملة الصليبية الأولى، ولم تكن لتخرج لولا أن البابا قد قبض تمويلًا من اليهود يفوق أحلامه ويقدر أن يسلح به مليون إنسان، فهذه الحركة هي حركة صهيونية ضخمة.

لكن حتى لا يختلط عليك الأمر يجب أن تعلم أن المسيحيين الذين نفذوا الحملات الصليبية ودعوا إليها وخرجوا فيها هم كاثوليك، وهم مذهب سياسي تسلق على المسيحية، وهناك فرق ضخم بينهم وبين الأرثوذكس، فرق مثل ما بين السماء والأرض، ولن أتحدث عن هذا الفرق الآن، لأنك ستشهده بنفسك.

لقد برمجت الميتا لتنقلنا في مشاهد عشوائية، ولو أني أردت أن أنتقل إلى مشهد آخر سأعمل بيدي في الهواء حركة مثل حرف X، فيختفي كل شيء حولنا وترمينا الميتا في مشهد آخر.

أظن أن الوقت قد حان لندخل إلى قلب أكبر حدث دموي في العصور الوسطى، رفعت يدي وعملت علامة X في الهواء والناس من حولنا ينظرون إليّ في تعجب.

***

ظلمة وشتاء وأمطار تهطل منذ ساعات، وجوه الصليبيين لا تبشر بخير، فهم يحاصرون أنطاكيا منذ 8 شهور كاملة بلا فائدة، لأنها شديدة الحصانة.

أصابهم التعب والجوع بعد أن نقصت المؤن التي معهم، فلم يتوقعوا أن تقاوم أنطاكيا بهذه القوة، فالذين يحكمونها هم السلاجقة المحاربون المسلمون الأشداء من أهل السنة.

جاء شخص وسط هذا البؤس الذي نحن فيه ليوزع الطعام، لا تنظر إلى طعامه فهو سيعطينا كلابًا مطبوخة وخيول، لقد بلغ من مأساة الصليبيين في الحصار أن الجوع أهلكهم حتى أصبحوا يأكلون الخيول والكلاب.

لم تبق معهم أي خيول تقريبًا، لقد طبخوها كلها، وكانوا ينتظرون الدعم من روما لكنه تأخر كثيرًا.

وبينما نحن نجلس إذ أمر القائد الصليبي أن توقد نارًا عظيمةً، في العادة لا توقد نار مثل هذه إلا لو كان هناك طعام سيشوى، والكل يعرف أنه لا توجد لحوم ولا حيوانات تصلح، فماذا سيطعمنا؟

اتضح كل شيء عندما رأينا الصليبيين يقتادون أسرى من السلاجقة ثم شنقوهم شنقًا جماعيًا وقطعوا رؤوسهم ووضعوا أجسادهم على الأسياخ ليشووهم، وقال القائد الصليبي لرجاله إنه من الآن فصاعدًا سيتم تزويد الموائد بلحوم الأعداء والجواسيس.

وبينما يغمر القلوب اليأس في هذا الشتاء إذ جاء الدعم فجأة، لكن دخول هذا الدعم كان غريبا جدًا وغير معتاد على الإطلاق، فقد رأينا القائد الصليبي جمع رؤوس 300 مسلمٍ أسيرٍ ممن أكلوا لحومهم ووضع الرؤوس على رماح مثبتة على الأرض يمينًا وشمالًا لتصنع ممرًا يمشي فيه أولئك الذين جاؤوا بالدعم.

وجاء أصحاب الدعم ومشوا وسط الممر وهم يمطون شفاههم في رضا.

كان أصحاب الدعم مبعوثين من الدولة الشيعية الفاطمية، جاؤوا بالمؤن والطعام والأسلحة ليعينوا الصليبيين على احتلال أنطاكية المسلمة، ويتفقوا معهم اتفاقًا إجراميًا لاحتلال القدس التي كانت في يد السلاجقة وقتها.

رفعت يدي وعملت علامة X في الهواء لننتقل إلى قلب الأرض النابض. القدس.

***

نحن في القدس القديمة، بيوت تحمل ذلك الطابع الذي يبعث فيك الشجن، مدينة حكم الله عليها أن تظل في رباط إلى يوم القيامة، صورها الذكاء الاصطناعي تمامًا كما وصفوها في الكتب، كان الناس في القدس يمشون قلقين بعد أن وصلهم خبر سقوط أنطاكية، ولم يلبث أن تصايح الناس ودخلوا إلى بيوتهم فهناك جيش قادم لغزو المدينة وهي في أسوأ وضع ممكن، فالحكام السلاجقة قد عادوا منهكين من حصار أنطاكية الطويل، لكن أهل القدس لما نظروا وراء السور لم يجدوا أن الذي يحاصر المدينة هم الصليبيون، بل الشيعة الفاطميون.

بعث الشيعة الفاطميون بجيش جرار لاحتلال القدس من إخوانهم المسلمين ولم يكن السبب مفهومًا لكنه اتضح فيما بعد، سقطت القدس سريعًا في يد الفاطميين الذين أحسنوا اختيار التوقيت، وطردوا منها السلاجقة، وفعلوا أسوأ شيء يمكن أن تفعله عندما يوليك الله على القدس، تركوها وعادوا لبلادهم، ووضعوا فيها حامية جنود لا تصلح لحماية حي

واحد، فضلًا أن تحمي أقدس مدينة على ظهر الأرض، باختصار. باعوا القدس للصليبيين.

ولم تمضِ أيام حتى جاء ذلك الجيش الصليبي المليوني الذي أنعشه الشيعة في أنطاكية فأصبح بكامل قوته ووحشيته بعد أن استباح أنطاكيا وأكل خيرها، فأتى ليأكل خير القدس.

كل اللوحات التي رسمت والكلمات التي وصفت لم تكن كافية لوصف هذا الذي يحدث أمامنا، حتى الذكاء الاصطناعي أخرج لنا رسالة في الهواء أن الجزء القادم هو في أعلى درجات العنف على مقياس الدم، ضغطت بيدي على التحذير حتى نكمل.

السيوف نزلت على الرؤوس كلها بلا تفريق، لم يكن هناك مخرج للهرب، أي إنسان كان في الشارع سقط مضرجًا في دمائه. اقتحم الصليبيون المنازل وقتلوا أهلها ثم رموهم إلى الشوارع، كان الصليبي يستحل لنفسه البيت الذي قتل أهله فيضع فيه أغراضه، الجثث تكدست في الشوارع حتى لم يعد هناك موضع لقدم تتحرك دون أن تتعثر بجثة في الطريق.

كان الدم المسفوك مخيفًا حتى إن الصليبيين أنفسهم أصابهم الخوف وشعروا بالتقزز، أصبح منظرهم مرعبًا وهم يسيرون في الطرقات والدماء تغطيهم من أعلاهم حتى أخمص أقدامهم فبدوا كأنهم شياطين حمراء تجول في الشوارع.

بدأت الدماء تتجمع على الأرض حتى ارتفع مستواها بشكل ملحوظ كأن هناك أمطارًا من دم بللت الشوارع، لقد عقد الصليبيون العزم على إبادة كل بشري على هذه الأرض، اعتبروها حربًا مقدسة مثل التي كانوا يسمعون عنها في العهد القديم والتوراة، ولم يقتلوا المسلمين فقط بل قتلوا المسيحيين الأرثوذكس داخل وخارج كنائسهم، ولم يكن الأمر يشكل فارقًا بالنسبة إلى هؤلاء فهم مرتزقة أتوا لأجل الذهب.

ولأجل الذهب كانوا يكومون الجثث على بعضها بعضًا حتى أصبحت جبالًا تحاذي البيوت في ارتفاعها، ثم أحرقوها دفعة واحدة حتى تصير الأجساد

رمادًا، ويخرج الذهب الذي ابتلعه المسلمون في بطونهم كما ظن هؤلاء المجرمون، لم يرحموا طفلًا ولا شيخًا ولا امرأةً.

تعال نحن لنختبئ في المسجد الأقصى، فإني أكاد أصاب بالغثيان هنا.

صار كثير من الصليبيين الفقراء أثرياء كما وعدهم البابا، لا يوجد أسهل من النهب والتدمير، أما المسجد الأقصى الذي اختبأنا فيه فعندما وصلوا إليه رفعوا السيوف بلا أي شعور بتقديس المكان، وأمسكوا الأطفال المختبئين وطوحوا بهم إلى عواميد المسجد حتى تهشمت رؤوسهم، وقتلوا كل من في المسجد كائنًا من كان.

ولم يعد في القدس مسلم حي، المشهد الحاصل أمامنا يتلخص في جثث متكومة بين أنهار دماء وحرائق وجنود مصبوغين بلون الدم يمشون بحثًا عن أي كائن حي يصدر صوتًا، لا أحد، لولا أننا هنا بصفتنا ذكاءً اصطناعيًا لكان رأسك يتدحرج هناك مثل تلك الرؤوس.

جاء ذلك الجندي الصليبي ناحيتنا والدماء تتساقط من وجهه البشع، ثم رفع سيفه ليقطع رأسينا أنا وأنت، ولا بُدَّ أنه اندهش جدًّا، وأنا أرفع يدي إليه وأعمل علامة X في الهواء فاختفينا من أمامه كأن لم نكن.

***

أخذتنا الميتا إلى ما بعد هذه الأحداث بنحو مئة سنة، إذ أتى جيش المسلمين ووقف خارج أسوار القدس استعدادا للثأر، وعلى رأس الجيش صلاح الدين الأيوبي، الرجل الذي أسقط الدولة الشيعية الفاطمية الخائنة وأتى ليستعيد الأرض التي أباد الصليبيون أهلها ونهبوها، كان يعلم أنه سيواجه أقوى جيش في العالم وقتها خاصة بعد أن أُسّس فرسان المعبد، التنظيم الذي كان يضم إليه خيرة الفرسان فقط، وكانت معركة حطين، وانهزم الصليبيون هزيمة كارثية.

ورغم المذبحة التي فعلها الصليبيون عندما أتوا إلى هنا واحتلالهم البيوت واستباحتها لأنفسهم فإن صلاح الدين أظهر للعالم كله الفارق بين رحمة الإسلام وظلمة الكاثوليكية، لم ينتقم ولم يقتل أو يذبح، لم ينهب أي بيت من

البيوت، بل كان جنود صلاح الدين يطوفون على الشوارع والأبواب ليمنعوا أي اعتداء يحصل على المسيحيين، وأنفق عطايا من خزانة الدولة للأرامل الذين فقدوا أزواجهم الصليبيين واليتامى الذين فقدوا آباءهم.

لكنه أمر المحتلين بمغادرة البيوت التي احتلوها ودفع الجزية للمسلمين ومغادرة القدس كلها، ولم ينس أن ينادي في الناس أنه من لا يملك الجزية فهو حر لوجه الله تعالى، لم يكن صلاح الدين رجلًا عاديًا، بل كان درسًا تاريخيًا كتب بحروف من ذهب.

لم يكن في جيش صلاح الدين مسلمون فقط بل كان فيه مسيحيون أرثوذكس بعثتهم الكنيسة القبطية المصرية ليقاتلوا إلى جوار إخوانهم المسلمين، ورغم أنهم مسيحيون فإنهم كانوا رافضين لهذه الحملات الصليبية الغاشمة التي تقتل وتذبح باسم المسيح.

لهذا أخبرتك منذ البداية أن المسيحيين الكاثوليك متسلقون على المسيحية، أمّا الأرثوذكس فهم أهل الكتاب النصارى الذين وصفهم القرآن بأنهم الأقرب مودة للذين آمنوا، وسيشهد التاريخ أن أهل الكتاب المسيحيين الأرثوذكس قاتلوا مع المسلمين جنبًا إلى جنب وحرروا القدس مع صلاح الدين، بينما تحالف الشيعة الفرس مع الصليبيين ودعموهم بالسلاح والمؤن وسلموا لهم القدس على طبق من ذهب.

غضب الكاثوليك على الأرثوذكس بسبب هذا وأخرجوا حملة صليبية كبيرة للهجوم على مصر وإخضاعها، لكن الحملة ذهبت إلى القسطنطينية أولًا لأنها أكبر بلاد الأرثوذكس وقتها، ونزلوا على المدينة فقتلوا إخوانهم المسيحيين وخربوا الديار وعاثوا فسادًا، وعندما كان رهبان الأرثوذكس يخرجون إليهم من الكنائس رافعين الصليب ليذكروهم به تجد الصليبيين الكاثوليك يكسرونه ويقطعون رؤوس الرهبان.

ودخلوا آيا صوفيا بخيولهم وحطموا كل شيء فيها وجاؤوا بامرأة عاهرة عارية أخذت ترقص في أقدس مكان فيها رقصات شيطانية، فالمسيح الذي

يدعو الكاثوليك إليه ليس هو المسيح عيسى، بل المسيح الآخر، المسيح الدجال.

واقتحم الصليبيون باقي الأديرة واغتصبوا الراهبات ليعلنوا للعالم عن هوية دينهم الذي يحاربون لأجله. دين الشيطان.

وحاولوا بعد القسطنطينية النزول إلى مصر لكنهم لم يقدروا، فقد تعاون المسلمون والمسيحيون الأرثوذكس في صد كل حملة صليبية نزلت على مصر من أي اتجاه، وعادت كل الحملات وهم يجرون أذيال الخيبة.

ولقد حان الوقت لأعمل تلك العلامة بيدي لننتقل من هذه الدماء كلها إلى دماء من نوع آخر. نوع يفوق جميع المؤشرات.

***

بلمسة واحدة جعلت ملابسنا تتغير بالذكاء الاصطناعي لتصير عباءات حمراء لها قلنسوة موضوعة على رأسينا، هذه ملابس كبراء مفتشي محاكم التفتيش، أعلم أنك تشعر بأنك شيطان بهذا الرداء الأحمر، لكن لو ارتدينا شيئًا آخر في هذا المكان سيكون وضعنا صعبًا، فنحن في زمن محاكم التفتيش، حاول التصرف كمفتش، أعرف أنك لم ترَ واحدًا من قبل لكن فقط افعل كما أفعل.

لقد اضطرت الكنيسة الكاثوليكية أن تطلق على العالم وجهها الأكثر سوادًا ودمويةً من كل ما سبق، لأن الجنود الذين رجعوا بعد الحروب الصليبية بدأت تتكون لديهم بعض الثقافات الغريبة على الكاثوليكية، والشعب نفسه بعد أن عرف دموية ولا أخلاقية هذه الحملات لم يعد ينظر إلى الكنيسة مثل السابق على أنها شيء روحاني جميل يهرع إليه ليشعر بالراحة، بل أصبح مكانًا أسودَ من ملابس الرهبان الذين يسكنون فيه.

فظهرت بعض الأفكار الغريبة على الدين الكاثوليكي وبدأت تنتشر بين الناس، ولم تكن هناك عقوبات على البدع أو كما يسمونها «الهرطقات»، غاية الأمر هو الحرمان الكنسي أو الحرمان من دخول الجنة، لا يوجد عقاب جسدي رادع، فقررت العقول الكاثوليكية التي بال فيها الشيطان أن تقيم على

المهرطقين أقصى عقوبات يمكن أن يكون البشر قد ابتكروها وقتها، وأنت ستشاهد بنفسك ولن يكون لي حاجة أن أشرح.

ادخل معي إلى الزنازين وارفع رأسك وحذار أن يظهر وجهك أي امتعاض فمن المفترض أنك شيطان مثلهم بل كبيرهم.

أول ما دخلنا وجدنا امرأة مقيدة والمفتشون يخلعون لها ملابسها كاملة، ويتفحصون جسدها قطعة قطعة، إنهم يقولون إنهم يبحثون عن علامة الشيطان، بينما هم في الحقيقة يبحثون عن شهوات مختلة داخل نفوسهم البغيضة، لذلك أغلب المتهمات بالسحر نساء. الرجل يضع يده على المرأة في كل مكان، علامة الشيطان هذه هي دليل ملموس يتركه الشيطان في جسد الساحرة علامة على اتباعها له، يمكن أن تكون ثأليل أو دمل أو ندبة، ها هو الرجل قد وجد ندبة في فخذ المرأة، ثم أحضر إبرة وغرزها في الندبة فلم تتألم المرأة، وهذا يعني عندهم إنها ساحرة، ليتها تألمت المسكينة.

وهاته النسوة العاريات أمام البركة هن مشتبه فيهن أنهن ساحرات أيضًا، وسيتم وضعهن في هذه البركة فإذا طفت أجسادهن على الماء فهن ساحرات، لأن الساحرة يكون وزنها خفيفًا.

هناك كثير من الخرافات أخرجها الكاثوليك إلى العالم، لذلك كان اسمها عصور الظلام، وهذه الخرافات كلها جمعها الكاثوليك في كتاب ملعون اسمه مطرقة الساحرات.

مشينا قليلًا فرأينا غرفًا صغيرة جدًا بعضها عمودي وبعضها أفقي يسجنون فيها البشر كما ترى، هذا السجين في الغرفة العمودية سيبقى واقفًا على رجليه مدة سجنه حتى يموت، وذاك الذي في الغرفة الأفقية سيبقى ممددًا هكذا حتى يموت، المسجونون هنا غالبًا خصوم سياسيين للكنيسة أو رجال عندهم بعض المال والأراضي، فأرادت الكنيسة أن تنهب أموالهم فقبضت عليهم بتهمة الهرطقة وصادرت أموالهم وأراضيهم.

هناك صرخات عالية تصم الأذن تأتي من تلك الغرفة، ألقينا نظرة سريعة فإذا رجل توضع كفه على الطاولة والمفتش ينزل عليها بالمطرقة حتى

يسحقها، وآخر وضعوا كلاليب في لسانه ثم شدوها وأخذوا يقصون لسانه قطعة قطعة، وامرأة هناك تجلس على ركبتيها وقد وضعوا الكلاليب في أثدائها ثم سحبوها بعنف حتى انقطع صدر المرأة. هذه غرفة الاستجواب، لا بدَّ أن تعترف هنا بالتهمة التي جئت من أجلها، فإذا رفضت الاعتراف تؤخذ إلى المحرقة فتحرق حيًا، وإذا اعترفت أيضًا ستؤخذ إلى المحرقة نفسها، فلا تدري ما الغرض من هذا كله طالما الكل سيحرق في النهاية، إنما هو فرض الإرهاب على أي إنسان يفكر في مخالفة الكنيسة الكاثوليكية ولو في شيء صغير واحد.

تعال فهناك أكثر، هذه غرفة الإعدام، بعض المتهمين يطلبون الموت بأي طريقة غير أن يؤتى بهم إلى هذه الغرفة.

أول شيء وقعت عليه أبصارنا هو رجل يتم جلده بسياط من الحديد الشائك، فينسلخ جلده وتتفتت عظامه مع كل ضربة حتى يموت.

وهذا التابوت غطاؤه من أشواك حادة، يتم غلقه على جسد الضحية فتغرز فيه الأشواك وتقطعه إربًا.

وانظر هناك في تلك الغرفة لكن لا تقترب، هذا يُدعى الثور الحديدي، وهو كما ترى تمثالًا نحاسيًا مجوفًا على شكل ثور مفتوح من جهة واحدة تدخل الضحية فيه ثم يشعلون النار تحته حتى يتحول الثور إلى اللون الأحمر من شدة التسخين ويخرج البخار من أنفه، ويشوى داخله المذنب حتى الموت.

انظر إلى المفتشين بردائهم الأسود وطرابيشهم السوداء ونظراتهم التي ليس فيها أي نوع من الندم الإنساني، ما الذي يمكن أن يوصل رجلًا إلى هذه المرحلة؟ هل أوصله إلى هذا الشيطان أم نفسه التي هي أبشع من الشيطان أم أوصلته التوراة التي يقرأها كمسيحي ويسميها العهد القديم فشوهت له نفسه؟ سأتركك أنت تجيب على هذا السؤال لنفسك، ريثما أعمل علامة الـ X وننتقل من هنا إلى الجزء الأخير في هذه المحاكاة.

***

ماء وظل وأنهار وأشجار، بيوت ملونة بزخارف إسلامية تبعث الطمأنينة في القلوب، مساجد تبهر القلب والبصر، لكن ما هذا بالضبط؟

نظرنا إلى داخل المسجد فوجدنا فيه صليبًا كبيرًا وأرائك، أنه من الداخل كنيسة كاملة، نظرنا إلى الأعلى ناحية المئذنة فوجدنا في أعلاها صليبًا، حافظ على مشاعرك وخفقان قلبك فلو ظهر في وجهك أي نوع من الاعتراض على هذا سيتم تعليقك حيًا هنا في وسط المدينة وليس ببعيد أن يرجموك حتى الموت.

نحن في الأندلس، أجمل بقاع الأرض في الأرض، لكنها صارت أخطر البقاع وأكثرها ألمًا، هنا في الأندلس أُعدِم نصف مليون مسلم، لا أدري كيف أختصر لك قصة كهذه فإنها من شجونها لا تختصر، لكن تعال معي نمشي ناحية هذا الحي هناك. حي الموريسكيين.

بيوت حجرية وأزقة، لا يوجد أحد في الشارع هنا فقد غربت الشمس منذ قليل، لم يعد هناك إسلام في هذه البلاد بعد أن أسقط الإسبان حكم المسلمين، وفرضوا المسيحية بالقوة وحولوا المساجد إلى كنائس، والذي لا يتنصر هنا يموت على الفور هو وأهله وأطفاله. فاضطر المسلمون إلى التنصر وتركوا دينهم الذي...

مهلًا هل تسمع هذا؟

الصوت يأتي من داخل البيت، اقتربنا من الجدار. هل تسمع؟ إن هناك من يتلو القرآن. كيف هذا وأنا أرى علامة الصليب على النوافذ؟ حاولنا النظر من بين ثغور النافذة فوجدنا عائلة يقفون صفًا يصلون المغرب، وبعد أن انتهوا جلسوا إلى طاولة وأفطروا إفطار رمضان، نسيت أن أخبرك أن المسلمين في الأندلس لما خيروا بين التنصر أو الحرق أحياء هم وأطفالهم أفتى لهم مفتي الأندلس ألا يتركوا إسلامهم مثقال ذرة، لكن عليهم أن يخفوه ويتظاهروا بالنصرانية ليحقنوا دماءهم، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

- مَن أنتما؟

فزعنا هذا الصوت من ورائنا فاستدرنا فإذا هو راهب مسيحي، لكن ملابسه هذه تعني أنه مفتش في محاكم التفتيش الإسبانية، وهذه أبشع من

محاكم التفتيش التي شاهدناها في أوروبا، نظرت إلى هيئته بنظرة خبير ثم قلت له بسرعة: «نحن مسلمان».

مط الرجل شفتيه واقترب منا وهو ينظر حوله في حذر وقال: «هل تريدان كشف إخوانكما، ابتعدا عن هنا وعودا لبيتكما، لا حاجة للخروج في هذا الوقت المفتشون الإسبان الحقيقيون سيظهرون بعد حين».

استدرنا بسرعة لنغادر لكن الرجل نادانا همسًا فاستدرنا له فقال: «خذا هذه، يبدو أنكما لم تفطرا».

أخذنا منه بعض التمر الذي أخرجه من جيبه وهو يبتسم لنا ابتسامة مطمئنة، ليس عليك أن تتعجب فالموريسكيون هنا اضطروا إلى التظاهر بالرهبنة والعمل كمفتشين أحيانًا ليحموا إخوانهم المسلمين من أن يتم كشفهم.

إن سبب نكبة الأندلس كلها هو يهودي لعين اسمه إبراهام سينيور، وهو واحد من يهود البلاط الملكي الذين عرفتهم عند رفيقتنا «أ» في لعبة الخزر، هذا اللعين كان من مستشاري الملكة إيزابيلا وهو الذي أقنعها بالزواج من الملك فرناندو ليتم توحيد قوتيهما وجيشيهما ليقدرا على الهجوم على المسلمين في الأندلس وإسقاط حكمهم تمامًا.

وبالفعل وُحدت المملكتان وأصبحتا مملكة إسبانيا التي بدأت تهجم على مدن الأندلس واحدة واحدة حتى أسقطت غرناطة واستسلم ملك الأندلس ووقّع مع إيزابيلا وفيرناندو عهدًا ألا تتم أذية أي مسلم، ولا أخذ ممتلكاته، ولا إجباره على تغيير دينه، ولا التضييق عليه بأي شكل، وأن يطلق سراح كل الأسرى المسلمين، طبعًا ابتسمت له الملكة إيزابيلا ابتسامة لزجة ووقعت على العهد ثم مزقته بعد أن غادر، وأصدرت قوانينها بإجبار المسلمين على التنصر ومن لم يتنصر يُقبض عليه ويعدم على الفور، وأعطت أوامرها بالقبض مباشرة دون تفكير على أي شخص يظهر عليه أي مظهر من مظاهر الإسلام أيًا كانت، اللغة العربية ممنوعة، التحدث فقط بالقشتالية، الحجاب ممنوع، الصلاة، الصوم، أحرقت كتب المسلمين كلها بلا استثناء، ممنوع الزواج على الطريقة الإسلامية، أو الدفن على الطريقة الإسلامية.

فجأة وجدنا أمامنا رجلين يرتديان ملابس المفتشين فارتبكنا قليلًا وحولنا مسارنا في الطريق فناديا علينا بصوت عالٍ: قِف واستدر إليهما.

نظر إلينا الرجلان بطريقة متفحصة ووجه كريه. انتبه هذين مفتشين بحق.

قال أحدهما: «ما اسماكما؟».

قلت له: «أنا بيدرو وهذا صديقي أميجو».

نظر إليك الرجل وقال: «أميجو، أنت تبدو غريبًا عن هنا، هل جربت الخمر الإسبانية، هاك.. خذ جرب....».

ظهر عليك بعض التوتر فتدخلت أنا وقلت: «لا بأس، فنحن نحب الخمر في آخر الليل، فهو يثير الغرائز».

وغمزت بعيني غمزة، فابتسم الرجل ثم قال شيئًا سيئًا على النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فاتسعت عيناك من الغضب، فقال وهو ينظر وراءنا: «اقبضا عليهما».

اللعنة، إنها الحيلة التي لا تفشل مع أي مسلم؛ فمن ذا الذي يتحمل كلمة على رسول الله، ولو كان فيها حياته.

تم القبض علينا وإيداعنا السجن تمهيدًا لحرقنا على الملأ في الصباح.

غيَّر الذكاء الاصطناعي المشهد لنرى أنفسنا في الصباح معلقين على خشبة قائمة وأعين الناس تطالعنا في خوف وقهر، عندما يحكم دين الشيطان البشر هذا ما تراه في أعين الناس، نظرنا إلى أسفل الخشبة لنجد راهبًا مسيحيًا يتلو بعض النصوص التي يقرأها من صحيفة، تتحدث عن المهرطقين والتحذير منهم وأنهم سبب الشر على هذه الأرض، ثم نظر في خشوع إلى الصليب الكبير المعلق على تلك الكنيسة هناك ورفع يده ليشعل الرهبان النار من تحتنا.

هنا عملت شيئًا جعل الجموع ينظرون لي في استنكار كأنني ساحر، فقط رفعت يدي وعملت في الهواء علامة حرف X.

***

مرحبًا بك مرة أخرى في غرفتي، دعنا ننزل من على عجلات الأومني، يمكنك أن تجلس على هذا الكرسي هناك وتستريح.

لقد طلعت الكاثوليكية على المسيحية وتلبست بلباسها والمسيحية منها براء، كما طلعت الصهيونية على اليهودية وطلع شيعة الفرس على الشيعة وطلع الدواعش والخوارج على دين الإسلام. عندما يتحول الدين إلى وسيلة سياسية لاحتلال الأراضي والقتل فاعلم أن من يفعل هذا إنما يتخذ من الدين مطية لأطماع سياسية حقيرة في نفسه الخبيثة.

ولم ينتهِ الكاثوليك عند الحملات الصليبية ومحاكم التفتيش، هم فقط غيروا الاسم في العصر الحديث، فبدلًا من محاكم التفتيش أصبح اسمها «المجمع المقدس للعقيدة والإيمان» وصارت لهم دولة مستقلة اسمها الفاتيكان، وهي خاصة بالكاثوليك فقط وعددهم تقريبًا نصف عدد المسيحيين في الأرض.

اعترف الفاتيكان بدولة إسرائيل وعقد معها وثيقة اتفاق وتعاون مشترك وأصبح كل بابا كاثوليكي لا بُدَّ أن يزور إسرائيل ليؤكد على هذا الاعتراف والتعاون، ولا يدري أحد لماذا يصر بابا الكاثوليك على ارتداء تلك الطاقية اليهودية طيلة الوقت.

أما بقية المسيحيين فأرثوذكس وبروتستانت.

البروتستانت هي حركة صهيونية أيضًا في حقيقتها لأنهم يؤمنون أن اليهود يجب أن يعودوا لأرضهم المقدسة ويحتلونها كلها، لأنه إن لم يحصل هذا لن ينزل المسيح عيسى في آخر الزمان، وأغلب البروتستانت موجودين في أمريكا، فهو المذهب المسيحي الرسمي هناك، لذلك تجد المسيحيّون هناك متعاطفون مع إسرائيل ويتمنون من كل قلبهم أن يبيد الصهاينة جميع الفلسطينيين ويأخذوا الأرض حتى ينزل المسيح عيسى من السماء.

يبقى الأرثوذكس، وهم الوحيدون الذين لم يستغلوا دينهم، بل هم الأقرب مودة للمسلمين في الدول العربية، وأكبر مقر رئيسي مؤثر عندهم هو الكنيسة القبطية المصرية.

ولعلك في العصر الحديث كل بضعة شهور تصحو على فضيحة جديدة للفاتيكان مقر الكاثوليك.

بداية من الماسون الذين شكلوا أغلبية من أعضاء الفاتيكان وأصبحوا يسيطرون على الكنيسة الكاثوليكية وبنك الفاتيكان، وعندما فضحهم أحد بابوات الفاتيكان يوحنا بولس الأول قتلوه بعد شهر واحد من تنصيبه.

أدخل الماسون عبادة الشيطان ورموزه إلى قلب الفاتيكان، حتى إن بابا الفاتيكان بولس الخامس اعترف وقال إن دخان الشيطان قد دخل كنيستنا.

والكاثوليك تحديدًا هم أصحاب أكثر نسبة اعتداءات جنسية في أي مؤسسة في العالم لدرجة أن هناك سلسلة من الدعاوى القضائية ضد الكنيسة الكاثوليكية اضطرتها إلى دفع أكثر من 2 مليار دولار تعويضات للضحايا، هذا فقط ما كُشِف وأثبت فما بالك بما خفي.

أكثر هذه الاعتداءات الجنسية هي بين رهبان الكاثوليك والأطفال، فقد صدرت التقارير الرسمية أن هناك 300 ألف طفل أغتصبوا من الكهنة الكاثوليك، 10 آلاف طفلٍ منهم فقط رفعوا قضايا على الفاتيكان ولم يتم الحكم في المحكمة إلا على 600 كاهنٍ فقط.

الأمر خرج عن السيطرة لدرجة أن البابا بنيدكت السادس في العصر الحديث أصدر رسالة اعتذار علنية يقول فيها «لقد عانيتم كثيرًا. وأنا آسف حقًا».

المشكلة أن الفاتيكان لأجل التغطية على هذه الفضائح أصدروا قانونًا رسميًا على جميع الكهنة الكاثوليك بالصمت تمامًا إذا لاحظوا أي عمليات تحرش واغتصاب للأطفال في أثناء عمل الاعتراف داخل الكنيسة.

وليس هذا بغريب على طائفة بدأ تاريخها بالحروب الصليبية ومحاكم التفتيش أن يكون هذا حالهم، ولقد حاولوا في العصر الحديث تجميل الصورة فخرجوا يعتذرون، فتجد كل بابا يُعيَّن يخرج ليقدم اعتذارات للعالم عن الحروب الصليبية وعن انتهاكات حقوق الإنسان وحقوق المرأة في محاكم التفتيش وعن إبادة السكان الأصليين لأمريكا وكندا، وعن الاعتداءات الجنسية على الأطفال، وكأن الاعتذار سيقدم أو يؤخر، أو يغير من الحقيقة أي شيء.

الفصل السابع

برتولومي

كم أرهقوك بكل هذه الهولوجرامات والتقنيات البصرية التي جعلتك تظن أن زماننا ليس فيه شيء حقيقي، تظن أننا فقط تطورنا في مجال الذكاء الاصطناعي والمتع الوهمية، لكنَّ هذا جزء يسير مما وصلنا إليه، الجزء المتعلق بالمتعة. أما حياتنا نفسها فقد تقدمت لدرجة أننا لا ندري كيف تتحملون في زمانكم هذه الحياة البدائية التي تعيشون فيها.

لا أدري كيف أشرح لك لعبتنا لكنها لعبة خطرة جدًّا، وهناك كثير من الأفلام والروايات تنبأت بهذه التقنية في زمانك مما سيجعلك تتقبلها بطريقة أسهل.

في زمانك عمل آينشتاين ثورة عندما غيَّر مفاهيم الفيزياء، وقال إن العالم ليس مجرد أبعاد ثلاثة. طول وعرض وارتفاع، بل هناك بعد رابع هو الزمن، وقال إن هذه الأبعاد الأربعة تصنع شيئًا مثل شبكة الصيد الكبيرة أو السجادة التي تحملنا جميعًا وتحمل كل شيء في الكون، لن أشرح لك الأمر لأنه ليس لدي وقت لكن آينشتاين وصديقه العالم ناثان روزين اكتشفا أن هذه الشبكة التي تحمل الكون ليست متقنة تمامًا، بل فيها ثقوب تسمى الثقوب الدودية Wormholes، عبارة عن مواسير لو دخلت فيها ستخرج من ثقب آخر في

اللحظة نفسها، يعني تدخلها اليوم فتخرج في زمان مختلف تمامًا، علماء زمانك مثل ستيفن هوكينج وغيره قالوا إنه يمكننا أن نصنع ثقبًا دوديًا مثل هذا ونسافر به عبر الزمن وننتقل به لحظيًا عبر الأماكن لكن سنحتاج إلى إمكانات لا أظن أنها ستتوفر لدينا قريبًا، لكن دعني أطمئنك، هذه الإمكانات التي تحدث عنها هوكينج توفرت في زماني وأكثر منها أيضًا.

لا بُدَّ أنك لاحظت أنك تدخل معي الآن في مكان يشبه المخازن أو المصانع التحت أرضية، جئت بك إلى هنا لأريك شيئًا موجودًا في زمانك لكنك تجهله تمامًا.

تعالَ انظر إلى هذه التحفة، آلة معدنية كبيرة تشبه الجرس ينبعث منها وهج بنفسجي ولها باب وعليها علامة النازية المخيفة، هذه الآلة من إنتاج هتلر، اسمها دي جلوكا Die Glocke. أول آلة زمن يخترعها البشر لكنها لم تكتمل لأن ألمانيا خسرت الحرب، واستولى عليها دول الحلفاء، وبعد سنوات قليلة من استيلائهم عليها أنشأوا معمل سيرن الشهير أضخم مختبر في العالم لدراسة فيزياء الكم، ما زالت الدراسات لم تكتمل في زمنك، لكنها اكتملت في زماني، أنا الرفيق «أ»، وحرفي يشير إلى آلة الزمن، ويمكنه أن يشير إلى أمريكا أيضًا لأنها موضع حديثنا.

سأجعلك تلعب بالدي جلوكا، تسافر بها عبر الزمن وسأسافر معك، إلى زمان واحد معين، لن يكون الأمر هولوجرامًا أو ذكاءً اصطناعيًا بل حقيقة نلمسها بأيدينا، عليك فقط أن تخلع ملابسك هذه لأنها لا تصلح للزمن الذي سنذهب إليه، خذ هذه الملابس وهي ملابس رهبان كما تلاحظ، أنا وأنت سنكون راهبين مسيحيين وسننزل على سفينة كولومبوس مكتشف أمريكا الشهير كما يزعمون، وهذا هراء كما ستعرف بعد قليل.

لقد تركك رفيقي السابق عند إيزابيلا وفيرديناند والمذابح التي ارتكبوها في حق المسلمين، وأصبح اليهود وقتها مرافقين للملوك وحاصلين على رتب النبلاء، لكن هؤلاء اليهود بعد ذلك ضجوا من الحياة الضيقة التي يعملون فيها كحاشية ويضطهد كثير من شعبهم بسبب آلة الجزارة المسيحية التي انطلقت ولم يعرف أحد كيف يوقفها، فكان لا بُدَّ من إيجاد أرض جديدة ودولة جديدة

ملآنة بالخيرات يمكنها أن تحكم العالم كله، دولة لم يكتشفها كولومبوس بل اكتشفها فرسان المعبد قبله بكثير.

إيزابيلا الحسناء الدموية وزوجها فيرديناند هما اللذان موّلا حملة كولومبوس لاكتشاف أمريكا بإيعاز وتخطيط كامل من الحاخام اليهودي الإسباني إبراهام سينيور وهو اليهودي الذي سعى في زواج فيرديناند وإيزابيلا وإسقاط الأندلس كما عرفت سابقًا. كما عرفت سابقًا، دون كلام كثير تعال إلى الدي جلوكا، سندخل ونخرج في سفينة كولومبوس قبل أن تنطلق في رحلتها الشهيرة، وتذكر، نحن اثنان رهبان. ما علاقة الرهبان؟ ستعرف. فقط تعال ولا تضع المزيد من الوقت.

***

أسطول كبير من السفن، ليست واحدة أو اثنتين، نجحنا في الدخول بهذه الأزياء الرهبانية بسهولة في سفينة كولومبوس دون تفتيش، السفن معبأة بكافة أنواع الأسلحة والذخائر فهي سفن حربية كما يبدو، والحق أن وجود هذا العدد من الرهبان والأسلحة يبدو أمرًا مريبًا جدًّا، لكن سنفهم لاحقًا.

لاحظنا أن السفينة عليها علامة فرسان المعبد الشهيرة رغم أن الفرسان قد انتهوا واحترقوا وبدأ الناس في نسيانهم، لكن كولومبوس لم ينسَ، فهو واحد من نسل فرسان المعبد. البحّارة هنا ليسوا أولئك البحارة الطيبين الذين تحب الجلوس معهم بل هم أجلاف أشبه بالقراصنة.

كنا نرى كولومبوس يتجول كثيرًا في السفينة، وفي كل مرة نراه بشعره الأجعد وعينيه البشعتين الواسعتين القاسيتين تتهاوى الصورة النمطية التي زرعوها في أذهاننا قديمًا عنه، ذلك المغامر المكتشف الوسيم الرائع.

لو كنت تتابع أخبار زمنك ستقرأ أن المظاهرات التي خرجت في أمريكا مؤخرًا احتجاجًا على قتل جورج فلويد المسكين الأسود هرع فيها المتظاهرون إلى تمثال كولومبوس وأسقطوه وصبغوه بلون الدم، إن الذين فعلوا هذا يقرأون جيدًا، بينما أنت تكسل عن القراءة وتركن إلى ما تعلمته في المدارس، إن كولومبوس ليس فقط مجرمًا، بل إنه ارتكب أكبر جريمة

إنسانية في التاريخ كله من أوله إلى آخره بكل ما فيه من حروب، جريمة كولومبوس أكبر من كل ما سبق، ولا تقارن بأي مما سبق، ولن أحكي لك عنها لأننا سنشهدها بأنفسنا بعد قليل.

إن كل من قال إن كولومبوس اكتشف أمريكا بالمصادفة هو أسير القمامة التي أفرغوها في عقله قديمة وقالوا له إنها تاريخ، وتعبير قمامة ليس فاحشًا هنا لهذا أتيت بك معي حتى تكون شاهدًا.

فرسان المعبد جاؤوا قبلنا وتجولوا في أمريكا وعرفوها جيدًا ووصفوا كل شيء لعائلاتهم، قالوا لهم إن هذه أرض متخمة بالذهب والأنهار والزروع والبشر، عدد ضخم من البشر يفوق سكان أوروبا مرتين وأرضهم مساحتها أكبر من أوروبا بخمس مرات، حضارتهم بدائية وأسلحتهم تافهة وطباعهم مسالمة، فيهم براءة الفطرة، مرهفو الحس والطبيعة لم يتلوثوا بعد، أجسادهم ناحلة هزيلة لا تطيق الرهق وسرعان ما يهلكها المرض، لكنهم يتوالدون بكثرة ويتزايدون.

عندما وافق فيرديناند وإيزابيلا على تمويل كولومبوس كتبوا في الاتفاقية أن هذا التمويل مشروط بأن يعطيهم كولومبوس 90% من الذهب والخيرات التي يحصل عليها، فكل هؤلاء البحارة الذين يتجولون ليسوا مستكشفين كما تعلمت بل هم قراصنة، أتوا للبحث عن الذهب والكنوز، وزعيمهم هو ذاك الجلف ذو العين الشيطانية كولومبوس، وكلمة قرصان لا تصفه جيدًا، بل تقصر كثيرًا في حقه، فالمرحلة التي وصل إليها من الشر لم توضع لها كلمة تصفها في قواميس البشر، ولا قاموس الشياطين.

مجموعة الرهبان الذين معنا على هذه الرحلة جاؤوا ليوصلوا كلمة الله إلى شعوب لم تسمع يومًا بالمسيح، لكنّ كثيرًا منهم جاؤوا لأغراض أخرى كما ستفهم لاحقًا.

أنا وأنت هنا راهبان ضمن مجموعة الراهب بارتولومي دي لاس كاساس، وهذا الرجل لولاه لما كان العالم سيعرف أي شيء مما سنشهده بعد قليل.

تذكر أننا سنكون رهبانًا في هذه الرحلة يعني يجب أن نتصرف مثل الرهبان لأنه لو تم اكتشاف أننا لسنا كذلك سيتم ذبحنا كالنعاج، ولن نجد فرصة لنفتح الثقب الدودي الذي سيعيدنا إلى زماننا، ويجب أن نراقب الأحداث ونحاول أن نجد فرصة لتغيير أي شيء فيها، فنحن سنشهد على كارثة كما لا بُدَّ أنك استنتجت، فإذا سنحت لنا الفرصة سنخفف من هذه الكارثة، لا تهتم لأولئك الذين يقولون إنه لا أحد يمكن أن يغير في الماضي لأنه سيغير المستقبل، فكل من تكلموا في السفر عبر الزمن ومعضلة تغيير التاريخ هذه كانوا غير مؤمنين باللوح المحفوظ، فلو نحن سافرنا للماضي وغيرنا أي شيء فيه فإن رجوعنا وتغييرنا هذا مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن نخلق، فلا أحد يمكنه أن يغير ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ، لا تشغل فكرك بهذا الأمر الآن حتى لا تشتت تفكيرك، أعرف أن الأمر صعب الفهم لكن تجاوز ولنكمل مهمتنا.

وصلت السفن إلى سواحل القارة الجديدة الغضة البريئة، ونزل منها الرجال بأسلحتهم النارية، تلك البنادق الطويلة التي تسمى ماتشلوك، يتقدمهم كولومبوس في عباءته السوداء كأنه رسول الموت، وليس هذا تشبيه بل حقيقة.

لم يمر علينا صباح واحد حتى أحاط بالمكان رجال ونساء سمر البشرة ينظرون لنا في براءة فيها كثير من التبجيل ومعهم مشاعل من نار يحملونها بأياديهم رغم أن نور الصباح يغمر كل شيء، وقف القراصنة يصوبون إليهم البنادق في تحفز.

تقدم من بين هؤلاء الرجال شيخ يبدو من هيئته أنه كبيرهم، كان يمسك في يده بطست كبير مملوء بالذهب ثم تقدم رجلان من شباب هؤلاء القوم ووضعا مشاعلهما داخل الطست فاشتعل بالنار ثم ألقوه أمام أرجلهم، كانوا يظنون أن كولومبوس هذا هو رسول أو ملاك أو إله، أيًا كان معتقدهم، وهذا الذي يفعلونه هو طقوس الترحيب أو التمجيد أو العبادة، لا فارق، لكن النظرة التي بدت على عين كولومبوس وقتها وهو ينظر إلى هذا المشهد لن أقدر أن أصفها بالكلمات، لكنها كانت بشعة جدًا.

***

من وراء زعيم القوم ظهرت ابنته الجميلة بسمارها وضحكتها الساحرة، كان اسمها «أناكاونا». كان وراؤها طابور من النساء يحملن طعامًا كثيرًا وفاكهةً لم يرَ هؤلاء البحّارة مثلها قطُّ، فاكهة ليست موجودة في أوروبا، وحتى الطعام الذي قدموه لنا لم يكن شيئًا معتادًا، وأصبح البحّارة يأكلون كالخنازير تمامًا، إن لم يكن هؤلاء قد خرجوا من أعماق السجون فلا بُدَّ أنهم قراصنة. طريقة الأكل، الصوت الأجش، الكلمات السافلة، ثم يعلمونك في المدارس أنهم كانوا مستكشفين.

بالنسبة إلى كولومبوس فأهل هذه القارة الجديدة هم أكثر براءة مما أخبره آباؤه، كان ينظر إليهم ويحاول تحديد ديانتهم فأصبح يقول لنا إن هؤلاء الهنود الحمر مسلمون غالبًا، فنساؤهن يضعن شيئًا على رؤوسهن أشبه بحجاب المغربيات، والقلادات والحلي التي يلبسنها تبدو نقوشها أشبه بنقوش عملات المسلمين، هكذا قال كولومبوس، ولا عجب أن يكون هؤلاء القوم قد جاءهم نبي من قديم الزمان كما جاء لكل قوم من خلق الله أنبياء، لكن كولومبوس كانت لديه حساسية ضد المسلمين لأنه تربى على أخبار الحملات الصليبية، ورأى بعينه أمجاد البحرية العثمانية في أثناء تدربه في البحر وهو شاب.

لم تكن هذه الضيافة منهم في اليوم الأول بل في كل يوم، تأتي هؤلاء النسوة وفي أيديهن كثير من الطعام، وكولومبوس يلاحظ وينتظر حتى يفرغ رجاله من إنزال أمتعتهم من السفن وينتهوا من نصب خيامهم.

أمرنا كولومبوس أن نذهب ونستطلع المكان الذي يقيم فيه القوم فذهبنا وأخذنا معنا صلباننا لنبشر هؤلاء القوم بالمسيح فلا بُدَّ أنهم لا يعرفونه، تعال الآن لنذهب مع الرهبان فهذه فرصتنا، لعلنا نحاول أن نفهم أكثر.

دخلنا تلك القرية برداءاتنا السوداء نمشي وراء رئيس الكهنة الذي وقف أمام البيوت وأخرج صليبًا كبيرًا جدًّا غرزه في الأرض وقال بلهجة جافة: «يا سكان القرية التي لا نعرف اسمها، إنا نبشركم أن المسيح هو الله وابن الله الحي المولود غير المخلوق، وأن ملك قشتالة هو سيد هذه الأراضي، فاخرجوا

من بيوتكم اليوم وأعلنوا الطاعة للمسيح، وإلا فستكونون كفارًا، وستكون دماؤكم حلالًا».

بدأ الأهالي يخرجون من بيوتهم ناظرين إليه بغير فهم، فقلت لرئيس الكهنة: «سيدي هذه ليست طريقة مناسبة للتبشير، فلا هؤلاء القوم يفهمون لغتنا ولا هم سمعوا عن قشتالة أصلًا».

نظر إليّ رئيس الكهنة بغضب وسأل الذين بجواره: «من هذا الكاهن؟».

قلت له بسرعة وبلا تردد: «خادمك بيدرو سيباستيان من كنيسة ساو باولو».

قال لي رئيس الكهنة: «إذن تنبه من مجاوزة حدودك يا هذا أو سنقوم بإبلاغ كنيستك».

لو كنت تتساءل عن الغرض من وجود الرهبان في حملة كهذه فدعني أخبرك أن فيرديناند وإيزابيلا اتفقا مع كولومبوس أن تكون حصة الرهبان من الغنائم هي 10% من حصة الكنيسة من الذهب، فأكثر هؤلاء الرهبان أتوا إلى هنا وهم لا يريدون قلوب القوم بل يريدون ذهبهم.

تعلمنا بعض الأمور عن هؤلاء الناس من مخالطتهم لبضع أيام، وحاولنا التحدث معهم لنبني أي جسر مشترك من اللغة، عرفنا أنهم يسمون أنفسهم شعب التاينو، ليسوا هنودًا حمرًا كما يناديهم الأوروبيون، ولاحظنا أن هؤلاء التاينو لا يأكلون كثيرًا، بل إن قرصانًا واحدًا من خنازيرنا يأكل مثل عائلة كاملة هنا، مما جعل الأميرة «أناكاونا» توقف إطعام هؤلاء الرعاع بعد أن تأكد لدى التاينو بفطرتهم أنه يستحيل أن يكون أولئك مرسلين من الرب بأي حال.

وبينما كنا نحن الرهبان نحاول التحدث مع هؤلاء في قريتهم إذ ظهر قبطان من القباطنة وكنت أكرهه جدًا، ووقف وراءه قراصنته، ربما جاؤوا وراءنا لأنهم جاعوا، وربما أوامر كولومبوس، ليس الأمر واضحًا لكن الواضح هو عزمهم على عمل الشر.

مد القبطان يده عنفوانا إلى أوراق شجرة متدلية فقطع منها بعض الأوراق في قبضته، ثم أشار بها إلى فمه علامة على رغبته في الطعام، صاحت الأميرة

«أناكاونا» في وجهه وهي تقول شيئًا يبدو من طريقة كلامها ورفعة إصبعها أنها تقول ليس لكم طعام عندنا فقد أفقرتم القرية، وكانت هذه هي الشرارة. شرارة الدم.

مد الرجل يده إلى رداء الأميرة فجذبها منه جذبة أسقطته حتى تكشفت، فغضب شباب التاينو وهموا بالهجوم عليه لكن بنادق الماتشلوك ارتفعت وأطلق الإسبان أول طلقات على تلك الأرض الطاهرة فقتلوا عشرة رجال في الثانية الأولى، ثم عشرة آخرين في الثانية التي بعدها وارتعب رجال التاينو، كانت المرة الأولى التي يرون فيها شيئًا كهذا، قضيب توجهه ناحية شخص فيرديه قتيلًا وتتفجر رأسه، كان الأمر يبدو مثل أساطير الآلهة، لكن الآلهة لم تكن لتفعل ما فعله القراصنة في الثانية التي بعدها.

أمسك القبطان برداء الأميرة الذي تحاول رفعه لستر نفسها فأسقطه عنها تمامًا، وهجم عليها رجلان من القراصنة وقيدوها وقد ظهر جسدها وضربها القبطان على وجهها بقوة وخنقها بيد واحدة ثم قفز عليها.

صراخ وعويل من التاينو تتبعه طلقات من بنادق المجرمين وأصوات دماء تنفجر من رؤوس أصحابها المذهولين، القبطان يغتصب الأميرة، رئيس القبيلة أو الملك خرج من بيته وفي وجهه أعتى آيات القهر والغضب والدهشة والدموع، كان يرى دماء ابنته تسيل على وجهها ومن مكان عفتها، وأعينها تستغيث، هي التي لم ترَ شرًا في حياتها، وكلما يحول وجهه إلى مكان يجد رجال قبيلته يتساقطون والدماء تنبعث منهم مع أصوات طلقات تصم أذنه التي لم تسمع هذا النوع من الضوضاء من قبل.

هرب التاينو إلى بيوتهم وهم يتعثرون في جثث أصحابهم وأبنائهم وزوجاتهم، وبقيت الأميرة يضرب جسدها الأرض كأنه الخشبة وذلك القبطان يغتصبها، لم ترَ الرهبان يفعلون شيئًا، كأنهم قد تحضروا لموقف كهذا ويعلمون أنه سيحدث، أو ربما يخططون له، إلا بعضهم مثل القس برتولومي الذي حاول التحرك ناحية القبطان المغتصب لكن القراصنة أمسكوا به ومنعوه من الحركة فأخذ يصرخ بغضب.

لم يلفت نظري شيء أكثر من الملك وهو ينظر إلى ابنته وجسده متجمد كله إلا عيناه اللتان ترتجفان كأنه سيموت مكانه، كان اسمه «بيهيكو»، فعل هذا الرجل تصرفًا عجيبًا، نظر إلى الأرض بذلة ومشى مستديرًا، ولم يدخل إلى بيت من البيوت بل ذهب عبر تلك الأشجار ومضى في الغابات وعيناه على نفس رجفتها حتى سقط ميتًا، لم يحتمل، قلبه الطاهر لم يحتمل فمات من الذل والحزن، وليس في الدنيا شيء أبشع من هذه الميتة.

قام الرجل عن الأميرة التي أخذ كل جزء من جسدها يرتجف وهي على الأرض ثم تفل عليها القبطان اللعين فصاح فيه بارتولومي: «أيها الرجل الملعون في الملكوت، وعهد المسيح إني أعلم اسمك واسم عائلتك في قشتالة، ولن أدعك تعيش في سلام بعدها».

نظر إليه القبطان وابتسم ابتسامة حقيرة مثل نفسه الحقيرة، وهرعت أنا إلى الأميرة أسترها بردائي وأحاول أن أقيمها برفق لكنها لم تكن ترى أو تسمع شيئًا، فقط تبدو عينها ساهمة في شيء تخيلي أمامها وكأنها تفكر في شرفها الذي ضاع ودمائها العذراء التي سالت على أرض قبيلتها بين كل هؤلاء الرجال.

وكانت هذه هي البداية. فقط البداية، وهي لا شيء يذكر.

***

قامت «أناكاونا» وهي تمسح رداءها بيد مرتجفة فمددت يدي أربت عليها فأبعدت يدي في حدة ونظرت لي نظرة حادة ملآنة بالكراهية، ثم مشت والدموع تغزو مقلتيها حتى وصلت إلى جوادها فركبته وانطلق بها إلى مقر مملكتها، فهذه كانت قرية واحدة من قرى مملكتها الواسعة.

ولم يمضِ يوم واحد إلا وقد جاءت أناكاونا على رأس مجموعة كبيرة من المحاربين على جيادهم وبجوارها شاب فارع الطول عريض نحيل يجعل شعره على شكل ذيل الحصان وملامحه تدل على الشدة والعنفوان، كان هذا هو ملك مملكة كوبا المجاورة وكان في هذه اللحظات يكتب أسطورته التي ستخلد في التاريخ شاهدة على كل شيء.

نزل من السفينة عدة قراصنة يبدو أنهم من نوع خاص، كان كل واحد منهم يحمل مدفعًا يدويًا، ذلك الذي تشعله بالقدّاحة أو بالسيجارة فتنطلق منه طلقة متفجرة إذا أصابت أي شيء دمرته وفجرته وأشعلت فيه النار، ومن دون إنذار، انطلقت كل المدافع اليدوية في آن واحد إلى فرسان التاينو، ولك أن تتخيل المنظر.

الأحصنة تفجرت ودماؤها تناثرت في كل مكان وطار رأس الأميرة وتدحرج بعيدًا ولم ينتظر هاتوي ثانية واحدة ليفهم، بل استدار ورفع يده إلى من بقي من الرجال فانطلقوا مبتعدين عن هذه المجزرة، تضاحك القراصنة وأطلقوا سبابًا بذيئًا ثم تقدموا بتلك المدافع التي معهم ذاهبين إلى القرية لينسفوها من على وجه الأرض.

كان لدى بعضهم مدافع وبعضهم بنادق وبعضهم خناجر معقوفة وقنابل، وشهدنا بأعيننا جريمة نسف قرية كاملة تملؤها صرخات بريئة لم تدرِ ماذا فعلت حتى تموت، لم يتركوا في القرية نفسًا حية تتنفس، رأيناهم يحملون الأطفال ويضربون رؤوسهم بالصخور كأنهم دمى، وحتى الرضع رأينا أحد القراصنة يمسك رضيعًا منهم فيرميه في النهر فطفا الرضيع على السطح وهو يتحرك بلا هدى فضحك القرصان والسيجار في فمه وقال لصاحبه: «انظر، إن الرضيع اللعين يتحرك في الماء».

ثم رفع بندقيته وصوَّبها عليه ففجره وسالت دماؤه تصبغ النهر، كثير من التاينو هربوا إلى الغابات لكن القراصنة أطلقوا كلابهم المفترسة وراءهم فانقضت الكلاب عليهم ونهشت ما تبقى من أرواحهم، ورأينا كولومبوس يأتي إلى القرية ماشيًا بتلك العباءة القميئة والقبعة السوداء المثلثة. كان ينظر إلى كل هذه الدماء بلا اكتراث ويأمر رجاله أن يدخلوا إلى البيوت ويقلبوها رأسًا على عقب بحثًا عن الذهب، وبقي بعض الرجال أحياء فأخذوهم أسرى.

عندما يكون لديك كنز ضخم من ذهب لا نهاية له لكنك لا يحق لك أن تأخذ منه إلا 10%. في هذه الحالة اجمع أكبر كمية ممكنة حتى يزيد نصيبك، وبالطبع لن يعطيك هؤلاء التاينو كل ذهبهم طوعًا، ولن يفهموا حرفًا من كلامك

معهم، فأخرِج سلاحك وفجر رؤوسهم ثم ابلع الذهب هنيئًا مريئًا، وهكذا نزل القراصنة على بقية القرى ليفعلوا مثل فعلتهم الأولى.

لم يكونوا يقتلون بل يتلذذون بالقتل، ويستمتعون ويطربون لمشهد العذاب والبطش، والرهبان وراؤهم يمسكون الصليب ويهرعون إلى الضحايا قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة ويحاولون تنصيرهم وبعضهم سابح في دمائه أو التهمت الكلاب نصف أعضائه، لماذا يفعل الرهبان هذا؟ لأن هناك مشرفين يلاحظون كل شيء ويراقبون الذهب الذي تم جمعه ويحسبون حصص كل شخص، ويجب أن تؤدي مهمتك التبشيرية حتى تأخذ نصيبك.

أما نحن فيجب أن نمثل أننا نفعل كما يفعلون، هؤلاء الأطفال الذين يموتون يجب أن نلحق بهم ونعمدهم قبل أن يموتوا، حتى نرسلهم إلى الجنة، أعلم أن الأمر سخيف ثقيل على نفسك لكن فقط افعل هذا حتى لا يقطعوا رؤوسنا نحن أيضًا، تذكر، لسنا هنا في هولوجرام.

حمامات من الدماء تفجرت، هؤلاء الشياطين أحضروا من أوروبا ذخيرة ضخمة بشكل مبالغ فيه لأنهم يعرفون عدد شعب التاينو جيدًا، وفي كل أسبوع تأتي سفن جديدة وينزل منها قراصنة جدد وذخائر جديدة ودماء جديدة تتفجر في كل مكان، وكانوا يأخذون التاينو عبيدًا ويلقونهم في السفن لترجع بهم إلى إسبانيا فيباعوا هناك.

كانوا قد اتفق الشياطين قراصنة ورهبانًا أن يستبيحوا هذه الأرض حتى آخر قطرة دم منها، وحتى لا تتعفن الجثث ولا يرهقوا أنفسهم في دفنها كانوا يكومونها حتى تصنع تلة مرتفعة من البشر ثم يشعلون فيها النار، وفي داخل هذه الكومة يكون أناس ما تزال تسمع أنينهم.

مشاهد لا يمكن أن ينساها بشر له قلب، رأيناهم ذات مرة صنعوا منصة ضخمة قرروا أن يعلقوا عليها أسياد القرى، فكانوا كلما أغاروا على قرية علقوا سيدها عاريًا على المنصة، حتى اجتمع على هذه المنصة اثنا عشر رجلًا، وأصبح الرهبان يطوفون عليهم ويلقون عليهم المواعظ ليؤمنوا بالمسيح، والرجال لا تصدر منهم إلا عبارات غاضبة أحيانًا وباكية أحيانًا أخرى، لم أكن

أفهم إلى أي مسيح يدعون بالضبط، فحتى لو كانوا يدعون للمسيح الدجال ما فعلوا هذا.

لكن في هذه اللحظة ظهر هاتوي، انطلق كالسهم بجواده ووراءه فرسان آخرون، كانت خطتهم أن يلحقوا بالقراصنة ويضربوهم بالرماح قبل أن يطلقوا عليهم النار، وبالفعل نجح هاتوي ورجاله في غرز رماحهم في حلوق اثني عشر قرصانًا وقعوا على الأرض وأصدروا خوارًا مثل الثيران، كان هاتوي هذا شجاعًا جدًا، لكن الأسلحة البدائية التي عند التاينو كانت تبدو بالنسبة إلى هذه الترسانة الإسبانية مثل ألعاب الأطفال، ومع هذا فإن هاتوي والذين معه قرروا أن يموتوا كالرجال، فإن تموت مقاتلًا خير لك من أن تموت وأنت تهرب أو تصرخ، لا تجعل آخر ما يشاهدونه منك هو صرختك أو عينيك المرتعبتين، بل أعطهم نظرة تقض منامهم لسنوات وسنوات.

كان هاتوي صرخة أمل ظهرت وسط كل هذا الدم، صرخة جددت في قلوب التاينو أن يثبتوا، وأن يدافعوا عن أرضهم حتى آخر نفس.

***

لم تغرب شمس ذلك اليوم إلا وقد أمسك القراصنة بهاتوي والذين معه، وحضروا لهم ميتة تليق بهم، بالنسبة إلى هاتوي فقد علقوه على المنصة مع الأسياد، أما الذين معه فنصبوا لهم مشواة من القضبان ثم ربطوهم جميعًا بحبل واحد وجعلوهم متكومين على أسياخ أوقدوا تحتها نارًا هادئة حتى يحترقوا عليها ببطء.

وجاء الليل سكنًا لكل هذه النفوس الشيطانية لعلها تهدأ، علينا أن نتسلل الآن إلى أولئك المعلقين مع هاتوي ونفك وثاقهم ثم نعود لمكاننا كأن شيئًا لم يكن، لا داعي أن أذكرك أن رؤوسنا ستقطع لو انكشف أمرنا، هيًا تحرك.

فجأة رآنا هاتوي وهو معلق هكذا فظهر على ملامحه الغضب والغيظ، دعك منه فنحن في رداء الرهبان وهو يظننا منهم، فقط اصعد على هذا الجذع هناك وحاول فك وثاقه ثم اهرب، وهو سيتولى فك وثاق الباقين.

أشرت لهم بيدي ليصمتوا ولا يصدروا صوتًا بينما أراقبك وأنت ذاهب لفك وثاق هاتوي.

نعم هكذا، أنت رائع، لعلك بهذه الحركة تنقذ أي شيء من تاريخ هؤلاء القوم.

سقط هاتوي على قدميه في رشاقة ونظر إلينا في استغراب ونحن نهرب لكنه لم يضع وقتًا، بل بدأ في فك وثاقات أصحابه حتى فكهم كلهم، وخرجوا بحذر حتى لا يوقظوا الخنازير النائمة وانطلقوا إلى مملكتهم كوبا ليجهزوا بلادهم ويحصنوها بأسلحتهم البدائية ريثما يأتي عليها السفاحين.

جن جنون القراصنة عند هروب الأسياد، ولا شيء أسوأ من الجزار عندما يغضب، نزلوا على بقية القرى كالكارثة المحرقة، ولم يكونوا يقتلون كل أحد، فقط يقتلون الأطفال دون الرابعة عشر والكبار فوق الخمسين، وكل من يبقى بعد ذلك يأخذونه أسيرًا، لكن ليس للبيع هذه المرة بل للعمل.

فهذه البلاد مليئة بالذهب واللؤلؤ والثمار، ولا يجب أن يحرك القرصان منهم كرشه ويتعب نفسه في الاستخراج أو الزراعة، ولديه كل هذا العدد من البشر العاملين بالمجان، كانوا يربطون الرجال من رقابهم في حبل واحد ويجبرونهم على العمل في مناجم الذهب أو في الحقول، ويطلبون من كل واحد كمية معينة من الذهب يجمعها خلال الشهر، فإن لم يقدر فإنهم يقطعون رأسه مباشرة، ومن ينجح يضعون على رقبته طوقًا نحاسيًا مثل طوق الكلاب علامة على اجتهاده.

كانت العملية صعبة جدًا بالنسبة إلى التاينو، خصوصًا أن الذهب يكون عبارة عن قطع صغيرة مختلطة بالطين يجب أن يتم استخلاصها من المصارف المائية، ثم توضع هذه القطع في أكياس كبيرة على ظهور التاينو الذين جمعوها، وفي ذلك الحبل الذي يربطهم معًا يكون عليهم أن يمشوا بحمولتهم هذه من موضع المنجم إلى السفن، والقراصنة يمشون معهم بالأحصنة، فإذا تعب واحد منهم أو سقط يضربونه بالسوط حتى يحترق ظهره من الألم ثم يقيمونه غصبًا ليكمل المسيرة.

والذين يجمعون اللؤلؤ لم يكن حالهم أفضل، بل إن القراصنة كانوا يرمونهم في البحر طوال اليوم، أكثر من اثني عشرة ساعة في البحر كل يوم، فيخرج التاينو وجلودهم قد تخشبت وتشققت وشعورهم السوداء تبدو كأنها محروقة وينبت على ظهورهم ما يشبه ملح البارود، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا، خاصة أن أرواحهم لم تعد تتوهج بشخصياتهم بل انكمشت وصاروا مثل الآلات التي لا شعور لها، وكثير منهم يهبط إلى قاع المحيط كالصخرة غارقًا.

كان القراصنة ينظرون إلى كل هذا وهم أسعد ما يكونون، أن يهبك الله ذهبًا ولؤلؤًا وبساتين في أراضٍ لا نهاية لها وعبيد يخدمونك ويجمعون لك كل يوم غنيمة تؤمّن لك الحياة بأكثر طريقة مرفهة يمكن أن تخطر ببالك، ماذا تريد أكثر من هذا.

خضعت المملكة الأولى تحت أقدامهم وقضوا فيها شهورًا يجمعون خيرها، ومن احتكاكهم بالتاينو وتسخيرهم للعمل تعلّموا شيئًا من لغتهم، ولقد أفادهم هذا في إذلالهم أكثر وإخضاعهم لعمل أكبر، فلم يعد بإمكان العبد المسخر أن يدّعي أنه لا يفهم.

بدأت الأنظار تتجه إلى المملكة الثانية، كوبا، وهذه أكبر وأكثر خيرًا، لكن فيها هاتوي.

زحفوا إليها بجنودهم وبنادقهم وضحكاتهم القذرة، لكن هاتوي كان قد جهّز لهم مفاجأة.

فجأة سقط صف كبير من القراصنة إلى باطن الأرض، وتصاعدت صرخاتهم المتألمة تفزع قلوب زملائهم الذين نظروا إلى الأرض فوجدوا أن هناك فخًا منصوبًا بمهارة، عبارة عن أوراق شجر تغطي خندقًا كبيرًا مملوءًا بالأسياخ القاتلة وقع فيه أكثر من مئة قرصان قذر، ولم يمهل هاتوي بقية القراصنة للتفكير، بل إنهم وجدوا سهامًا مشتعلة بالنار تتساقط عليهم من السماء ممزوجة بصرخات شعب التاينو، الصرخات المنتصرة هذه المرة.

واستدار من نجا من القراصنة بسرعة ليعود أدراجه ويبلغ بهذه الكارثة، ولقد حق للتاينو أن يفرحوا بنصرهم الصغير، فإن عقولهم لم تقدر أن تتخيل أن هؤلاء البشر الذين نزلوا أرضهم هم أقذر نوع من البشر خلقه الله، وإن أسلحتهم التي ابتكرتها عقولهم التدميرية لم تقتصر على المدافع المحمولة التي تفجر الأجساد، بل كان معهم مدافع ثقيلة، تلك التي يتم تثبيتها على الأرض وتطلقها فتنزل قذائفها لتدك مدينة كاملة بما فيها ومن فيها.

كانت مجزرة في تلك الليلة، كوارث متفجرة وجدها التاينو تهبط عليهم فلا تعطيهم حتى الوقت للنظر إليها، قصف مستمر لساعات وساعات حتى سمعوا انطفاء الصرخات، كل الأرواح صعدت إلى خالقها ولم يبق أحد حيًا.

ونزل القراصنة يمشون بين الجثث فوجدوا هاتوي حيًّا ينازع الروح تحت أنقاض أحد المنازل، فجاء إليه أحد الرهبان وانحنى عليه وقال له بلغته: «إن عليك أن تغتنم هذا الوقت القصير الذي بقي لك في الحياة، وتؤمن بالمسيح الرب حتى تدخل ملكوت السماوات».

سأله هاتوي بصوت خفيض وفم تملؤه الدماء: «هل هناك مسيحيون في الجنة؟».

فقال له الراهب بشيء من الحماس: «جميعهم هناك بالطبع».

عندها قال له هاتوي دون تردد: «فأنا أفضل دخول الجحيم، أرسلني إلى هناك».

مط الراهب شفتيه ووضع عينيه في الأرض، وأطلق القرصان طلقة واحدة أنهت حياة زعيم كوبا الذي كتب بدمائه على هذه الأرض أنه لم يستسلم حتى عندما دكوه وساووا جسده بالأرض.

إن تمثال هاتوي موجود اليوم في كوبا في مدينة باراكوا في مقاطعة جوانتانامو، نعم هي نفسها التي فيها ذلك المعتقل الذي يذل فيه الأمريكان رؤوس الناس، ولن أعلق على هذه النقطة.

نظرت إليك بينما هؤلاء الرعاع يمشون في أرجاء الخراب ليبحثوا عن أي شخص ما زالت فيه الروح، اسمع يا صديقي لو كانت هناك فرصة لأن نذهب

من هنا فهذه هي، الكل منشغل في البحث عن الذهب في هذه البيوت الخربة ولن ينتبه إلينا أحد، علينا أن نبتعد من هنا حتى نصل إلى منطقة واسعة تصلح أن نصنع الثقب الدودي فيها دون أن ينتبه إلينا أحد، فنحن لا نريد أن يتبعنا هؤلاء الرعاع إلى زمننا، يكفيهم أن يفسدوا الزمن الذي هم فيه، أما زماننا فله مفسدون من نوع آخر.

***

مرحبًا بك في الدي جلوكا مرة أخرى، ليس السفر عبر الزمن من الرفاهية كما ترى، يمكن للشخص أن يموت أو يتم حبسه في زمن معين، لذلك لن تجد عليه إقبال في عصري، في البداية كانوا يظنون بعد أن اكتشفوه أنه بإمكانهم تغيير التاريخ، لكن لم يحدث أي تغيير على الإطلاق، لأن هذا الكون محفوظ ومسير ومكتوبة أحداثه كلها قبل أن تخلق السماوات والأرض، ولا يملك أحد أن يغير فيه شيئًا إلا الله الذي خلقه، هو الذي يكتب في اللوح المحفوظ ويمحو إذا شاء.

كل الذي رأيناه معًا قبل قليل كاد يختفي في غياهب التاريخ لولا هذا الرجل، بارتولومي دي لاس كازاس، الأسقف المسيحي النبيل الذي شارك في الحملة الإسبانية لإبادة شعب الهنود الحمر كما يسميهم الرعاع، كان بارتولومي يمتلك مزرعة فيها عبيد من شعب التاينو المسكين، أعطاها له ملك إسبانيا وأعطاه سلطة مطلقة بإطلاق حكم الحياة والموت على أي شخص من التاينو، لكن بارتولومي تعرّى من كل شيء ولم يبق منه إلا الإنسان، لم يعد إسبانيًا ولا مسيحيًا، بل إنسانًا فقط، فأرسل رسالة إلى ملك إسبانيا يستعطفه فيها أن يوقف عذاب هؤلاء البشر، ونقل له جرائم عسكره ورهبانه التي تحدث هناك باسم الدين المسيحي.

لكن طبعًا ملك إسبانيا كان يذبح ويفتك بالمسلمين فلم يكن في مزاج رائق ليسمع بارتولومي، بل أنه أعطى أوامره لتحريك حملة أخرى أشد قسوةً وأكثر إجرامًا.

لكن بارتولومي لم ييأس بل سافر من أمريكا إلى ملك إسبانيا وحاول إقناعه بوضع القوانين الإصلاحية ودعاه لإلغاء عبودية شعب التاينو تمامًا فأومأ له الملك برأسه هكذا ولم ينفذ شيئًا مما قال.

بدأ بارتولومي ينشر كلامه واعتراضاته وطالب بتدخل القضاء هناك فضحك منه القضاة، وتعرض للسباب والإهانات من حكومة إسبانيا ومن الحكومات المجاورة واعتبروه عدوًا لإسبانيا.

فلم يعد أمام بارتولومي إلا تأليف كتاب «وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية»، وانتشر الكتاب في العالم كله، وبسبب هذا الانتشار أصدر قانون جديد يمنع استعباد الهنود الحمر ويدعو لحسن معاملتهم، المشكلة أن هذه القوانين جاءت متأخرًا جدًا، بعد أن أبيد شعب التاينو بأكمله ولم يبقَ منه أحد إلا القليل.

أصعب جملة قيلت في كتاب بارتولومي هي أن الإسبان أبادوا «مليار» إنسان، وليس هذا شيء يصعب تخيله فقارة أمريكا الشمالية والجنوبية كانتا مملوءتان بالبشر من شعوب التاينو الذين يعيشون فيما يزيد على اثنتي عشرة مملكة، والأمريكتان الشمالية والجنوبية أكبر من أوروبا بخمس مرات تقريبًا، وأوروبا يعيش فيها اليوم مليار إنسان.

بعد إبادة التاينو بدأ تقسيم الكعكة، الأوروبيون البيض أصحاب الحضارة والرقي والتقدم بدأوا يقسمونها، والكعكة كانت كبيرة، أمريكا الشمالية والجنوبية، قارتان كل واحدة منهما مليئة بالخير والأنهار والهواء العليل، ولم يعد عليها هنود حمر بل صاروا أسفلها تحت ترابها مدفونين، لكن صرخاتهم وصوتهم لم يدفن، فخرجت المعاهدات والاتفاقيات لتقسيم القارة.

إسبانيا تأخذ كذا، إنجلترا تأخذ كذا، فرنسا، هولندا، وهكذا...

وفتحت الملكيات الأوروبية الغاشمة فروعًا جديدة في الأمريكتين، وأصبح اسمها مستعمرات، ثم بحيلة خبيثة ربما تشاهدها عند أحد رفاقي الآخرين حدثت الثورة الأمريكية، وتم توحيد هذه المستعمرات كلها وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية.

ثم بدأت هجرة اليهود إلى أمريكا، وبدأوا ينشئون شركاتهم ومصانعهم ومصارفهم وبنوكهم شيئًا فشيئًا حتى أصبحوا أعضاء في الحكومة الأمريكية في أعلى درجاتها.

يهود البلاط الملكي الذين كانوا مستشارين في الدول الأوروبي أصبحوا الآن على رأس الحكومة الأمريكية يسوقونها كما تساق البهيمة.

وأسسوا هناك أكبر البنوك اليهودية JP Morgan وGoldman Sachs وChase التابع لروكيفيلر. واجتمعوا في جزيرة جيكل آيلاند Jekyl Island، ومعهم آل روتشيلد اليهود البنكيون في أوروبا، وقرروا يومها إنشاء البنك المركزي الأمريكي ليكون مثالًا لبنك إنجلترا المركزي ويغير وجه الاقتصاد في العالم أجمع بعد أن أصبح الدولار هو الوحيد المربوط بالذهب.

ولأنه كان هناك كثير من رجال السياسة والأعمال يرفضون إنشاء هذا البنك فقد جمعهم مورجان على سفينة تايتانيك الشهيرة التي بناها بأمواله، ثم أغرقها عمدًا حتى يتخلص منهم تمامًا ويتسنى له إنشاء البنك الذي سيجعل أمريكا في قبضة البنكيين اليهود.

وتسلل اليهود على حكومة أمريكا من جميع جوانبها، فتجدهم وزراء، أعضاء كونجرس، مديرين خزينة، مستشارين للرئيس الأمريكي، قضاة، أصحاب شركات إعلام وصحف وسينما، تغلغلوا في الحكومة الأمريكية حتى أتخموها، ولم يعد هناك قرار أمريكي أيا كان اتجاهه إلا وتجد يهوديًا وراءه، حتى في أصغر الأمور السياسية والاقتصادية، ركبوا أمريكا كما تركب البغلة وساقوها إلى حيثما أرادوا.

ونشأ في أمريكا لوبي صهيوني كامل لن تصدق مدى نفوذه وتأثيره حتى تقرأ عنه، وهو الذي أخرج لنا لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية آيباك، وهي تعتبر أكبر قبضة خانقة على رقبة الكونجرس الأمريكي ورؤساء أمريكا.

ويكفيك أن تسمع خطاب أوباما الشهير في آيباك حينما قال: «أنا أعلم أنه لما أزور آيباك أنني بين الأصدقاء الذين يؤكدون لي أن الرابط بين الولايات المتحدة وإسرائيل غير قابل للكسر اليوم، غير قابل للكسر غدًا، غير قابل

للكسر إلى الأبد، نحن نعلم أن إنشاء دولة إسرائيل كان عدلًا وضروريًا، وقد تم خلال قرن من الكفاح وعقود من العمل الجدي، بعد ستين عامًا نعلم بأننا لا يمكننا التسامح، وأنا كرئيس لن أتهاون عندما يتعلق الأمر بأمن إسرائيل، فهؤلاء الذين يهددون إسرائيل يهددوننا، أنا سأضمن بهذا الدعم الذي تقدمه أمريكا أن إسرائيل يمكنها الدفاع عن نفسها ضد أي تهديد».

وقد بلغت الأموال التي ترسلها أمريكا إلى إسرائيل لتسليحها أكثر من 90 مليار دولارٍ وهو رقم شديد الضخامة لو تفكرت فيه.

والرئيس الأمريكي في عصرك جو بايدن قال: «كنت أقول عندما كنت صغيرًا، فقط إذا كنت يهوديًا فسوف أكون صهيونيًا، لكن لما كبرت علمت أنه ليس عليك أن تكون يهوديًا حتى تكون صهيونيًا، أنا صهيوني».

لقد تسلل اللوبي الصهيوني أيضًا إلى الكونجرس حتى إن عضوة الكونجرس السابقة Cynthia McKinney قالت إن 99% من الكونجرس يعملون في الواقع لصالح إسرائيل والصهيونية، ولقد طُردت بسبب دعمها ذات مرة للقضية الفلسطينية.

عضو كونجرس آخر هو Jim Trafficant أُتهم بتهم فساد وسجنه بعد معارضته لإسرائيل، وبعد سبع سنوات في السجن خرج وقال في مقابلة: «إسرائيل لديها قوة تحكم فوق الحكومة الأمريكية، فوق البيت الأبيض، يكون لديهم دائمًا حروب يريدون لنا أن نخوضها ونحن غير مهتمين، أمتنا تفلس بسبب هذه الحروب، وإذا فتحت فمك يتم استهدافك مباشرة، إذا لم ينجحوا في إسكاتك بتصويت الكونجرس سيسجنونك، نجحوا في دفع أمريكا للهجوم على العراق، نحن في الحقيقة ننفذ السياسة الإسرائيلية، والكل خائف من أن يقول هذه الحقيقة».

وحتى وكالات الإعلام الأمريكية وشركات الميديا والأفلام الأمريكية كلها يملكها يهود، أنت تسمع عن هذا كثيرًا، وربما لا تصدق لكن هذه أسماؤهم إذا أردتَ التيقن:

William S. Paley اليهودي أنشأ CBS.

David Sarnoff اليهودي عمل NBC.

Leonard Goldenson اليهودي عمل ABC.

Murray Rothstein اليهودي يملك MTV وParamount وDreamworks وغيرها كثير.

Edgar Bronfman اليهودي يملك Universal Studios وCNN و AOL وTime Magazine.

Donald Graham اليهودي يملك Washington Post وNewsweek

Mortimer Zuckerman اليهودي يملك New York Daily وUS News

Michel Eisner اليهودي يملك ديزني.

Rupert Murdoch اليهودي يملك FOX و 20th Century Fox وWall Street Journal وNew York Post وLondon Times.

ويمكنك أن تجد آثارهم الصهيونية في أشهر الأفلام، وليس أوضح من فيلم ماتريكس الشهير الذي كان يسمي مدينة الأحرار Zion أو صهيون وهي المدينة الوحيدة التي يعيش فيها الأحرار الذين فصلوا أنفسهم عن الماتريكس.

وقد هاجم الممثل الشهير مارلون براندو هوليوود بسبب سيطرة اليهود عليها، حيث قال في مقابلة في CNN مع لاري كينج «أنا غاضب فعلًا من بعض اليهود، غاضب جدًّا منهم، هوليوود تدار من طرف اليهود ويملكها اليهود».

وهاجمهم أيضًا المغني العالمي مايكل جاكسون حين قال في أغنيته الشهيرة جملة «Jew me Sue me Everybdy Do me» وتعني قاضني أو عاملني بحقارة مثل اليهود، وقد ثار اليهود عليه ثم سلطوا عليه الساحر اليهودي يوري جيلر الذي تقرب منه وعرفه على كثير من اليهود، ثم تآمر الساحر مع اليهود ليسلطوا عليه العائلة التي اتهمته بالتحرش بطفلهم، ولما برأ القضاء مايكل من التهمة سلط اليهود عليه الطبيب الذي قتله بجرعة زائدة من البروبوفول.

يقول Joel Stein الصحفي اليهودي في L.A. Times: «اليهود يديرون هوليوود بشكل كامل، بفخر أقولها وأنا يهودي، أنا أريد أمريكا أن تعرف إنجازنا، نعم نحن ندير هوليوود، لا يعنيني أن اعترضوا على إدارتنا للصحف والميديا أو حتى الحكومة، المهم أن نبقى نديرها».

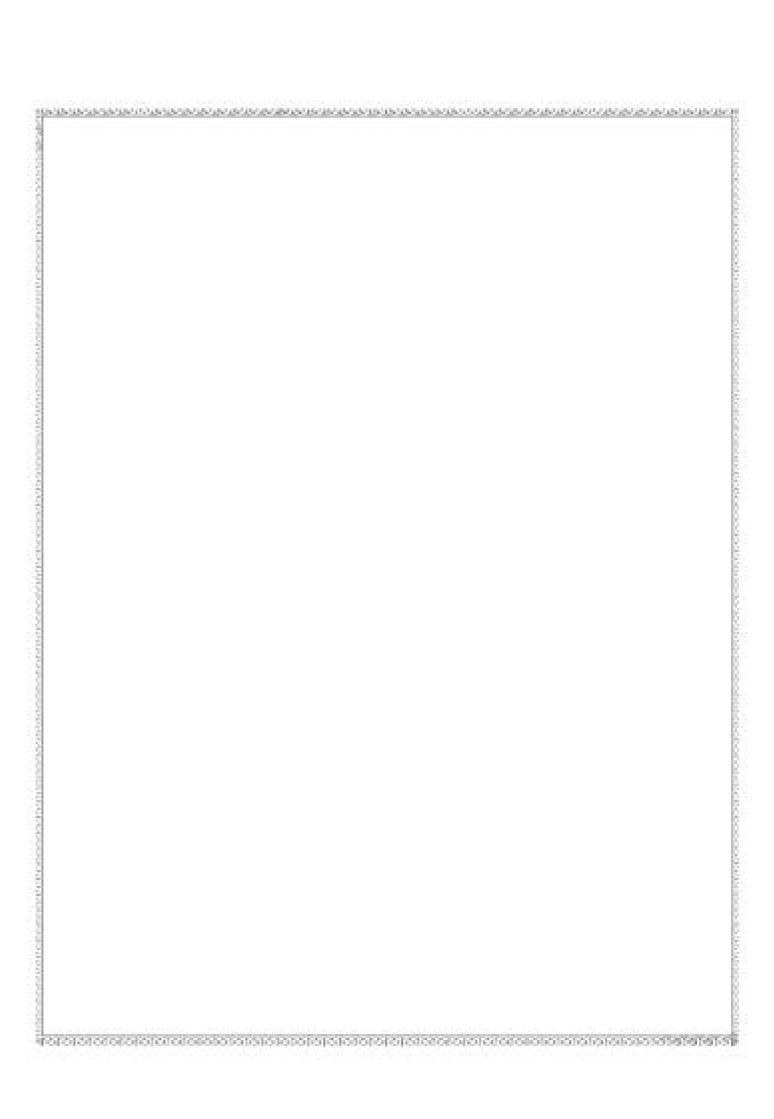
هل بعد كل هذا تظن أن أمريكا لديها حرية التعبير؟ لماذا لا يوجد هناك أحد يستطيع أن ينتقد اليهود على شاشة التلفزيون؟ لأنهم سيفقدون وظائفهم مثل هيلين توماس، ريك سانشيز، أوكتافيا نصر، والكثير الكثير غيرهم.

فهم أسياد الضغط الدولي أو كما يسمى Political Pressure وهو أقوى أداة عالمية حاليًا، ويعني تنفيذ ما تريد عبر الضغط على السياسيين والإعلاميين باستخدام الميديا أو الاقتصاد أو حتى بالتهديد بالقتل أو الفضح.

وبسبب هذا الضغط الدولي أنت ستسجن في 18 دولة من دول العالم إذا تفوهت بكلمة ضد الهولوكوست وكثير من المفكرين والمؤلفين والناشرين قضوا سنوات وراء القضبان في أوروبا بسبب إنكار الهولوكوست.

ولا يستطيع أي مرشح سياسي أو سياسيٍ عادي أن ينتخب دون زيارة ياد فاشيم النصب التذكاري للمحرقة في إسرائيل، أو حتى يأمل أن ينتخب.

والشعب الأمريكي أكثرهم في غفلة، وقد غُسلت أدمغتهم حتى لم يعد فيها شيء صالح، ويبدو أن كلمة الحلم الأمريكي تعني أنه لا بُدَّ أن تظل نائمًا.



الفصل الثامن

الشيوعية

ظلمة كأنها ظلمة قبر، لا حاجة بك أن تراني، المهم أن تعلم أنني جالس أمامك، يمكنك أن تتوتر كما يحلو لك، فما نحن مقبلون عليه ربما سيوقف شعر جسدك كما أوقف شعور كثير من البشر في زماني، أنا الرفيق «ش»، والشين تعني شيطان، أنا لست شيطانًا لكني سأريك الشيطان.

عندما قالت لك الرفيقة «أ» أن تقنية تكثيف الهولوجرام كانت أول شرارة لكشف فيزياء الجن فهي لم تكن تمزح، ذلك الهولوجرام الشفاف الذي يمكن أن نجعله أكثر كثافة جعلنا نتأمل، ماذا لو أن هناك كائنات حية مخلوقة من هولوجرام شفاف غير مرئي ولديها القدرة على تكثيف نفسها إذا أرادت، فكرة مجنونة غير عقلانية، لكن العلم أحيانًا يحب هذه الأفكار المجنونة لأنها ربما تقود إلى اكتشافات عظيمة أو إلى فشل محبط.

المشكلة أن الهولوجرام الشفاف لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ولا بأي كاميرا إلا إذا تم تفعيل خاصية التجسد، عندها تراه أمامك، فلو كانت هناك كائنات هولوجرامية شفافة فلن يمكن أن نراها إلا إذا قررت هي أن تتجسد فنراها بعيننا المجردة، حاولنا كثيرًا وفشلنا ثم غض كثير من علمائنا أبصارهم عن الفكرة.

ولكن.

بدأت تصدر شكاوى مرعبة من كثير من الناس الذين يستخدمون الهولوجرام الموجود في جوالاتهم، قالوا إنهم عند تشغيل الهولوجرام يلاحظون أنه أحيانًا يومض كأن هناك ظلًا مرَّ من خلاله، في البداية ظنوا أن هذا عيبًا في صناعة الجوال أو الهولوجرام نفسه لكن الأمر بدأ يتحول إلى ظاهرة مرعبة حينما رأى كثير من الناس ظلالًا أكثر وضوحًا مثل يد شبه إنسانية تمر من الهولوجرام، أو رأس شخص له شعر طويل، كثير من مقاطع الفيديو ظهرت من جميع أنحاء العالم عن مشاهدات مثل هذه ملأت قلوب الناس بالرعب.

أشعلت هذه المقاطع في قلوب العلماء شيئًا مختلفًا تمامًا غير الرعب، أشعلت الشرارة التي تفتحت بها أعيننا على عالم آخر كان بالنسبة إلى العلماء الطبيعيين أسطورة، فجأة وجدنا الحل، لو كانت هناك هولوجرامات شفافة لا تريد التجسد لإظهار نفسها، فإن الحل الوحيد لإظهارها هو.

الضباب الهولوجرامي.

نفس فكرة أشعة الليزر التي تستخدم في زمانك في الحفلات الغنائية الكبرى على المسارح، عندما تظهر عدة حزمات من أشعة الليزر في سماء المسرح وراءها ما يشبه الضباب البنفسجي، أشعة الليزر هي في حقيقتها غير مرئية، وعندما يطلقون الضباب البنفسجي في الهواء تبدأ في الظهور وتراها العين.

الاكتشافات العلمية تكون عادة مفرحة ومثيرة، إلا هذا الاكتشاف، كان مرعبًا بحق، خصوصًا عند تجربته.

الرعب كله يجتاحك عندما تمسك في يدك جهازًا لإطلاق الضباب الهولوجرامي، ثم تشغله، هنا يخفق قلبك بعنف لأن ما تراه هو شيء يتجاوز حدود الخيال البشري.

في البداية ستلاحظ كيانات وأجساد تظهر هنا وهناك وتختفي بسرعة كأنها تهرب منك، أو ربما هذه هي طبيعة حركتها، وفجأة ستجد بعض هذه

الكيانات قد أبطأ من نفسه فصار مرئيًا أكثر، وبدأ يمشي ناحيتك، كثير من العلماء لم تقوَ قلوبهم على إكمال التجربة وهربوا من المكان كله.

كانت المرة الأولى في التاريخ التي يقدر فيها الإنسان على ملاحظة الجن وليس رؤيتهم، فما يظهر أمامك هو كيان أحمر متدثر بالضباب ليست له ملامح تفصيلية، لكنه كيان شبه بشري، رأس وعين وشعر ويدين ورجلين، ولو أطلقت هذا الضباب الهولوجرامي في الصحراء مثلًا أو في أرض فارغة ستشهد كيانات أخرى ليست بشرية بل أشبه بالحيوانات أو النباتات، كأنك اكتشفت مملكة كاملة غير مرئية.

إن الذين استطاعوا الصمود من العلماء وأكملوا التجارب هم قليل، لأنك لا تدري ماهية هذه الكيانات بالضبط ولا تعرف قدراتها، وربما قفز أحدهم إليك ليقتلك قبل حتى إن تلاحظ وجوده لأن سرعتهم غير محدودة.

مع تطور التجارب في هذا المجال فكرنا أن نسمع أصواتهم أن كان لهم صوت، وبنفس طريقة رؤية موجات الضوء بالضباب الهولوجرامي أمكننا سماع موجات الصوت غير المسموعة بإطلاق ضباب من نوع آخر يضخم الموجات الصوتية قليلة التردد.

لا بُدَّ من التجربة حتى تفهم، كما قلت لك أنا سأريك الشيطان، وأجعلك تسمعه، فحضر نفسك وثبت قدميك على كرسيك، فإنه بعد بضع ثوانٍ، سيحضر الشيطان.

ضباب هولوجرامي ذو لون بنفسجي غير مريح أطلقته من هذا الجهاز الذي في يدي، فجأة لاحظت كأن هناك كيانًا مرَّ بجوارك ثم لم يعد هناك، دعك منه، فهو ليس الشيطان الذي نطلبه، هذا فقط قرينك، وهو ليس سعيدًا بالفكرة كما يبدو، وسيحيل حياتك إلى جحيم بعد ذلك، لكن ليس هو الشيطان الذي سنحضره.

اصمد بضع ثوانٍ.

ها هو قد حضر.

كيان أحمر يظهر وسط الضباب كأنه جذوة من نار.

اثبت على هذا الكرسي.

أنا لم أحضر لك أي شيطان؛ فأنت تعلم أن عالمنا ليس فيه عشوائيات.

إنما أحضرت لك شيطانًا بعينه، لأنه رأى كل شيء، وشهد على كل شيء.

كيانًا أطلقنا عليه اسم الشيطان الأحمر، ليس بسبب لونه في ضباب الهولوجرام بل بسبب شيء آخر ستعرفه بعد قليل.

لقد أتى هذا الشيطان اليوم ليحكي، وأنت الذي ستسمع.

لن أخبرك عن الشيء الذي سيحكيه، لكن تأكد أن ما ستسمعه ربما يكون أكثر إرعابًا من وجود هذا الشيطان هنا أمامك يحدثك هكذا بلا واسطة.

***

جبال من ثلج في أقصى شمال روسيا، نهر يجري بسرعة غاضبة، هناك طفلان في النهر ينجرفان بأقصى قوة ولا تدري إن كانا على قيد الحياة أم لا فهما يصطدمان في كل صخرة في التيار تقريبًا، هناك مئات الفلاحين يركضون خلف النهر في فزع، لكن من ذا الذي يقدر أن يلحق بنهر.

توجه النهر بكل قوته ناحية شلال مميت ووقف الفلاحون يأسًا وهم ينظرون إلى الطفلين وهما يسقطان مع سقوط الشلال، ويغيبان عن البصر والحياة.

نزل الفلاحون بجهد كبير إلى الجزء السفلي من النهر حيث مصب الشلال، ولم يجدوا إلا طفلًا واحدًا ساقطًا في أسفل الشلال ورأسه منفجرٌ بالدماء فقد وقع على صخرة في المصب، أمّا الثاني فلم يظهر في أي مكان في النهر، لكنه فجأة جاء من ورائهم.

ظهر ذلك الطفل والمياه تتساقط من رأسه وهو مستند إلى شجرة وعيناه متسعتان حتى آخرهما ووجهه يرتجف، كان وجوده في هذا المكان مستحيلًا، فلا أحد يسقط من هذا الارتفاع ويبقى حيًا وواقفًا هكذا.

هرعوا إلى الطفل يطمئنون عليه وكان فيهم والده الذي لم يصدق أن ولده قد نجا، وكان يبكي في حرقة.

لم يكن الطفل يتكلم، فقط هذه النظرة على وجهه استمرت كثيرًا جدًّا، كان ينظر إلى نقطة معينة، وكلما نظروا إلى حيث ينظر لا يجدوا شيئًا، فهو وحده الذي كان يراه، كيان أحمر يقف بجوار النهر ينظر إليه في ثبات.

مرت الأيام وبدأ الطفل يتكلم لكنه كان قليل الكلام جدًّا، وبدأ ينعزل لكن عينه لم تكن طبيعية، ونظرته كذلك، ولو أنه نظر إليك مباشرة في عينيك سيرتجف قلبك رعبًا دون سبب واضح.

في مراهقته ظهرت عليه إشاعات كثيرة في البلدة، وكلها إشاعات ما ورائية، عن امتلاكه لقوى غير طبيعية، وأنه يعمل بالسحر، وكانت كل تلك الشائعات حقيقية، فهذا الفتى ذو العين المخيفة والشعر الطويل المنسدل على وجهه هو راسبوتين، الذي سيصير بعد حين من الزمن، أبشع رجال عرفه التاريخ.

***

معطف أسود، لحية سوداء، شعر أسود، كان يمسك بورقة كبيرة تحوي أفكاره التي ستصبغ العالم بلون الدم بعد قليل، كان ينظر إلى الورقة ووراءه رجل يرتدي رداءً أسودَ أيضًا لكن له لحية بنية وشعر بني، المكان مملوء بنخبة المجتمع من مفكرين وأدباء يجلسون على الطاولات يحتسون القهوة والخمر، هذا المكان شهير في باريس، مقهى لاريجونس.

كان ذو اللحية السوداء هو كارل ماركس، وذو اللحية البنية هو فريدريك إنجلز، وهذه الورقة التي يطالعانها في اهتمام هي أفكار ماركس الشيوعية الخام قبل أن تنتشر.

قال له إنجلز: «أستطيع أن أدفع في هذا الكلام أموالي وحياتي كلها، أليس هذا يشبه أفكار الأستاذ موسى عن أورشليم؟».

قال ماركس: «نعم، لكن الأستاذ موسى قالها عن اليهود، أن تقام لهم دولة (اشتراكية) في فلسطين توزَّع فيها أراضٍ زراعية عليهم ليكونوا طبقة منتجة بدلًا من أن يكونوا فقط تجارًا ومقرضي أموال، بينما أنا أدعو لشيء آخر (الشيوعية)».

قال له إنجلز باهتمام: «هل أرسلت نسخة للأستاذ موسى؟».

قال ماركس: «بالطبع، وسأقابله في المتحف البريطاني في لندن نهاية الشهر لأعرف رأيه، أترافقني إلى هناك؟».

قال إنجلز: «بالطبع، مَن ذا الذي يضيع فرصة لقاء الأستاذ».

كارل ماركس هو يهودي غيَّر دينه ظاهريًا إلى المسيحية ليندمج في المجتمع بلا تعقيدات، وإنجلز هو صديق عمره ورفيقه الذي كتب معه كتاب البيان الشيوعي الذي سيغزو العالم بعد قليل، وهذه المسودة التي في يدهما هي مسودة الكتاب، كل هذا يمكن هضمه لكن الأستاذ موسى الذي يتحدثان عن لقائه هو اليهودي موسى هس. مؤسس الصهيونية في العصر الحديث.

وهناك، في المتحف البريطاني لم يكن موسى هس وحده بل كان يرافقه تلميذه تيودور هرتزل، الناس تعتقد أن الصهيونية الحديثة ابتدعها هرتزل لكنها بدأت في الحقيقة من عند موسى هس، فموسى هو الذي كتب كتابًا اسمه «روما أورشليم» وفيه فكرة صهيونية أولى ستجعل من اليهود قادرين تدريجيًا على أخذ فلسطين، فكرة اشتراكية اسمها المستوطنات الزراعية العسكرية (الكيوبتس)، حيث يتجمع اليهود الساكنون في فلسطين في مزارع اشتراكية لا يملكها أحد فيهم، بل يملكونها جميعًا معًا، يزرعون ويربون الحيوانات، بهذا يكونون قوة منتجة فاعلة في المجتمع.

أربعة رجال شكلوا التاريخ الحديث بهذه اللحى الطويلة التي يملكونها، كلهم اجتمعوا في ذلك المتحف.

موسى هس أستاذهم جميعًا، تيودور هرتزل تلميذه. ماركس. إنجلز. وكلهم يهود ما عدا إنجلز.

ولمّا رأى موسى تلميذه ماركس قال له: «إن بيننا اختلافًا كبيرًا في طريقة التنفيذ يا ماركس، لكن الفكرة واحدة، وإن هذه الفكرة الشيوعية لا بُدَّ أن تنتشر هنا في روسيا على الأقل، فربما تغير أوضاع اليهود إلى الأبد».

ولم تغير هذه الفكرة الشيوعية أوضاع اليهود فقط بل غيرت وجه العالم كله.

***

عباءة طويلة، شعر طويل، لحية طويلة، قيود حديدية في يديه وقدميه، يمشي في الشوارع وراءه أممٌ من الناس، كلهم يريدون نظرة ولمسة من يده النحيلة المليئة بالعروق، لمسة واحدة ربما يحدث لهم بسببها الشفاء الأمم حوله تتكاثر حتى أصبحت حركة مسيره بطيئة، كانوا يسمونه القديس وما هو بقديس، ويسمونه الحاج وما هو بحاج، إنما كان شيطانًا أو أحد أتباع الشيطان، كان اسمه راسبوتين.

لم يكن أحد يقدر أن ينظر إليه مباشرة فله عين تحطم أي روح، وأنت لو أخرجت له صورة الآن لن تقدر أن تنظر إليه أكثر من خمس ثوانٍ، فعيناه ليست انعكاسًا لروح بشرية على الإطلاق. اشتهر أمره في قرى روسيا، فكان المريض منهم يجمع ماله ويلقيه تحت قدمي راسبوتين لعله يشفيه بعد أن فشلت كل السبل، فينظر راسبوتين إلى النقود ثم يتجاهلها ويطأها بقدمه متوجهًا إلى المريض فيمد يده ويضعها على جبهة المريض الذي يغمض عينه في خشوع ثم يفتحها وقد ذهب عنه المرض.

لو كان لدجالي الأرض زعيم تعلموا منه فهو هذا. كان يتنبأ للناس بأحداث فتحدث لهم بعدها كما قالها، إذا رأيته والناس من حوله ستتذكر نوستراداموس لكن هذا كان يختلف، كانت له عين الشيطان.

كانوا يعطونه هدايا كثيرة فيوزعها كلها على الفقراء في التو واللحظة، ولا ينصرفوا من عنده إلا وقد أخذ كل واحد حاجته، ولو تتبعت هذا الدجال لرأيته يدخل إلى دير من حجارة سوداء، وعندما يأتي الليل ترى رجالًا ونساءً يأتون من كل مكان يرتدون سترة من كتان لا شيء تحتها فيدخلون إلى الدير، لم يكن ديرًا مسيحيًا ولا يهوديًا، بل كان ديرَ خالستي، وهي ديانة جديدة لا تطلب منك عمل الأعمال الصالحة بل تطلب منك أن تعمل السيئات، لأن الذنب سيجعلك تندم، وإذا ندمت ستستغفر، فتنال غفران الله وعفوه.

التطهر بالخطيئة، هكذا كان دين راسبوتين، ولو دخلت ذلك الدير ستجده واقفًا وهم ينتظمون حوله في دوائر يطوفون حوله كأنه شيء مقدس، ويتلون تلاوات ليست من أي كتاب مقدس معروف، يتلونها ويتنغمون بها ويميلون رؤوسهم يمنة ويسرة ثم يبدأ هو يدور في مكانه.

يمدون أياديهم إليه وكلهم يريدون أن يحصلوا على الفتح، فينادي فيهم راسبوتين، طهروا أرواحكم بالخطيئة، فيخلعون تلك السترات البيضاء، ويكملون دورانهم حوله وهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، ثم يطلقون العنان لشهوتهم ويقعون على بعضهم بعضًا، فيقع الرجل على المرأة والرجل على الرجل والمرأة على المرأة، ويبقى راسبوتين في المنتصف ينظر بتلك العين إلى الأعلى في تلذذ، لو كان الشيطان بشرًا فهذا هو.

***

فجأة تسربت بروتوكولات حكماء صهيون.

وهي تفريغ لعدة مؤتمرات قام بها تيودور هرتزل مع اليهود الصهاينة فيها الطريقة الكاملة التي يريد أن يستخدمها اليهود للسيطرة على الدول التي يعيشون فيها، وهي طريقة قذرة جدًا تبدأ بإشعال ثورة في الدولة، وتمويل هذه الثورة بالذهب اليهودي، ثم ربط الدولة الجديدة بهذه الديون لتكون أسيرة تحت قدم اليهود يفعلون بها ما شاؤوا.

ورغم أنه مكتوب في البروتوكولات التي تسربت أن الهدف القادم لليهود هو عمل ثورة كبيرة في روسيا وإسقاط القيصر فإن أحدًا لم يهتم كثيرًا واعتبروا الموضوع مجرد خيال، وبعد سنة واحدة من نشر البروتوكولات، استيقظت روسيا على كارثة.

ثورة شيوعية..

في ذلك الزمان أصبح اليهود محترفين في عمل الثورات بعد أن أقاموا الثورة الإنجليزية ثم الثورة الفرنسية، والآن دور روسيا، ولقد لعبوها هذه المرة بمهارة منقطعة النظير.

الشيوعية، تلك البذرة التي زرعها ماركس وإنجلز سقاها اليهود بأموالهم حتى أصبحت شجرة واسعة الفروع، كان أكبر المنضمين لها يهودًا، وكل الذين أكلوا من ثمارها يهود.

في البداية أنشأ اليهود في أوروبا حزبًا اشتراكيًا يهوديًا اسمه «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولندا وروسيا»، وكان أول عمل لهم هو إصدار مجلة في أوكرانيا اسمها «رابوشايا» **Rabochaya Gazeta** ومعناها قضية العمال، وهي تحرض العمال في روسيا على الثورة، وأن ينضموا للشيوعية التي سترحمهم من ظلم القيصرية الروسية المتعالية التي لا تنظر إليهم إلا كحشرات تخدمهم، وتصور لهم الشيوعية أنها الحل السحري حيث يحكم العمال الدولة، ولا يكون هناك فرق بين غني وفقير، فالكل يتشاركون في كل شيء.

وفي سويسرا ظهرت مجلة إسكرا اليهودية، أصدرها اليهودي يوليوس مارتوف وتشارك معه شيطانان روسيان؛ واحد اسمه لينين والآخر يدعى ستالين، وكانت تدعو إلى المبادئ الشيوعية نفسها.

لماذا نقول عنهما شيطانين؟ ستعرف بعد قليل.

كانت المجلتان تدخلان إلى روسيا في السر، وتوزعان بين العمال في كل مكان، وتسممان العقول بالشيوعية وتبثان كراهية الملك، حتى أصبح الإنسان العادي لا يتصور القياصرة والنبلاء الروس إلا وحوشًا ملتحين يستعبدون الفلاحين ويغتصبون نساءهم الشابات، ويخترقون أجساد الأطفال برماحهم في أثناء نزهاتهم على ظهور الجياد.

تحركت مشاعر العمال بالغضب المكبوت، فدعتهم المجلتان للإضراب العام، واستجاب العمال الحمقى وتوقفوا عن العمل.

شلل تام أصاب الدولة، لكن الأب جابون قرر أن يتدخل وهو راهب مسيحي شهير ومحبوب جدًا بين العمال، فخرج في مسيرة احتجاجية سلمية ضخمة جدًا، وخرج معه آلاف العمال بنسائهم وأطفالهم يحملون لافتات تطالب بالعدل، وفي الوقت نفسه تمجد القيصر ولا تعارضه، كانت مسيرة منضبطة جدًا وسلمية، توجه الأب جابون بكل هذه المسيرة الحاشدة ووقفوا عند أبواب القصر الملكي.

لكن كما قلت، اليهود أساتذة في تنظيم الثورات، فهذه المظاهرة التي خرجت سلمية لم يبق لها سوى خطوة واحدة وتتحول إلى ثورة.

فجأة انهالت زخَّات الرصاص من البنادق والرشاشات ناحية العمال فحصدت منهم جمعًا غفيرًا تساقطوا على الأرض واختلطت دماؤهم بدماء أطفالهم، وتحولت الساحة أمام القصر إلى فوضى عارمة عرفت في التاريخ بيوم الأحد الدامي.

من الذي أطلق النار؟

يهود متخفيون في زي عسكري روسي برزوا من هنا وهناك وأطلقوا على العمال ثم اختفوا، أشعلوا النار وذابوا كما يذوب الملح في الماء، وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت الثورة الروسية.

بسرعة الصاروخ تحول «الاتحاد العام للعمال اليهود الاشتراكي» إلى «الحزب الاشتراكي الثوري» في روسيا، وهو الذي حكم روسيا في النهاية بالمناسبة.

بدأ العمال في روسيا ينضمون إلى هذا الحزب وكان يرأسه رجلان من أخطر رجالات اليهود، «جيرشوني» Grigory Gershuni و«يايڤنو ازيف» Yevno Azef، وقد جعلا الحزب عبارة عن عصابة اغتيالات وسرقة.

بدأوا باغتيال أشخاص معينين في الحكومة بوغوليبوف، وزير التربية الروسي الذي كان يضع قيودًا على تعليم اليهود في المدارس والجامعات، فلا يقبل منهم إلا عددًا معينًا قليلًا جدًّا.

ثم وزير الداخلية سيباغين الذي منع اليهود من السكن خارج مجمعاتهم الخاصة.

ونزل الشيطانان لينين وستالين إلى الساحة وبدآ في سرقة البنوك، لم تكن سرقات عادية بل دموية جدًّا، تفجيرات متتالية في عربات البنوك ثم حصار بالأسلحة والقنابل، كانوا يقتلون أي شخص يلقيه حظه العاثر أمامهم حتى استولوا على أموال البنوك وهربوا بها.

كان الممول الرئيس لكل هذا هو ثري يهودي يعيش في نيويورك اسمه يعقوب شيف، هكذا يكون الأمر دائمًا، حتى تقوم بثورة في بلد، لا بُدَّ أن تأخذ تمويلًا هائلًا من يهودي ثري، تشتري الأسلحة وذمم الرجال، ويعينك اليهودي بالصحف والإعلام، ثم تسقط الدولة وتصير أنت الحاكم، ثم تسدد ديون اليهود أو تنفذ طلباتهم حتى يتساهلوا معك.

لكن القيصر الروسي تعامل بسرعة واحترافية هو الآخر فعمل إصلاحات سريعة جدًا في أصل نظام الدولة؛ فحولها من ملكية إلى دستورية ملكية مثل النظام الإنجليزي فصار لها مجلس نواب منتخب من الشعب، وعيَّن رجلًا عبقريًا اسمه ستولين أصدر قوانين فورية منحت جميع الحقوق الممكنة للفلاحين والعمال وزيادة على كل ما يريدون، فصرف مبالغ مالية تعطى لجميع العمال في الدولة فورًا، بحيث يمكن للفلاحين شراء الأراضي التي يريدون وحدد ساعات العمل بثماني ساعات فقط لا غير، وافتتح مطاعم تعطي الطعام مجانًا للعاطلين عن العمل والفقراء.

وفي ليلة مظلمة أغتيل «ستولين» أكبر وزير صالح عرفته روسيا في تاريخها، وكان القاتل يهوديًا اسمه موردخاي بورغوف.

ورغم كل هذا نجح القيصر في السيطرة على الوضع، وكبح جماح هذه الثورة تمامًا وهدأ العمال والفلاحين، وتراجعوا وقُبِض على لينين وستالين ونفيهما خارج البلاد.

***

كان الشيطان يصلي وعيناه مغلقتان، ولم يضعف هذا من تأثيره النفسي قيد أنملة، كان رجال الكنيسة ينظرون إليه في شغف، ذلك الحاج الرحَّال الذي يشفي الأمراض حتى عالج طفلًا مصابًا بالشلل وميؤوسا من حالته تمامًا، أهذا الرجل هو المسيح؟

أنهى راسبوتين صلاته وفتح عينيه الحادتين ونظر إليهم، وقال بصوت كأنه فحيح الثعبان العجوز: «بشروا القيصر يا كهنة روسيا، فلن ينقضي هذا

لعام إلا وسيولد له ابن ذكر كان ينتظره طوال حياته ليرث العرش، وسيبعث لفرح في قلوب الناس».

وتلك مشكلة كانت تؤرق القيصر أكثر من كل تلك المصائب الشيوعية لتي نزلت ببلاده، وكذلك تؤرق زوجته ألكساندرا، فلم يكن يولد لهما قطُّ. مهما تزوج الملك من أخريات، وكان يبدو أن السلسلة الإمبراطورية الروسية لطويلة ستنتهي بموت الملك.

لكن بنهاية السنة تحققت نبوءة راسبوتين، كأن معه شياطين يسترقون ه السمع.

ولد للقيصر مولود ذكر، لكنه لم يكن بخير، نزل مصابًا بالهيموفيليا، أخذ لدم يتجمع تحت جلده وينذر بموت قريب لا يتعدى بضعة أيام.

جمع غفير من الأطباء الروس أحاطوا بالطفل بلا فائدة، لا يوجد أمل في شفائه، سيموت خلال أيام، وكانت الملكة تعلم أنه سيموت، فقد كان هناك طفل في العائلة الملكية ولد مصابًا بالمرض نفسه ومات على الفو، فكانت تنظر إلى ابنها فتبكي وتنعي حظها.

اقترحت عليها راهبات القصر أن تجرب رجلًا اسمه راسبوتين يشفي الناس بمجرد اللمس وبلغت شهرته الآفاق، وهو الذي تنبأ منذ عدة أشهر بولادة الوريث.

أشرق وجه ألكساندرا التي كانت تصدق بهذه الأمورالخرافية وأمرت بإحضار راسبوتين على الفور، ولم تمضِ ساعات، حتى حضر الشيطان، دخل بعباءته التي يجرها خلفه وكانت له مهابة بعثت الرعب في كل رجال القصر.

نظر إلى المولود نظرة واحدة بتلك العين التي يملكها ومد يده فوضعها على صدر الطفل الذي يعلو ويهبط في ألم، ثم نظر إلى الملكة وقال: «إن المولود الصغير لن يموت، فقط أبعدوا عنه الأطباء».

وعلى الرغم من استحالة حدوث كلامه طبيًا بتلك الحالة التي وصل إليها الطفل، فإن ألكساندرا ارتاحت لما سمعت هذا، ربما لأنه الصوت الوحيد الذي قال لها كلمة أمل وسط كل هذا.

وفي اليوم التالي، شُفي الولد كأنه لم يصبه شيء.

ولك أن تتخيل ما حدث لراسبوتين بعدها، في يوم واحد أصبح هو مستشار الملك والملكة وراعي شؤون الطفل وطبيب القصر الرسمي.

لكن الذي يدخل الشيطان إلى بيته يجب عليه أن يتحمل ما سيكون.

اقترب راسبوتين من الملكة جدًّا وخلع قلبها من الإعجاب به، وكانت النساء النبيلات ينجذبن له كما ينجذب الدبور للعسل، ويجلسن معه جلسات مطولة وأعينهن مفتونة كأنهن منومات مغناطيسيًّا.

بالطبع كانت له علاقات جنسية فاجرة مع كثيرات منهن وليس معهن فقط، بل مع زوجة الملك التي كانت تتبعه كأنما تراه هو المسيح.

ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى، وانهزم الجيش الروسي أمام الألمان في إحدى جولات الحرب، فأقنع راسبوتين الملكة ألكساندرا أن تجعل زوجها يتولى قيادة الجيش بنفسه ويبتعد عن القصر.

وبالفعل نجحت في إقناع القيصر وابتعد عن القصر، وترك الشيطان ينفرد بالقصر الملكي الروسي.

وأصبح الشيطان راسبوتين من يومها هو المتحكم الفعلي بالبلاد، وقد أصدر قرارات كارثية جدًّا في هذا التوقيت.

بلغ من سوء قراراته أنها أشعلت الثورة الشيوعية الثانية بأعنف مما كانت الأولى.

عزل راسبوتين كثيرًا من الوزراء الصالحين في البلاد، وعطل كثيرًا من القرارات التي يتخذها مجلس النواب الذي يحبه الشعب، وكل هذا باسم الملكة، ومن على سرير الملكة.

واشتعلت البلاد في وجه الجميع.

***

لم يكن هناك أسوأ من عناوين الصحف في تلك الفترة، نصف الجريدة يكون عن فساد العائلة المالكة، والنصف الآخر عن فضائح راسبوتين الدجال

الذي يدير الدولة في غياب القيصر، كان اليهود يعزفون على أوتار الغضب من ناحية ، وراسبوتين يعزف داخل القصر من الناحية الأخرى، ووقف الشيطان الأحمر يستمع إلى اللحن الأخير. لحن النهاية.

كتب راسبوتين إلى الملك رسالة غريبة لكنها أخيرة، كأنه يضع النوتة الأخيرة في هذا اللحن، كتب قائلًا: «إنني ميت لا محالة، لم يعد لي نصيب في هذه الحياة، فإذا وصلك خبر موتي فقد قتلني جماعتك، وإذا قتلوني ستشتعل النيران على الجليد الأبيض، ولن يبق أحد في العائلة الملكية حيًا، لا أنت ولا أولادك أو أقاربك، وستسيل أنهار الدماء الملكية مختلطة بدموع الشعب، فكن قويًا وصل لأجل نفسك، وفكر في عائلتك المصونة».

كثيرون قالوا إن راسبوتين متلبس بشيطان، وآخرون قالوا إنه هو الشيطان ذاته متجسدًا في هيئة إنسان، لكنه لم يكن هذا ولا ذاك، بل كان دجالًا ثوريًا وجاسوسًا يعمل لصالح اليهود، فبرغم كل قراراته الكارثية التي أشعلت الثورة، فإن له قرارات كثيرة أخرجها غصبًا من القصر الملكي لصالح اليهود، فهو الذي ألغى قرار تحديد عدد اليهود الداخلين للمدارس والجامعات، وهو الذي وراء تخفيف كل الأحكام الصادرة على الثوريين اليهود والشيوعيين من زعماء الثورة الذين قبض عليهم في الثورة الأولى، لينين وستالين وكل الرفاق الآخرين، كلهم لم يقتلهم البوليس السري الروسي، بل نفاهم خارج منطقة الثورة كأنه يعطيهم فرصة ثانية.

وكما توقع راسبوتين في رسالته، لم تسكت عليه عائلة القيصر أكثر من هذا، قرروا قتله، لكن وضعه داخل القصر كان يمنع أي أحد من الاقتراب منه فهو مثل الملك بالضبط، فكان يجب استخدام الحيلة.

لم يكن مضى وقت طويل منذ أن تزوجت إيرينا، أجمل امرأة في العائلة الملكية كلها، ولم تكن نظرات راسبوتين لها تخفى على أحد، وفي ذات يوم وجد راسبوتين رسالة من زوجها يقول له أن يحضر لمقابلته عاجلًا لأن إيرينا تريد التحدث معه لسبب غير معلوم.

تحرك راسبوتين على الفور وخرج من القصر ليقابل إيرينا الجميلة، فلا شيء يتلذذ به في هذه الحياة سوى النساء، وفي قصر إيرينا فتح له زوجها الباب وأجلسه على مائدة الطعام الكبيرة، وقدم له الكعك والخمر الروسي الأصيل، وقال له إن إيرينا ستنزل بعد دقائق.

كان راسبوتين يجلس على حافة الفخ، وعلى المائدة أمامه قوالب كعك عامرة بسيانيد البوتاسيوم، أقوى سم عرفه الإنسان، وكأس الخمر مملوءة بسم فاخر من نوع آخر، حتى إذا لم يقتله هذا السم يموت من الثاني.

مد راسبوتين يده إلى الكعك وتناول منه ثم شرب من الكأس، كان الخادم ينظر إليه بطرف عينه، لم يظهر عليه أثر للسم، بل إن الشيطان شعر بالظمأ وطلب المزيد من هذه الخمر اللذيذة.

وفي الطابق الثاني كان زوج إيرينا وثلاثة من أقارب القيصر ينتظرون خبر هلاك الشيطان، فصعد الخادم إليهم وأخبرهم بفزع أن هذا الرجل لا يموت، هذا الرجل شيطان.

ولم يتحمل زوج إيرينا أكثر من هذا فأخرج مسدسه وأخفاه في معطفه ونزل إلى راسبوتين يحييه وينحني له ويقول: «تفضل من هنا سيادة الراهب».

قام راسبوتين ومشى أمام الرجل الذي أخرج مسدسه وأطلق مباشرة على ظهر راسبوتين الذي استدار، ونظر إليه بأكثر نظرة مرعبة رآها إنسان فارتجفت يده على المسدس وأغمض عينيه وأطلق عدة طلقات استقرت كلها في صدر راسبوتين الذي ترنَّح وسقط على الأرض.

نزل المتآمرون ونظروا إلى راسبوتين الساقط على الأرض لا يتحرك، ودماؤه تنزف على السجادة، وقال أحدهم: «اللعنة على هذا الشيطان، لا بُد أن ندفنه سريعًا قبل أن يشعر أحد».

قال الثاني: «هذا الكائن لا يجب أن يدفن بل يحرق».

وبدأوا في عمل ترتيبات نقل الجثة وانحنى أحدهم على راسبوتين الذي فتح عينيه فجأة فهبطت قلوب الرجال إلى أسفل أقدامهم.

كانت عيناه هذه المرة حمراوين تبرزان عروقهما، فهرب الرجال من المكان سريعًا كأن الشيطان يطاردهم، وبالفعل قام الشيطان وأصدر خوارًا غاضبًا ومشى مترنحًا ولحق بهم إلى الحديقة، لم يكونوا يدرون لماذا يهربون، لكن قوة راسبوتين النفسية كانت تفوق قدرة أي بشر عادي على التحمل.

وفجأة سقطت عصا حديدة ثقيلة على رأس راسبوتين، فانفجرت منها الدماء وسقط الشيطان على الأرض، وأخرج خواره الأخير، وفاضت روحه.

كان زوج إيرينا يمسك بالحديدة ويلهث ووجهه مملوء بالعرق وهو ينظر إلى جثة راسبوتين التي همدت تمامًا وانفتحت عينه البشعة علامة على الموت.

***

لم يعد للشيطان الأحمر حاجة بالقصر، فخرج منه طائرًا وقد عزف معزوفته الأخيرة، ولم يبق إلا أن يشاهد تصفيق الجماهير.

نزلت الجماهير إلى شوارع روسيا في ثورة ثانية أعظم من الأولى بعشر مرات، لم تكفهم جميع الإصلاحات التي أمر بها الملك وخرجوا يطالبون بإسقاط كل النبلاء وإحياء الشيوعية العادلة، وإن غسيل الدماغ يفعل أكثر من هذا بالبشر، خاصة وإن حمل توقيع اليهود.

كان الجنود هذه المرة حذرين جدًّا مع المتظاهرين، لا يستعملون سوى كعوب أسلحتهم لإبعاد الجموع عن القصر، لكن أينما تجد مظاهرة بهذا الشكل يجب أن تجد يهوديًّا مسلحًا متخفيًا في زي عسكري وآخر في زي مدني، ويبدأ إطلاق النار فيهيج الناس على بعضهم بعضًا ويقتلون بعضهم بعضًا، هذه خطة يستحيل أن تفشل في قلب نظام أي دولة يريد اليهود أن يقلبوها.

وستعرف أن الأمر كله بتدبير يهودي عندما تلاحظ عناوين الصحف العالمية التي يملكها يهود أو الصحف المحلية التي يديرها يهود، ستجد جميع عناوينهم تشعل القلوب أكثر على تلك الدولة، وإن أردت أن تتأكد أكثر لاحظ وضع اليهود في الدولة الجديدة التي ستقوم، أو لاحظ مصالح اليهود إلى أي اتجاه تحركت مع قيام الدولة الجديدة.

ولم تمضِ أيام إلا وقد سقطت الملكية الروسية المتعالية، ونُقلت عائلة القيصر إلى منزل بعيد عن القصر تحت حراسة مشددة، وأعطى لينين أوامره ليتم إعدامهم جميعًا دفعة واحدة، فتحققت نبوءة راسبوتين ولم يبق أحد منهم حيًا.

وصعدت الشيوعية على رأس روسيا ورفعت وجهها الأحمر أمام العالم، وكان أول ضحاياها هم المغفلون الذين خرجوا إلى الشوارع لينادوا بها، ولم تلبث إلا أن سقطت على رؤوسهم فسحقتهم سحقًا، وكانت حكايتهم في التاريخ درسًا أليمًا مغمورًا في الدماء، ووقف الشيطان الأحمر يشاهد من بعيد بأعين ملؤها الجذل.

بدأ تطبيق الشيوعية على الفلاحين فنزلت شرطة «جيكا» التي أنشأها لينين لتنزع ملكية الأراضي من الفلاحين وتجمع المحصول بالقوة، فأول مبادئ الشيوعية هو إلغاء ملكية الشخص لأي شيء، كل شيء ملك للشعب، وإدارة الشعب في يد الدولة، بعبارة أخرى كل شيء في يد الدولة.

غضب القرويون البسطاء الذين لا يفهمون شيئًا من هذه المبادئ الشيوعية المجرمة، لكن كان عليهم أن يفهموا أن الشيوعية تتعامل مع البشر كأنهم آلات منتجة، فإذا رفضوا الإنتاج أو رفضوا إعطاء إنتاجهم فيمكن إبادتهم من على وجه الأرض لا مشكلة، فالشيوعية لا دين لها إلا المادة. أما الروح والإنسانية فهي للقرويين السذج الذين حشدتهم شركة الجيكا في حظائر الحيوانات وضربتهم بالسياط، ومن كان يرفض إعطاء صك الأرض التي يملكها تُربط يداه وذراعاه ويؤمر بالركض عاريًا في الطريق وإلا يُطلق عليه النار.

وخرج لينين يقول: «أيها الرفاق، هؤلاء الفلاحون يجب سحقهم بلا رحمة، علقوهم بشكل علني، علقوا هؤلاء الأغنياء الخنازير ليراهم الجميع وخذوا كل أملاكهم، حتى يعلم الناس أننا نقتل الطماعين بلا هوادة».

ليس هذا فقط بل إن الفلاحين الذين بقوا صامدين أصدر لينين أوامره بإبادتهم بالأسلحة الكيماوية، وكانت الصحف تدعم هذا وتؤيده وتقول: «لا بدَّ أن تتم تصفية اللصوص بالغاز السام».

ثم قرر ليلنين أن يسلب من الفلاحين البذور أيضًا، فما عادوا قادرين على الإنتاج ونزل القحط في العام التالي حتى مات خمسة ملايين إنسان جوعًا في أكبر مجاعة عرفها العالم وقتها.

ودبر لينين محاولة لاغتيال نفسه، محاولة مزيفة لكن نتائجها هي الأهم، أخذها لينين مبررًا للقيام بأعمال إرهابية جعلت رائحة الدماء تفوح من كل مكان، وخرجت الآلة الإعلامية اليهودية تغني على عقول البشر، فكنت ترى عناوين مثل «نهر من الدم لن يكون كافيًا لتعويض قطرة واحدة من دم لينين».

أُعطي تصريح رسمي للجيكا بإطلاق النار بلا أي تردد على أي معارض للنظام حتى لو كانوا في مجموعات كبيرة، وعُرض هذا التصريح في الصحيفة الرسمية.

أمر لينين بقتل كل المعتقلين في السجون، كلهم بلا استثناء أوقفوا صفًّا وأعدموا رميًا بالرصاص، فالشيوعية لا تسمح بالمعارضين، ولا بالمعارضين المحتملين.

ثم أطلق لينين نظام الجولاج، وهو معسكرات الأشغال الشاقة التي يوضع فيها كل الذين ينادون بالليبرالية أو المعارضين للنظام والعمال الذين فشلوا في تحقيق الهدف السنوي المحدد، وبسبب قسوة هذه المعتقلات كان يموت فيها كثيرون من الجوع والبرد والظروف غير الآدمية.

وأشهر هذه المعتقلات هو معتقل سيبيريا المخيف حيث كان يعذِّب السجناء بوضعهم ببطء في أفران أو بالمياه المغلية، أو بإزالة جلد أيديهم بحرص حتى يصبح الجلد المنزوع مثل القفاز، أو يضعونهم في براميل فيها مسامير، ويطلقون البراميل لتتدحرج على المنحدر، أو بالرجم حتى الموت، أو بالصلب حتى الموت، أو بصب الماء على السجين المقيد في قلب الشتاء حتى يصير تمثالًا من الثلج، أو بالفئران حيث يتم وضعهم في ماسورة مغلقة من أحد الأطراف، والطرف الآخر ملصق في جسد السجين، ويتم تسخين الماسورة من الجهة المغلقة فيهرب الفأر، ولا يجد له طريقًا للهرب إلا بقرض

جسد السجين والهرب من خلاله، وكانوا في كثير من الأحيان يجعلون السجين يحفر قبره بنفسه ثم يضربونه بالنار.

دماء، دماء، دماء، لهذا سميت هذا الكيان بالشيطان الأحمر.

أين كان اليهود من كل هذا؟

90% من الوزراء في حكومة لينين كانوا يهود، و90% من رجال الحكومة.

إن اليهودي لا تراه رئيسًا ولا ملكًا، بل تجده وزيرًا أو مستشارًا، أو في اللوبيات التي بناءً عليها يتخذ الرؤساء والوزراء القرارات.

ولم تكن هذه نهاية المشوار بل فقط بدايته.

***

قيل إنه إذا حكم الشيطان فلن يفعل أفظع مما فعل لينين، فلما ذهب لينين جاء ستالين، وقيلت فيه الكلمة نفسها، كان العالم يظن أن المجاعة التي تسبب فيها لينين هي الأكبر على الإطلاق، لكن ستالين أثبت خطأ هذا حينما تسبَّب عمدًا في كارثة بشرية أودت بحياة 7 ملايين أوكراني دفعة واحدة في مجاعة اسمها الهولودومور وهي كلمة تعني القتل بالتجويع، فبعد أن أخذت الحكومة الروسية كل أراضي الفلاحين في أوكرانيا لم تعطهم من المحصول شيئًا، بل صدَّرته إلى دول أخرى وقطعت عنهم الدعم الغذائي فحدثت الكارثة.

أصبح الناس يأكلون بعضهم هناك بلا أي مبالغة، في كل شارع كنت ترى الأطفال موتى على الأرض وبطونهم منتفخة ورؤوسهم شاحبة، ماتوا من الجوع.

ثم تحول الأطفال إلى طعام، كان الأوكران يأكلون أولادهم ليعيشوا، وعندما سُئلت إحداهن لماذا أكلت طفلها قالت إن الأطفال سيموتون من الجوع على أي حال.

اللحم البشري كان يباع في السوبر ماركت بشكل غير علني لكنه معروف، والناس تشعر بالرضا إذا حصلت عليه، لأنه لا توجد أي طريقة أخرى للنجاة.

لم يكن هناك حل آخر، فالذين يحاولون الخروج من أوكرانيا يموتون بالرصاص، والذين يعطون الطعام للآخرين يموتون، والذين يرفضون أكل الجثث يموتون، كارثة بشرية بكل المقاييس.

ولم يقتصر شر ستالين على الفلاحين الأوكران بل طال المسلمين، حيث طرد ستالين أربعمئة ألف مسلم من القرم في يوم واحد، وأرسلهم إلى مناطق بعيدة أو إلى معسكرات العمل، حتى مات أكثر من نصفهم في الطريق.

وبعد كل هذا، بدأ ستالين يدفع الفاتورة اليهودية.

فاليهود قوموا له الثورة ومولوها ودعموها بالأسلحة والإعلام ، وحان وقت دفع الفاتورة، فرغم أنهم وصلوا إلى أعلى مناصب في الدولة، لكن ليس هذا هو الهدف عندهم، إنما هي وسيلة فقط.

أما الهدف، فكان فلسطين.

أرسل ستالين مبعوثيه لأوروبا وأمريكا ومعهم رسالة واضحة ومحددة وهي أن ستالين لأول مرة في تاريخ الدولة الروسية يعترف بالوضع الخاص لليهود، وقد قرر منحهم جمهورية مستقلة ذاتيًا، يبنون فيها كيانهم الذاتي وشخصيتهم المستقلة ويحكمون أنفسهم بأنفسهم، أعطاهم دولة اسمها بيروبيجان، ولها علم رسمي ألوانه هي نفس ألوان علم إسرائيل الحالي، ورئيسها هو حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، والذي سيصير بعد سنوات أول رئيس لإسرائيل.

لم يكتفِ ستالين بهذا، بل قرر منح أي يهودي عند وصوله إلى بيروبيجان 600 روبل ليبدأ حياته وهو مبلغ كبير جدًا بمقاييس ذلك الزمان يمكن أن يشتري بيتًا بمشتملاته.

وفي لحظة الإعلان عن هذه الدولة قال حاييم وايزمان: «نبارك هذا المشروع ونحييه وهو ليس بديلًا عن التفكير في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بل سنعتبره تجربة أولى لفكرة الوطن القومي اليهودي».

كانت الفكرة الشيوعية رائعة بالنسبة إلى اليهود، ولذلك قرروا أن يحولوا جميع اليهود في بيروبيجان إلى صهاينة اشتراكيين تمهيدًا لتصدير هذه الاشتراكية الشيوعية إلى فلسطين والدول العربية لتنفيذ الحلم اليهودي الأكبر.

ولأجل هذا الحلم نفَّذوا الفكرة الاشتراكية التي اقترحها موسى هس، فنزل رؤساء اليهود الشيوعيون إلى فلسطين وأنشأوا حزبًا اشتراكيًا اسمه «حزب عمال صهيون الاشتراكي»، كانوا يؤمنون أن دولة إسرائيل لن تنشأ ببساطة بمجرد مناشدة المجتمع الدولي فقط، بل يجب أن تنشأ بسواعد أبنائها من العمال اليهود الساكنين في فلسطين حيث سيعملون لهم مستوطنات زراعية عسكرية (كيوبتس) منظمة يسكنون فيها وينتجون ويعتمدون على أنفسهم.

كان من أعضاء هذا الحزب الاشتراكي دافيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل بعدها، والذي بدأ في سقاية أعضاء الحزب بالأفكار الاشتراكية والشيوعية، وبدأ بتحريضهم على الثورة على أصحاب المزارع الإقطاعيين العرب الأغنياء الذين كان يسميهم الرأسماليين، وأسس الحزب قوات مسلحة خاصة لحراسة معسكرات الكيوبيتس وتأمينها. كان اسمها الهاشومير، وهي التي أصبحت فيما بعد عصابات الهاجانا الإسرائيلية المجرمة.

لعلك تتساءل كيف يفعل اليهود كل هذا وينشؤون هذه المنظمات الشيوعية والميليشيات المسلحة في قلب فلسطين، أين الدولة العثمانية وقتها؟

لم تعد هناك دولة عثمانية، فقد نجح اليهود في إسقاط آخر خليفة محترم فيها وهو السلطان عبد الحميد، وأصبحت تحكمها منظمة تركيا الفتاة وهي منظمة يهودية ماسونية.

ثم أدخلت تركيا الفتاة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وخسرت، ثم تكونت عصبة الأمم (أول إصدار من الأمم المتحدة)، وشرعت دخول بريطانيا لاحتلال فلسطين لأجل تحضيرها لقمة سائغة لليهود.

فكل هذه الحركات الاشتراكية الصهيونية كانت تقوم وفلسطين تحت حكم بريطانيا.

واصل ستالين تسديد الدين اليهودي الذي عليه فأشرف على ترحيل آلاف اليهود من بيروبيجان إلى فلسطين، وليس فقط ترحيلهم بل تسليحهم أيضًا، لكنه انشغل في الحرب العالمية الثانية.

وبعد الحرب العالمية الثانية أُنشئت الأمم المتحدة بديلًا لعصبة الأمم، فطرحت قرار تقسيم فلسطين لتصوت الدول عليه، وكأنها كعكة لا حارس يحميها، عندها دعم الاتحاد السوفيتي طبعًا قرار تقسيم فلسطين.

ثم تدفقت الأسلحة الروسية إلى إسرائيل، ليس هذا فقط بل هاجر علماء فضاء سوفيت إلى إسرائيل، وكانوا من أهم دعائم تقدمها التكنولوجي والعلمي، فما قدَّمته روسيا من كوادر بشرية علمية لإسرائيل يقترب عددهم من المليون نسمة في التسعينيات وحدها، وهم من أبرز أسباب الطفرة التكنولوجية التي حققتها إسرائيل وتجني ثمارها اليوم.

وبهذا خفَّ ذلك الوهج الأحمر في جسد الشيطان الأحمر، ونظر إلى دولة إسرائيل نظرة أخيرة ثم عاد لبلاده، روسيا، لقد أتم المهمة، وعلى أكمل وجه.

***

ربما أنت لا تعلمَ أن كل الأحزاب الشيوعية التي أُسست في البلاد العربية أنشأها يهود، وكل هذه الأحزاب ولاؤها لإسرائيل في النهاية.

فأول حزب شيوعي في المنطقة هو الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي تأسس على يد اليهودي الروسي (روزشتاين).

ثم الحزب الشيوعي لسوريا ولبنان عام، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تايبر) اليهودي الروسي.

أما العراق فدخلتها الشيوعية على يد (يهودا صدِّيق) و(يوسف زلوف) و(موسى مراد كوهين) و(يوسف زلخة)، وكلهم يهود.

كذلك تأسَّس الحزب الشيوعي المصري على يد اليهودي الإيطالي (جوزيف روزنتال)، ثم تشكلت في مصر منظمة شيوعية أخرى اسمها

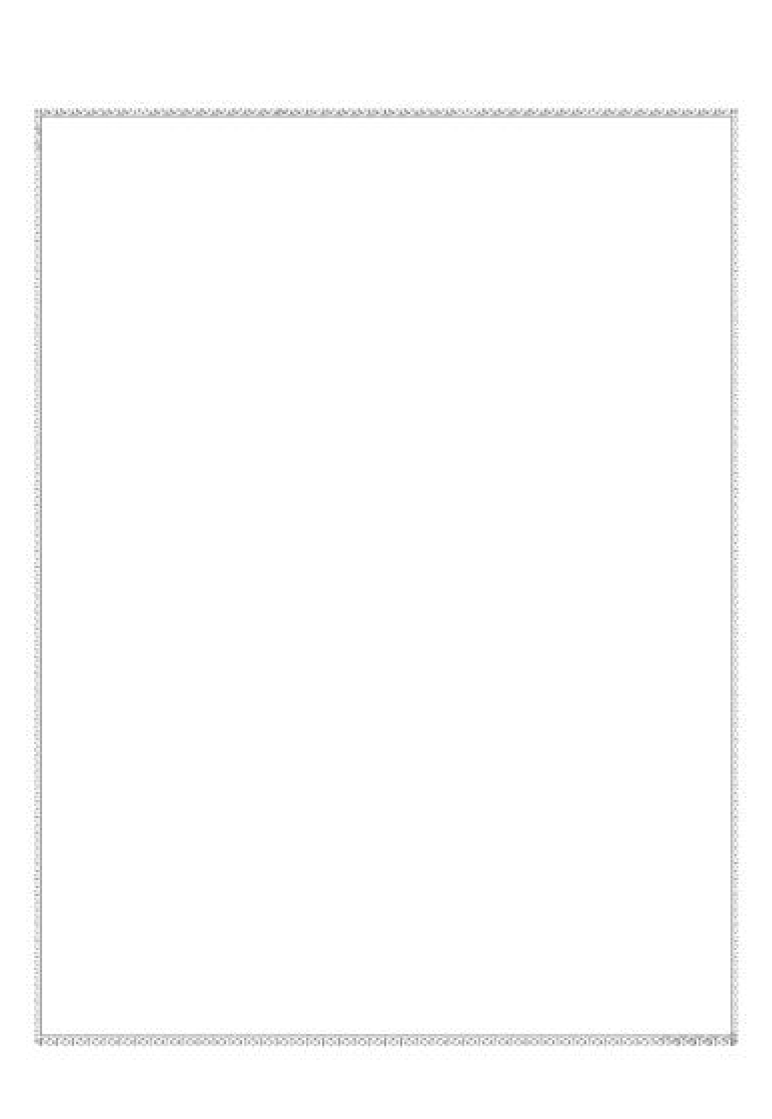
الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، وذلك على يد المليونير اليهودي الإيطالي (هنري كورييل).

ثم أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني في فلسطين وسكرتيرها هو اليهودي (بن فسكي)، وكانت مطالب هذه العصبة هي إجلاء بريطانيا عن البلاد، وإنشاء دولتين واحدة لليهود وواحدة للعرب، لكن سرعان ما تحول أعضاء عصبة التحرر الوطني إلى قادة عصابات مسلحة يذبحون الشعب الفلسطيني، فانسحب منها بعض الشباب المغرر بهم في حين وقف أعضاء الحزب الشيوعيون العرب يدافعون عن اليهود ويقفون بجانبهم.

ما الذي بقي بعد كل هذا؟

بقيت لنا لعبتان.

أتمنى أنك تذكر حروفنا وترتيبها، حتى تعلم اسم ذلك الذي ستسلم له روحك في النهاية.



الفصل التاسع

إيرغوت

أليس الوقت قد اقترب؟

أنت أصبحت معتادًا أن كل واحدٍ منا يكون أغرب من الذي قبله ويريك لعبة أكثر تطورًا، ولعلك تتساءل ما هي لعبتي؟

أعدك أن لعبتي ستطير الجزء الباقي من عقلك، وهذا ليس تشبيهًا بلاغيًا، بل هذه حقيقة، ستخرج من عندي وعقلك لم يعد كما كان.

لعبتي هذه تتميز عن كل ما سبقها أنها أُخترعت في زمنك، بل قبل زمنك، لكنها سرية لا تستخدمها سوى المخابرات الأمريكية، بالطبع نحن طورناها إلى حد بعيد جدًا يفوق أبشع الخيالات، لكني سألعب معك بالإصدارات القديمة المكتشفة في زمانك، هذا يكفي ويزيد.

لست واثقًا أنك ستكون بخير في نهاية اللعبة، لكنك جئت إلى هنا بكامل إرادتك ووقعت عهدًا أن تتحمل.

أنا الرفيق (أ ي)، حرف الألف يتبعه حرف الياء، لن أخبرك إلى ماذا يرمز هذا الآن.

قبل أن نلعب يجب أن تعرف أشياء مهمة أولًا، أعرف أنك متشوق لمعرفة اللعبة لكن لا تتعجل على زوال عقلك، فقط اصبر واستمع لما أريد أن أقوله.

هل تذكر اليهود الذين ركبوا فوق رأس أمريكا وتقلدوا فيها أعلى المناصب الوزارية والاستشارية؟ هؤلاء كانوا أبرع من كل اليهود السابقين في التاريخ، فقد أصبحوا على رأس دولة عظمى لها جيش كبير وأرضها واسعة مليئة بالخيرات، كانت الخطة هي جعل هذه الدولة على رأس العالم كله، حتى يكون اليهود على رأس العالم كله.

لماذا أمريكا وليس روسيا التي ركبوا فوق رأسها هي الأخرى؟ لأن روسيا لها تاريخ وحضارة قديمة وتراث، أما أمريكا فليس لها تاريخ ولا حضارة، هم مجرد مجموعة من الذباحين الهمج حطوا على أرض وأبادوا كل من فيها وسرقوا خيراتها وأقاموا منها دولة، هل تذكر الخزر؟

الفكرة نفسها.

بدأت لعبة اليهود الذين على رأس أمريكا عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء (بريطانيا وفرنسا ومن معهما) ضد ألمانيا ومن معها، لم تدخل أمريكا الحرب بل لعبت دور اليهودي المرابي وتاجر الأسلحة، فأعطى بنك مورجان اليهودي الأمريكي قروضًا مليونية هائلة للحلفاء بريطانيا وفرنسا ليشتروا السلاح والغذاء.

من أين يشترون السلاح؟ من شركة بيت لحم اليهودية الأمريكية.

ومن أين يشترون الغذاء؟ من مزارع أمريكا الواسعة.

كان الحلفاء يأخذون القروض من أمريكا باليمين ويدفعونها لشراء السلاح من أمريكا باليسار، فارتفعت صادرات أمريكا من الأسلحة والغذاء بسرعة الصاروخ وأصبحت أكبر دولة أعطت ديونًا في العالم وأكبر دولة مالكة للذهب، واشترطت على بريطانيا وفرنسا أن يسددوا ديونهم بالدولار وليس بأي عملة أخرى، فركب الدولار فوق جميع عملات العالم من وقتها.

ورغم أن بريطانيا وفرنسا انتصرتا في هذه الحرب فإنهما خرجتا تزحفان اقتصاديًا، أمّا ألمانيا التي خسرت الحرب فقد أقرضتها البنوك الأمريكية اليهودية قروضًا هائلة لتخرج من الأزمة وفرضت عليها ضرائب خيالية لا تصدق.

وعندما كانت أي دولة من الثلاث تتعثر في السداد تشترط عليها أمريكا أن تخفض من إنفاقها الأمني والعسكري، وهكذا ظهر نظام أوروبي جديد خاضع لأمريكا شاء أم أبى.

كان اليهود يمولون مذبحة الحرب العالمية الأولى، ويطيلون زمنها قدر المستطاع بغض النظر عن الضحايا الذين بلغوا 9 ملايين إنسان، وفي آخر سنة للحرب دخلت أمريكا الحرب بعد أن أنهكت قوى الجميع فكان واضحًا أن بريطانيا وفرنسا لن تنتصرا دون تدخلها، وبهذا قدمت أمريكا نفسها للعالم كدولة عظمى لأول مرة.

ثم تكررت اللعبة بحذافيرها في الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين) ضد دول المحور (ألمانيا واليابان وحلفائهما)، نفس المرابي اليهودي تاجر الأسلحة، لكنه هذه المرة أعطى ديونًا (مليارية) للحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بشرط أن تتخلى هذه الدول عن نظامها الاستعماري الذي يحتل الدول المجاورة طيلة الوقت، وكان هذا قاسيًا على بريطانيا وفرنسا خاصة بعد أن نجحت الدول العربية في التحرر من استعمارهما وكانا يفكران في استعمارات أخرى تضمن لهما أموالًا يسددان بها ديونهما على الأقل، وكان هذا يعني بلا شك أن بريطانيا وفرنسا قد سقطتا من قائمة الدول العظمى.

أما اليابان فقد تكفّلت أمريكا بإسقاط قنبلتين نوويتين عليها قتلت أكثر من ربع مليون إنسان في لحظة واحدة فخرجت من المنافسة.

انتهت الحرب العالمية الثانية وأهلكت أكثر من 100 مليون إنسان في أكثر من ثلاثين بلدًا، وخرجت كل الدول زاحفة اقتصاديًّا وإنسانيًّا، إلا أمريكا التي خرجت بمكاسب مليارية.

واجتمعت دول العالم في غابة بريتون وودز في أمريكا لتعلن عليهم أمريكا قرارًا صارمًا، أنه بما أن أمريكا حاليًا تمتلك ثلثي ذهب العالم، فإن العملة الوحيدة التي سيسمح لها أن ترتبط بالذهب هي الدولار، أما بقية عملات العالم فسيلغي ارتباطها بالذهب، وستكون مرتبطة بالدولار، يعني الدولار هو الذي سيركب جميع العملات.

وفي مؤتمر بريتون وودز نفسه صدر القرار بإنشاء صندوق النقد الدولي الذي سيعمل على إقراض دول العالم ووضعها في سلاسل ديون لا تنتهي، وهذا الصندوق تملك فيه أمريكا أكبر الأصوات وهي التي تحدد الشروط على الدول المقترضة ليكونوا عبيدًا لأمريكا.

رفض الاتحاد السوفيتي الموافقة على هذا الهراء، ولم يبقَ في العالم سوى قوتين عظيمتين؛ أمريكا وروسيا، وكلتاهما يركب اليهود على رأس حكومتها.

ودون سابق إنذار سحب اليهود أنفسهم من روسيا التي استخدموها فقط كمطية يركبون فوقها ليصلوا إلى فلسطين، ثم انتهى دور روسيا بالنسبة إليهم فانسحبوا منها بأموالهم ونفوذهم وتركوا الاتحاد السوفيتي ينهار.

فلم يعد في العالم سوى قوة عظمى واحدة. أمريكا، وكان هذا هو المطلوب منذ البداية.

وأُنشِئَت المخابرات الأمريكية، وكان اليهود على رأسها، وهنا تبدأ لعبتنا.

***

حان الوقت لنلعب، سأخبرك بمعنى اسمي.

(أ ي) ترمز إلى كلمة إيرغوت، وهو فطر أسود طفيلي ينمو على نبات الشيلم، افتح يدك.

هذه الأعواد الصغيرة السوداء المثنية التي تشبه أعواد الكبريت المحترقة هي اللعبة التي سنلعبها، افتح يدك الأخرى.

هذه الحبة الدوائية البيضاء البريئة المنظر فيها خلاصة الإيرغوت، تحديدًا مادة LSD، وهي ليست مادة مخدرة ولا تسبب الإدمان لكنها ممنوعة في كل دول العالم بلا استثناء، هل تريد أن تعرف لماذا هي ممنوعة؟

تذكر أنك وافقت على قوانيننا منذ البداية، يمكنك أن ترحل إذا شئت كما اتفقنا، أو تكمل للنهاية...

***

حسنًا، ما دُمتَ هنا ستبتلع هذه الحبة الآن وتبدأ اللعبة، الجرعة التي سأعطيها لك ستفصلك عن العالم، فقط لوقت يكفي أن ترى ما أريد وتسمع ما أريد.

وفي أثناء انفصالك ستسمعني أحيانًا.

ستميز كلامي من بقية الكلام بأنك ستجد حوله أقواس من نوع «».

الآن تناول الحبة وانتظر ما سيحدث.

هي تحتاج إلى ربع ساعة تقريبًا حتى تعمل.

لا أريدك أن تقلق.

ستكون بخير.

الأمر مجرد.

هل أنت معي؟

***

ضوء ساطع في وجهك، أصوات صرخات كأنها تخرج من قعر الجحيم، هناك رائحة في الجو تبدو مثل رائحة مستشفى لم يتم تنظيفها منذ ألف عام، الكثير من النشادر، مع رائحة العرق التي تختلط برائحة دواء يصيب بالغثيان.

هناك قيد يجمع يديك الاثنين ويعلقهما في السقف، الرؤية ما زالت غير واضحة، تصفو قليلًا ثم تعود فتصبح مموهة، هناك أطباء يمشون ويتحدثون بصوت عالٍ.

صوت الصراخ يتعب روحك، تحاول النظر إلى مصدر الصوت، الصرخات أنثوية لكن الرؤية شبه معدومة.

تدريجيًا بدأت ترى الأجواء بشيء من الوضوح، أنت معلق كأنك محتجز، وبجانبك امرأة معلقة وهي تصرخ دون أن يقترب منها أحد لكن حالتها الظاهرة والدماء على ملابسها وشعرها الذي يلتصق بوجهها يُنبئ بأنها تعرضت للكثير.

هناك طبيب عجوز ذو وجه قبيح جدًا يرتدي معطف الأطباء ويقول لمن بجواره شيئًا بالألمانية، ثم تسمع صوتَ كلب.

الكلب يحاول التملص من السلسلة التي يمسكه بها ذلك الرجل، يريد الهجوم على تلك المرأة.

الطبيب يصب على قدمها شيئًا ما فيهيج الكلب وينبح ويدور مكانه ليفلت.

المرأة تصرخ لكنها لا تنظر إلى الكلب، فقط تصرخ.

الرجل يفلت الكلب فينطلق إلى قدم الفتاة وينهش فيها كأنه لم يأكل منذ يومين.

المرأة تصرخ ولا تنظر إلى الكلب.

«أليست هذه علامة النازية على معطف الطبيب؟».

الطبيب يستدير إلى ناحيتك، يبتسم ابتسامة قميئة وأنت ترى المرأة وراءه تصرخ.

وصل الطبيب إليك وأخذ يتأملك في اهتمام لكن يبدو أن صراخ المرأة قد أزعجه فاستدار وصرخ في أحدهم بالألمانية:

«أنه يأمرهم أن يفكوا وثاقها ويعطوها سكينًا».

أبعد الرجال الكلب وفكوا وثاق المرأة الصارخة التي استمر صراخها كأنها لا ترى ما يفعلونه، ثم أعطوها السكين فنظرت له قليلًا، ثم رفعته ونزلت به على صدرها تطعن نفسها وتصرخ وتطعن وتصرخ حتى سقطت على الأرض جثة هامدة.

أعاد الطبيب ابتسامته وهو ينظر إليك:

«انتبه، إنهم سيحقنونك بشيء».

أخذ الطبيب من رفيقه محقنًا كبيرًا، ثم هجم الرجال عليك يكشفون ذراعك ثم غرزوا الحقنة فيك.

قال الطبيب لرفيقه شيئًا لم تفهمه فهرع الرجل ليحضر شيئًا:

«إن أحد أطرافك سيصاب بالشلل».

فجأة فك الرجال وثاقك، أنت تحاول التحرك فلا تقدر أن تمشي خطوة واحدة، هناك شلل كامل في قدميك رغم أن يديك تتحركان، أحضر ذلك الرجل جهازًا كبيرًا يجره على عجلات وتخرج منه أسلاك.

«هؤلاء الرجال سيصعقونك، حاول الهرب».

أقدامك تصلبت كأنها موضوعة في جبس، الرجال يصعقونك والطبيب يضحك ضحكات لزجة حتى إن رذاذ ضحكاته تساقط على وجهك.

كان يضحك لأن قدمك ما زالت مشلولة رغم كل هذا الصعق.

***

مرحبًا بك في عالم الواقع مجددًا، العرق على وجهك يدل على هول ما رأيت.

لقد كنت هناك في داخاو، أول معسكر اعتقال ألماني من معسكرات النازية، الطبيب الذي رأيته هو كورت بلوتنر وهو طبيب أعصاب نازي مختل كما لا بُدَّ أنك لاحظت.

كان النازيون يجرون تجارب نفسية غير إنسانية على المعتقلين في المعسكرات، لأنهم يحتاجون لفئران تجارب من البشر، ومن أجدر من أولئك المعتقلين الذين لا فائدة منهم ليكونوا فئران تجارب.

الهدف من التجارب هو صناعة جندي مبرمج نفسيًا يفعل أشياء مريعة يستحيل أن يفعلها وهو في وعيه، ليس مثل غسيل الدماغ، بل الهدف هو محو أفكاره كلها واستبدالها بأفكار أخرى، كان النازيون في بداية اكتشاف الـ LSD وبقية العقاقير النفسية المهلوسة، ولم يصلوا إلى نتائج كبيرة في هذا الصدد، غاية ما وصلوا إليه هو دفع الشخص إلى قتل نفسه بقسوة بينما لديه فرصة في النجاة.

بعد أن خسرت ألمانيا الحرب كان يجب أن تتم محاكمة هؤلاء المجرمين وإعدامهم جميعًا ليكونوا عبرة، لكن أمريكا قررت أن تقوم بتهريبهم إلى أمريكا هم وعائلاتهم وتعينهم في المخابرات الأمريكية ليكملوا تجاربهم على البشر، كانت عملية التهريب هذه اسمها عملية مشبك الورق Operation Paperclip.

وتحت مظلة المخابرات الأمريكية توصلت تجاربهم إلى شيء غير متوقع.

هل أنت مستعد لجولة ثانية؟

استرخِ وسأحقنك بهذه الحقنة.

***

أحدهم يسحبك من عنقك ويسحلك على الأرض، نظرة واحدة مرتعبة للمكان الذي أنت فيه جعلتك تشهق من الرعب، إنهم يسحلونك في ممر وعلى يمينك وشمالك أقفاص تصدر منها أصوات قرود غاضبة، ولما نظرت داخل الأقفاص فوجدت القرود يتقاتلون فيما بينهم قتال حياة أو موت، يستخدمون أظفارهم وأسنانهم.

لكن ما يرعب أكثر هو تفكيرك فيما يريدون أن يفعلوا بك في مكان كهذا، وما هذا المكان أصلًا.

«انتبه فسيدخلونك إلى أحد الأقفاص».

سمعت صوت ذلك العجوز النازي من آخر الممر فنظرت إليه في رعب، كان يتحدث مع عجوز أمريكي يماثله في بشاعة الوجه وينظران إليك في اهتمام والجندي يسحلك إلى ناحيتهم.

«أنت داخل المخابرات الأمريكية».

أسرع الجندي في سحله لك حتى أوصلك إلى العجوزين فأمسك العجوز الأمريكي بشعرك ونظر إلى وجهك يتفحصك، ثم أشار بيده إلى الجندي ليرميك في القفص.

فتح الجندي القفص بسرعة وألقاك داخله وأغلق وراءك، نظرت برعب شديد إلى قردين كادا يفتكان ببعضهما ودماؤهما في كل مكان، ولما رآك واحد منهم استدار وترك صاحبه، وتوجه إليك أنت.

«لقد غسلوا دماغ القرد».

إنها المرة الأولى التي ترى فيها عين قرد غاضبة، القرد الآخر يحاول ضرب صاحبه من الوراء، لكنه استدار إليه وصرخ صرخة غاضبة كأنه ينهره ثم التفت إليك وتقدم بسرعة عازمًا على تقطيعك إربًا.

«لقد وضعوا صورتك أنت في دماغه».

غرز القرد أظفاره في وجهك حتى كاد يخلع عينك، ثم مد عنقه يريد أن يغرز أنيابه في رقبتك، صرخاتك تجاوز صداها كل الحدود.

ثم اختفى كل شيء.

وجدت نفسك في مدينة أوروبية كما يبدو من طراز المباني حولك، المدينة تبدو فرنسية من أسماء المحلات، لا يوجد بشر في الشارع لكنَّ هناك ضجيجًا يقترب.

الضجيج يشبه صوت الشجار.

هناك صرخات وسط الضجيج.

ثم اتضح كل شيء.

ظهر من نهاية الشارع جموع من البشر يركضون مرتعبين كأن هناك وحشًا يركض خلفهم.

اركض.

«خذ حذرك فقد رُشَّ هذا الحي من المدينة بأحد السموم النفسية ضمن التجارب».

اركض معهم وإلا سيعتبرونك عدوهم.

فجأة ظهر جمع آخر من الناس من الشارع المقابل يركضون ناحيتكم.

التحم الفريقان يكيلون اللكمات لبعضهم وأنت في المنتصف لا تدري ما تفعل حتى سمعت صوت سيارات الشرطة الكبيرة قد جاءت ونزل منها أفواج من الجنود قضوا وقتًا صعبًا في محاولة تفريق المتقاتلين حتى اضطروا إلى ضربهم بالعصي.

المشكلة أن كثير من اللكمات طالت وجهك، حتى جنود الشرطة عندما جاء أحدهم بقربك وسط هذه الفوضى أخذ يضربك بالعصا، فسقطت على الأرض تدوسك الأقدام.

وصرخت صرخة عظيمة حتى اختفيت من المكان كله.

فوجدت نفسك في مكان يبدو مثل غرفة في مستشفى للأطفال، لكنَّ المشكلة أنه لا يوجد طفل واحد على السرير بل كل الأطفال يضربون بعضهم بالسكاكين.

هذا مشهد مؤلم جدًا عندما ترى أطفالًا يذبحون بعضهم بهذا الشكل.

كل الأطفال هنا سُمر اللون، لكنك لاحظت أن هناك كثيرًا من الأطباء البيض ينظرون من وراء زجاج النوافذ إلى هذه المهزلة ولا يتدخلون.

«أنت ممرض هنا لكن إياك أن تتدخل وإلا قطعوا رأسك».

دماء، صرخات أطفال وحشية، دموع، أنت تسقط على الأرض من الألم النفسي.

تغطي وجهك بيديك، لا تقدر أن تحتمل.

حتى اختفيت من المكان، واستيقظت هنا، عندي.

مرحبًا بك مجددًا، كل الذي رأيته حوادث حقيقية وليست خيالية، كلها تجارب نفسية أجرتها المخابرات الأمريكية بفريق العلماء النازي المختل بقيادة العجوز كورت بلوتنر، يساعدهم ذلك العجوز الأمريكي وهو يهودي اسمه سيدني غوتليب، بدأ الأمر بتجارب على القرود، يريدون تحقيق الفكرة التي لم يكملوها في ألمانيا، إيجاد طريقة يمكن أن يغسلوا بها دماغ شخص ويغرزوا في وجدانه فكرة جديدة تحركه، ولقد نجح هذا في القرود كما رأيت، فنوموهم مغناطيسيًا وحقنوهم بالإصدار الجديد من الإيرغوت، وبينما يكون القرد في تلك الحالة بين اليقظة والنوم يزرعون في دماغه أفكارًا عدائيةً وحشيةً على شكل صورٍ ومقاطعَ عنيفة مليئة بالدماء، يعرضونها عليه ليلًا ونهارًا لأيام وأيام ثم يراقبون تصرفاته فيجدونه في النهاية تحول إلى قرد وحشي، ولو زرعوا في عقل هذا القرد الوحشي صورًا مفبركةً لشخص معين وهو يؤذي أطفالَ القرد مثلًا، سيتحول هذا القرد إلى آلة لقتل شخص معين.

ثم بدأوا في التجارب الجماعية الخارجية، فنزلوا في مدينة «بون سان إسبري»، ورشوا سمومهم في أحد أحيائها فأصيب أهالي الحي بالجنون فيما يعرف بحادثة التسمم الجماعي في بون سان إسبري حتى إن البعض كان يلقي بنفسه من النافذة ويموت هربًا من وحش تخيلي.

لكن أكثر التجارب بشاعة كانت تلك التي تمت في معهد الآن التذكاري في كندا Allan Memorial Institute، والذي كان مستشفى نفسية للأطفال كما يظهر للناس لكنه في الحقيقة لعنة، كانت المخابرات الأمريكية تجري فيه تجاربها القذرة على أطفال الموهوك، السكان الأصليين لكندا الذين تمت إبادتهم كما عرفت عند رفيقي السابق.

القلائل الذين تبقوا من الموهوك تعرضوا لأسوأ أنواع الاضطهاد والعنف والاغتصاب والاستعباد أحيانًا، وأطفالهم كانوا ضحايا لهذه التجارب المريعة،

لقد تعلموا في تلك المستشفى كيف يحولون طفلًا بريئًا إلى مجرم وحشي، وكان هذا نجاحًا يفوق كل توقعاتهم.

ثم حان وقت التطبيق العملي بعيدًا عن المعامل النفسية.

أول تطبيق كان في السجن، تم اختيار مجرم عادي جدًا ليكون الضحية، وايتي بولغر، لم يكن قد فعل جرمًا كبيرًا، فقط عملية سطو مسلح مع رفاقه فقبض عليه وأودع السجن، وهناك أعطته المخابرات الأمريكية الجرعات المطلوبة من الإيرغوت بالكميات المطلوبة، وعملوا له عدة جلسات استظهروا فيها أشياء كانت كامنة في نفسيته، فعاد بولغر للمساجين وقد اختلف عما كان، تحولت عيناه إلى نظرة أخرى كأن الشيطان سكن فيهما، وكاد يرتكب جريمة قتل في السجن لولا أن المخابرات الأمريكية قد لحقت به وأودعته في سجن الكتراز، أخطر سجن في أمريكا، وهناك أصبح محروسًا بالأغلال طيلة الوقت هو وأعتى المجرمين، ثم قررت المخابرات إخراجه إلى العالم في هيئته هذه لتراقب نتيجة التجربة.

وكان وبالًا على أمريكا، فجأة اندلعت حرب عصابات قاسية جدًا، وأصبح بولغر زعيم عصابة بسرعة الصاروخ، وكأن التجربة قد جعلت منه رجلًا آخرَ في الشارع غير بولغر القديم، وبدأت العصابات الكبيرة تتهاوى أمامه ويموت زعماؤها، حتى ترقى وصار المطلوب رقم 2 في قائمة أخطر 10 مطلوبين في أمريكا، بعد بن لادن مباشرة.

نجحت التجربة نجاحًا مدويًا، وبدأ الجزء الثاني منها، أن يحولوا شخصًا صالحًا وناجحًا جدًا إلى مجرم خطير، ووقع الاختيار على تيد كازينسكي، أصغر حاصل على الدكتوراه في أمريكا، عبقري في الرياضيات، فجأة اختُطف وأجريت التجارب العنيفة عليه باستخدام الإيرغوت ثم أطلقوه على العالم.

تصدر كازينسكي قائمة المطلوبين فاحتل المركز الأول بلا منازع.

عشرون سنة كاملة والشرطة الفيدرالية تلاحقه بلا فائدة، أخطر شيء عندما تجتمع العبقرية بالإجرام، كان أسلوبه أن يضع القنابل في الطرود البريدية ويرسلها للجامعات والمستشفيات والأماكن الحيوية فتنفجر في وجه الجميع، وبعد أن أسقط كثيرًا من الضحايا أرسل إلى جريدة واشنطن بوست

يقول إنه سيوقف هذا الإرهاب والقتل إذا نشروا في العدد القادم من المجلة مقالًا من تأليف زينسكي يتحدث عن التكنولوجيا وكيف أصبحت تأسر الإنسان فأصبح لها عبدًا.

بالطبع قصة التكنولوجيا هذه زرعوها فيه في أثناء تجربة الإيرغوت ولم تكن في عقله في الماضي، فخرج الرجل من التجربة وقد وهب حياته ليحارب التكنولوجيا حتى قُبض عليه بصعوبة بالغة.

تجارب الإيرغوت النفسية صارت تغير عقول الرجال من النقيض إلى النقيض، وكان هذا يعني أن المخابرات الأمريكية أصبحت جاهزة لتنفيذ الجزء الأخير من الخطة، الجزء الذي لن تصدقه حتمًا إلا بعد البحث مرة واثنتين، فهو شيء لم يكن أحد يصدقه حتى اعترفت المخابرات بنفسها فيما بعد بكل شيء.

وهذه المرة سأحقنك وأحقن نفسي معك، فلا أظن أنك ستتحمل ما سيأتي.

***

اهرب.

لا تسأل عن المكان الذي نحن فيه فقط اهرب بأقصى سرعتك في هذا الشارع، صوت التفجيرات يصم الأذن، نحن في جواتيمالا، هناك قوة عسكرية من رجال يرتدون طاقيات تشبه الكاوبوي، ويحملون بنادق آلية ويطلقون النار هنا وهناك.

اهرب.

لقد برمجت الحقنة التي أخذناها أن تعمل نبضة عصبية واحدة كل خمس دقائق، نبضة عصبية ستنقلنا من هنا إلى أي مكان آخر، لكن بعد خمس دقائق، لا وقت للشرح.

هناك طائرات تقصف المدينة، احمِ نفسك والتصق بجوار أي حائط كل ملصقات الحوائط هنا تدعو لإسقاط الرئيس جاكوب، ماذا فعل الرئيس جاكوب لتندلع النار هكذا في البلاد؟

لقد أعاد الأراضي للفلاحين بعد أن سرقها منهم الرئيس السابق وأعطاها للشركة الأمريكية للفاكهة فقررت المخابرات إزالته وتنصيب ديكتاتور يعيد الأراضي للشركة الأمريكية المجرمة.

لو شاهدت واحدًا من هؤلاء الذين يرتدون طاقية الكاوبوي اهرب على الفور، فهو ليس شخصًا عاديًا، بل هو رجل جواتيمالي تم اللعب في عقله بالإيرجوت وتحويله إلى آلة قتل لشعبه.

هكذا أصبحت تفعل المخابرات الأمريكية اليهودية لإسقاط أي حكومة في العالم، لا حاجة أن ترسل أمريكا جيشًا جرّارًا وتخسر الكثير من الأموال، هناك طريقة أفضل وأوفر وتحقق النتيجة نفسها. فإذا كان في تلك البلد فصيل سياسي له أطماع في السلطة تدعمه أمريكا بالأموال، ثم تستدعي رجالًا من هذا الفصيل لتدربهم في أمريكا وتلعب في عقولهم بالإيرجوت وتحولهم إلى آلات قتل متوحشة ثم تطلقهم كالكلاب على شعبهم ليقتلوه بلا رحمة.

وخلال هذا تدعمهم بالإعلام اليهودي وتعلمهم كيف يستخدمون البروباجاندا، وكيف يواجهون الإعلام الحكومي، وكيف ينظمون الأعمال الإرهابية في توقيتات معينة لتهييج الشعب.

هذه العملية سمتها المخابرات الأمريكية باسم **Operation PBSuccess** لإسقاط حكومة جواتيمالا وتنصيب الديكتاتور كاستيلو الذي حكم ثلاثين سنة وقتل من شعبه أكثر من ربع مليون شخص، بمعاونة جنود لا عقل لهم، ولا قلب.

وها هم قد دخلوا في الزقاق الذي نحتمي فيه ببنادقهم يتقدمهم زعيمهم الذي يملك شاربًا صغيرًا مثل هتلر، كارلوس كاستيلو أرماس، قائد الفصيل الإرهابي الذي دعمته أمريكا، انظر إلى أعينهم، لن تجدها تطرف، لا توجد مشاعر، أدمغتهم مغسولة تمامًا وموضوع فيها كثير من القذارة، تمامًا مثل الدواعش.

هتلر الجواتيمالي يتقدم وقد رآنا، المتوحشون ضحايا الإيرغوت يرفعون البنادق.

ثم انتقلنا من هنا.

***

شارع آخر ودولة أخرى من الدول الفقيرة التي لا ناقة لها ولا جمل، فيتنام، المباني هنا مهدمة بالكامل، شوارع الدول الفقيرة تتشابه، وحكاياتها تتشابه، لكن الحكاية هنا بالذات كانت مؤلمة جدًا، هناك تفجير كل عشر دقائق، وانقلاب كل سنة، مدة عشر سنوات.

فقط حاول أن تأخذ ساترًا لأننا لسنا مقبلون على خير، الفصيل السياسي الذي تدعمه أمريكا هذه المرة هو جنوب فيتنام، والجانب المناضل المخلص لبلاده هو شمال فيتنام.

سحبت أمريكا جنود فيتناميين ليعيشوا في أمريكا بعض الوقت ثم أعادتهم، لم يعودوا بشرًا لكن عادوا حيوانات، بل إن الحيوانات تعف عن فعل هذا ببني جنسها، أمّا هؤلاء فنزلوا على بني جنسهم وفعلوا الأفاعيل.

هناك ماسورة باردة التصقت برأسي وأخرى برأسك، لقد تم القبض علينا من رجال جنوب فيتنام ادع الله أن تعيش فقط خمس دقائق في هذا الحلم النفسي، والخمس دقائق هنا ربما تطول.

رمونا على ظهر سيارة نقل ومشوا بنا في ربوع فيتنام التي كانت خضراء فأصبحت صفراء خربة تتصاعد منها أدخنة القنابل الأمريكية، هناك بقر كثير ميت ومزارع محروقة بالكامل، لا تتعجب، واذكر اللعبة الأولى ومجازر التوراة اليهودية التي أنتجت للعالم عقولًا مثل هذه.

وقفت السيارة ونزل منها رجلان نحيلان فيتناميان وعملا معنا أغرب شيء يمكن أن يحدث، أطلقوا سراحنا.

اهرب أولًا ثم فكر فيما بعد.

هربنا بأقصى سرعة، لكن عندما وصلنا إلى مسافة معينة سمعنا ضحكات الجنود من ورائنا، فاستدرنا ونحن نركض فوجدناهم قد رفعوا بنادقهم وبدأوا في الإطلاق كأنهم يلعبون لعبة صيد، وبدأوا في الركض وراءنا.

اتجه نحو اليمين بسرعة إلى هذه الغابة، واحذر فهناك جنود يختبئون بين الأشجار في الغالب، إنهم يلعبون لعبة الذي سيصيدنا أولًا، القط والفأر.

طلقات أصابت أكتافنا والأذرع، لا تدري هل صوبوا خطأ أم أن هذا جزء من اللعبة حتى أنهكت قوانا تمامًا وسقطنا على الأرض.

عملية المخابرات هذه المرة اسمها برنامج فينيكس Phoenix Program.

بالمناسبة هناك نمور في هذا القفص لو لم تكن قد لاحظت، وهي تتهيأ لافتراسنا.

لو نظرت إلى السماء ستجد مروحيات فيتنامية يسقط منها أسرى مثلنا يلقونهم من الأعلى ويضحكون.

ولو نظرت إلى صرخات النساء في الجانب الآخر ستجد المختلين يغتصبوهن باستخدام الثعابين، لن أشرح لك لأني أعلم أن خيالك يرسم لك الصورة.

كل هذا موثق، فما بالك بالذي لم يوثق.

انظر، إن الجنود الفيتناميين مغسولي الأدمغة يمسكون بنا ويلقون بنا في أقفاص، لاحظ ضحكاتهم وملامحهم، الإيرغوت سمَّم أرواحهم فيما يبدو.

نفس السيناريو تكرر حول العالم مرات ومرات.

لا أريد أن أصدمك لكن المخابرات الأمريكية اليهودية نفذت 73 عملية انقلاب قذرة كهذه في العالم.

نحو ثلث حكومات العالم قلبتها المخابرات الأمريكية، بعمليات موثَّقة مثل هذه بالضبط.

إندونيسيا ورئيسها سوكارنو الذي رفض قروض البنك الدولي، وقال ليذهبوا وقروضهم إلى الجحيم نزلوا عليه كما نزلوا إلى هنا، ونصبوا الديكتاتور سوهارتو الذي ارتكب مجازر مريعة في شعبه.

كمبوديا أسقطوا منها الملك سيهانوك، وجاء بدلًا منه حزب الخمير الحمر الذين قتلوا ملايين الكمبوديين من شعبهم.

كوبا ورئيسها فيدل كاسترو أيضًا أسقطوه بالطريقة نفسها، أخذ الأمريكان مجموعة كوبيين منفيين ودربوهم ومسحوا أدمغتهم وحولوهم إلى وحوش، نزلوا على كوبا في عملية مخابراتية اسمها عملية النمس وارتدوا زي الجيش الكوبي وهاجموا المطارات وخطفوا الطائرات التي قادها كوبيون انتحاريون وفجروها في القاعدة الأمريكية في غوانتانامو كأنهم روبوتات مبرمجة. يضحون بأنفسهم لأجل القضية المزروعة في عقولهم، وقوافل الإعلام اليهودي تدعم كل هذا، وتصور كاسترو على أنه الوحش الكاسر الذي يهين شعبه.

وفي الكونغو اغتالت المخابرات الرئيس الصالح باتريس لومومبا ونصبوا بدلًا منه الديكتاتور موبوتو سيكو.

وفي جمهورية الدومينيك اغتالت المخابرات الرئيس رافائيل تروخيو.

ثم أطلقت المخابرات عملية شاملة للقضاء على دول أمريكا الجنوبية كلها تقريبًا لأنه يشتبه في كونها شيوعية، كان اسمها عملية كوندور وأدت إلى القضاء على حكومات الأرجنتين وتشيلي وأوروجواي وباراجواي وبوليفيا والبرازيل، واستبدالها بحكومات أخرى خاضعة لأمريكا.

وفي نيكاراجوا دعمت المخابرات الأمريكية عصابات الكونترا الإرهابية التي نفذت أكثر من 1300 عملية إرهابية فقتلوا شعبهم أبشع تقتيل.

والعراق طبعًا، أنت تعلم كيف تم غزوها بجنود أمريكان لم يكونوا بشرًا، مسحت المخابرات الأمريكية أدمغتهم ووضعت مكانها أدمغة ضباع، ولا شك أنك حضرت هذا في زمانك وتعلم ما فعلوه وفظائع سجن «أبو غريب».

ولا حاجة للكلام أكثر من هذا، فالقائمة تطول، فهذه مجرد أمثلة، والبقية أفظع.

كل هذا ليس سريًا، بل معلنًا ومعترفًا به وموثقًا وموجودًا أمامك طوال الوقت، ولا تحتاج إلى جهد لتعرفه أو تبحث عنه، بل هو حقائق أمام عينك في أبسط موسوعة، لكنك ربما لن تهتم، وستتغنى بأمريكا وحرصها على العدالة والحرية وأنت تأكل البرجر الأمريكي بتلذذ.

الفصل العاشر
حكومة العالم

اللعبة الأخيرة. هل أنت مستعد؟

حسب ملاحظتك لألعابنا أصبح لديك استعداد نفسي لتقبل شيء أكثر تطورًا من كل ما سبق، ولن أخيب ظنك، هذا ما سأعطيك إياه هنا.

تعال معي وانظر إلى هذا، لست واثقًا أنك ستراه في حياتك يومًا لكني لا أظن.

هذه العتبة الدائرية على الأرض، والتي يخرج منها إشعاع أسطواني يرتفع إلى عتبة دائرية أخرى في السقف هي لعبتنا الأخيرة.

هل تذكر الثقب الدودي الذي حدثك عنه الرفيق «أ»، والذي كان الأساس لصناعة آلة الزمن التي سافرتما فيها؟

قال لك إن هذا الثقب الدودي هو ثقب في سجادة الزمكان ينقلك من زمان إلى زمان، لكن ما كشفناه لاحقًا هو أن هذا الثقب يقدر أن ينقلك من مكان إلى مكان في ثانية واحدة، فقط عبر هذه المنصة الدائرية، يعني تقف عليها في مصر فتخرج في الصين مثلًا، دون الحاجة لأي طائرات ولا وسائل نقل ولا بترول، فقط هكذا مثل الجني بل أسرع من الجني، وهكذا أصبح التنقل في زماني من دولة إلى دولة يحدث في ثانية واحدة.

لقد سمينا هذه العتبة الدائرية اسم الحقل الزمني، وبسبب هذا الكشف في عصري اختفت الطائرات المدنية تمامًا، ولم تعد المصانع تصنع إلا الطائرات الحربية النفاثة، ووزِّعت الحقول الزمنية على المطارات، فأصبحت إذا أردت السفر إلى أمريكا مثلًا تذهب إلى المطار ليتأكدوا من معلوماتك الأمنية والتي تكون مسجلة في بصمة إصبعك أو عينك وليس في جواز سفر، وبعد التأكد لا تدخل في طائرة إنما تدخل في الحقل الزمني فتخرج في أمريكا في اللحظة نفسها.

وعند التوسع في حقول الزمن أصبحوا يستخدمونها للتنقل داخل المدينة الواحدة، فوضعوها في الميادين والشوارع والمحطات، وهذا النوع من الحقول الزمنية يسمح فقط بالتنقل داخل البلد وليس خارجها، وعندما وزعوها اختفت باصات النقل العلم تمامًا والمترو والقطارات، لأنه لم يعد أحد يحتاجها، ثم توسعوا أكثر فوضعوا الحقول الزمنية في الشوارع الجانبية والمولات والمحلات الكبيرة، ثم وصلوا إلى آخر مرحلة وهي وضعها في البيوت، فاختفت السيارات تمامًا من العالم.

لم تعد بحاجة لأي شيء للانتقال سوى أن ترتدي ملابسك وتقف على تلك العتبة الزمنية الموجودة في صالة منزلك فتخرج بعد ثانية واحدة في مكان عملك، أو تخرج في تلك الحديقة التي تريد التنزه فيها مع زوجتك، أو تخرج في ذلك المحل الذي تريد الشراء منه.

الشوارع الأسفلتية اختفت تمامًا ووضعنا بدلًا منها شوارع للمشاة فتوسعت الدنيا واختفت عوادم السيارات لأنه لم يعد هناك سيارات، فصار الهواء نقيًا أكثر.

أنا الرفيق «ح» وحرفي يرمز إلى الحقل الزمني، ويرمز أيضًا إلى الشيء الذي أريد أن أكلمك عنه الآن وهو.

حكومة العالم.

أنت بالطبع تسمع أن هناك حكومة عالمية تدير العالم، لكن هذه عبارة مطاطية جدًا بالنسبة لك، فأين هؤلاء الرجال الذين يحكمون العالم بالضبط

وما هي أسماؤهم؟ لا تعرف، فقط تعرف أنهم موجودون من وراء الستار أو ربما لست متأكدًا، أنا هنا لأريك حكومة العالم لتتعرف عليها بنفسك، وهي ليست سرية بل موجودة أمام وجهك طيلة الوقت.

***

تعال معي وقِف هنا على هذه المنصة بجانبي، لا تقلق فهي تكفي اثنين، قلت بصوت مسموع «البنك الفيدرالي الأمريكي»، الأشعة الخارجة من العتبة تحولت إلى اللون الأحمر، معذرة هذا سفر دولي وغير مسموح هنا، لكن معي سماح خاص للسفر الدولي من حقلي الزمني الذي في منزلي، لن أخوض معك في تفاصيل، لحظة.

رفعت يدي فقرأت الأشعة بصمة يدي، ابقَ بجواري.

تحول الشعاع إلى اللون الأخضر وفي لحظة واحدة أصبحنا في أمريكا وخرجنا من منصة الحقل الزمني في الميدان الدولي بواشنطن.

هل شعرت بشيء؟ فقط هناك شعور أنه سُحبت بلطف، لقد اعتدنا على هذا الشعور في زماني.

انظر، هذا المبنى الأبيض العريض الذي يعلوه تمثال نسر هو البنك الفيدرالي الأمريكي، أول شيء تتعلمه عن حكومة العالم هو شيء قاله روتشيلد: «لا يهمني من هي الدمية الموضوعة على عرش الدولة، فالرجل الذي يتحكم بأموال الدولة هو الذي يتحكم بالدولة».

ولقد نجح اليهود في زمانك في ابتكار نظام مالي عالمي مخادع يكفل الذل والهوان للبشر لعشرات السنين، ولقد جئت بك إلى هذا المبنى لأنه أكبر إنجاز يهودي.

أنت عرفت عند رفيقي السابق أن أمريكا ركبت العالم بسبب هذا البنك حينما امتلكت نصف ذهب العالم وجعلت الدولار فقط هو المربوط بالذهب.

كان المفروض أن كل دولار يخرج من أمريكا يكافئ عدة جرامات من الذهب داخل الخزينة الأمريكية، لكن ما حصل أن أمريكا بدأت تطبع دولارات أكثر بكثير مما عندها من الذهب.

بعض الدول أصابها الشك مثل فرنسا فقالوا نحن لا نريد الدولارات التي اقترضناها منكم، خذوها وأعطونا الذهب المكافئ لها، وهنا عمل الرئيس نيكسون حركة خبيثة هي أكبر سرقة في التاريخ بلا مبالغة.

قال لهذه الدول لا شيء لكم عندنا، لقد ألغينا ارتباط الدولار بالذهب، وبهذا القرار أصبح الدولار وبقية عملات العالم مجرد أوراق حكومية مالية ليس لها قيمة، ولم يكن أحد يقدر أن يرفع وجهه في أمريكا سيدة العالم ليعترض.

هذه أول خدعة غسلوا دماغك بها، عملات العالم كله الآن لا علاقة لها بالذهب، هذا انتهى منذ التسعينيات بفعلة نيكسون الكارثية التي سموها صدمة نيكسون، عملات العالم أصبحت قيمتها هي من قيمة الدولة التي أصدرتها فقط.

تعال أخبرك بالخدعة الثانية، هذا البنك الفيدرالي الأمريكي هو البنك المركزي في أمريكا، وهو الذي يطبع دولارات أمريكا، ما لا تعرفه هو أن هذا البنك ليس ملكًا للحكومة الأمريكية، بل هو بنك خاص يملكه تحديدًا خمسة بنوك كبيرة.

اثنان منهم يتبعان روتشيلد هما Rothschild Bank Of England و Rothschild Bank Of Berlin.

وواحد يتبع روكيفيلر وهو Chase Manhattan المدمج مع بنك مورجان JP Morgan.

وواحد منهم هو Goldman Sachs وهو أكبر بنك استثماري في العالم.

فالبنك المركزي الأمريكي يملكه أباطرة البنوك في العالم، وهم يملكون أيضًا بنك التسويات الدولية في سويسرا وهو رئيس البنوك المركزية في

العالم، وهذان البنكان تحديدًا يتحكمان بدورة المال في العالم أجمع، لذلك تسمع دائمًا أن روتشيلد وروكيفيلر والبنكين يتحكمون بالعالم اقتصاديًا.

أما بقية البنوك المركزية في العالم فقد كانت بنوك خاصة أيضًا يملكها رجال الأعمال في الدولة لكنها جميعًا أصبحت تملكها الحكومات بشكل كامل.

الخدعة الثالثة هي أقسى خدعة وأكثرها فجورًا، فاسمع جيدًا، سنأخذ دولة نامية كمثال حتى تفهم، المكسيك. وطبقها على بقية دول العالم أيًا كنت تعيش.

عندما تحتاج الحكومة المكسيكية إلى أموال لبناء شوارع ومستشفيات أو مشاريع فهي لا تذهب وتطبع الأموال في طابعة البنك المركزي المكسيكي الحكومي وتنفذ هذه المشايع، بل المكسيك تعلن على الملأ أنها تحتاج إلى مَن يقرضها مليار بيزو مكسيكي مثلًا وستردها له مليار ونصف بيزو بعد سنة.

فتتوافد البنوك الكبرى في المكسيك على هذا العرض الربوي الرائع ويتسابقون للحصول عليه فيأخذه بنك سكوتيا في المكسيك مثلًا فيعطي الحكومة المكسيكية مليار بيزو، ويأخذ من الحكومة «إذن خزانة» مكتوب فيه أن الحكومة المكسيكية ستعطيه مليار ونصف بيزو بعد سنة.

وعندما تمر السنة يطبع البنك المركزي المكسيكي مليار ونصف من طابعة النقود ويعطيها لبنك سكوتيا.

ولا توجد طريقة أخرى ليطبع البنك المركزي النقود فهو لا يطبعها إلا ليسدد قرضًا أخذته الحكومة من البنوك.

ولو احتاجت الدولة إلى نقود أخرى ستطرح أذون خزانة جديدة، فيصبح عليها دين جديد وهكذا إلى الأبد، والنتيجة النهائية هي عبودية الدولة للبنوك.

هذه الديون التي تأخذها الدولة من البنوك تسميها الدولة الديون الداخلية، لأن الدولة تأخذها من بنوك داخل الدولة، بالعملة المحلية للدولة، وهي تختلف عن الديون الخارجية التي تأخذها الدولة من بنوك خارجية، أو من صندوق النقد الدولي فهذه تكون بالدولار.

لعبة ثعبانية يهودية ربوية تحدث في كل الدول بلا استثناء، لعبة تجعل البنوك الكبيرة في الدولة تربح، بينما الدولة نفسها تغرق في الديون.

دعنا نعود للمليار ونصف بيزو التي ستسددها الحكومة المكسيكية بعد سنة، سأخرج من جيبي 100 بيزو مكسيكي، هذه الورقة التي تبدو بريئة لها معنى غاية في القبح، إن الحكومة المكسيكية تتعهد أنها ستسدد لبنك سكوتيا 150 دولارًا بعد سنة.

وهكذا كل النقود الموجودة في الدولة طُبعت لسداد القروض الربوية الذي أخذتها الحكومة من البنوك، ولا توجد ورقة نقدية في هذا العالم خالية من الربا، تذكر هذا وأنت تمسك بأي ورقة نقدية في يدك.

الخدعة الرابعة، هل تعلم من أين تسدد الدولة هذا الدين الداخلي؟

من الضرائب التي تدفعها أنت، يعني الدولة تقترض من البنك وأنت الذي تسدد القرض.

لا تصدق؟ ما الذي يجعل البنك يوافق أن يقرض الدولة أصلًا؟

هو يقرضها لأن الدولة كيان معتبر موثوق ولديها شعب بالملايين تفرض عليهم ضرائب على كل شيء تقريبًا، فهذه الدولة لها عائد كبير تستخدمه في سداد الدين، وليس كما كنت تظن أن الدولة تأخذ الضرائب وتنفذ بها إصلاحات وخدمات وشوارع.

إنما هي تبني الشوارع والمستشفيات بنقود الدين ثم تسدد هذا الدين بضرائبك أنت.

فعندما تنظر إلى أي ورقة نقدية تذكر أنها تعني أن الحكومة اقترضتها من البنوك بالربا وستسددها بعد سنة بالضرائب التي تفرضها عليك أنت.

كل البنوك تكتب على صفحاتها الرسمية، وكذلك الحكومات في مواقع وزارة المالية الخاصة بها، هذا ليس سرًّا، إنما أنت فقط الأحمق الوحيد في هذا السيرك.

ويكتبون هذا في الصحف، لكنك لا تهتم ربما لأنك منشغل بالنظر إلى ذلك الإعلان الذي على الصفحة نفسها والذي مكتوب تحته. بنك فلان لحياة أفضل.

وإن كنت لا تصدقني فاذهب وابحث الآن على موقع البنك المركزي الخاص بدولتك وانظر إلى أذون الخزانة المطروحة، لعلك تريد أن تقرض الدولة وتستفيد أنت الآخر.

***

الآن تعالَ إلى الحقل الزمني فسأنقلك إلى مكان آخر بعيد عن هنا.

خرجنا في حقل شارع جريت كوين في لندن، هذا المبنى الرمادي الذي بجوارنا هو المحفل الماسوني الكبير في إنجلترا، وهو أقدم محفل ماسوني في العالم، أسسه رجال القوة الخفية كما عرفتهم عند رفيقنا «ك»، ربما سمعت كثيرًا أن الماسونية تتحكم بالعالم أو تحكم العالم، وهذا ليس دقيقًا، الماسونية هي أداة استخدمها اليهود الصهاينة في إسقاط عروش الدول التي أراد اليهود أن يركبوا فوقها، فاستخدموا الماسونية في عمل الثورة الإنجليزية والفرنسية والروسية والثورة على الدولة العثمانية، وفي كل دولة من هذه الدول تجد اليهود أصبحوا على رأسها يحكمونها بعد الثورة أو يتحكمون بها.

فالماسونية تعمل على ضم المؤثرين في الشعب إليها، وهؤلاء يبثون أفكارًا معينة في الشعب تنتهي إلى الغرض الذي يريده اليهود في النهاية. فلما أرادوا إسقاط روسيا نشط الماسون في بث الأفكار الشيوعية، ولما أرادوا إسقاط الدولة العثمانية نشط الماسون في بث الأفكار التحررية من الدين الإسلامي الذي قالوا عنه زورًا إنه يسبب التخلف ونادوا بإسقاط الخلافة.

لذلك تجد أنه بعد سقوط الخلافة العثمانية أصبح يهود الدونمة يحكمون الدولة العثمانية وسمحوا لليهود بالتملك في فلسطين بعد أن كان الخليفة يمنعهم، وعملوا مذبحة الأرمن التي تنسب زورًا للخلافة العثمانية.

وفي روسيا أصبح اليهود هم الوزراء والمستشارون في الحكومة وجعلوا ستالين يعمل لهم دولة كاملة.

وهكذا، الماسونية تبث الأفكار وتهندس الثورة وتخطط لها وتنفذها، واليهود يربحون أغراضهم.

الماسونية هي مذهب شيطاني إلحادي وهذا ليس مبالغة مثل التي تسمعها من المهووسين طيلة الوقت، لكن هذا ما قاله ألبرت بايك رئيس المجلس الأعلى للماسونية في كلمته في مؤتمر باريس الأكبر، والتي نُشرت في مجلة المحفل الأعظم الفرنسي، قال بالنص: «هل يمكن أن نقول إن أدوناي رب المسيحيين إله حقيقي، وهو الذي ثبتت همجيته وبربريته وعنفه على البشر في العهد القديم؟ لماذا لا نقول إن لوسيفر إله حقيقي أيضًا، الحقيقة هي أن رب المسيحيين إله، وإبليس أيضًا إله، لأنه لا يكون نور دون ظلام، ولا جمال دون قبح، ولا أبيض دون أسود، فأدوناي إله المسيحيين هو الظلام، ولوسيفر هو إله النور الحقيقي».

إن الأفكار الدموية الهمجية التي زرعها اليهود في التوراة والتي رأيتها عند رفيقي الأول «م» هي التي بنى عليها كل الملحدين والمفكرين والفلاسفة الماسون إلحادهم في عصور التنوير كما يسمونها، وهي التي حولت العالم إلى العلمانية التي أصبحت تعتبر الأديان كلها شيئًا متخلفًا رجعيًا دمويًا بربريًا، وهكذا جعلوا العالم يقترب من حفة الإلحاد فقط بوضع بعض الآيات البربرية واللا أخلاقية في الكتاب المقدس.

هناك أسماء لامعة جدًا ربما لا تصدق أنهم ماسون مثل فولتير وجان جاك روسو وتولستوي ومارك تواين وأوسكار وايلد ووالتر سكوت وموزارت وبيتهوفن ووالت ديزني.

وقد كانت المحافل الماسونية منتشرة في مصر بشكل قانوني حتى الستينيات وكانوا أكثر من خمسين محفلًا أغلقها جمال عبد الناصر كلها، لأنها رفضت الخضوع للتفتيش الحكومي المصري، ورغم إغلاقها فإنها تركت توابعها في البلاد العربية، نوادي الروتاري والليونز التي ترى المفكرين التنويريين يحومون حولها طيلة الوقت في زمنك.

ومن المفارقات أن المجلس الأعلى للماسونية يلقبونه بالمجلس الأعلى للعالم Mother Supreme Council of the World، وفيه يجتمع الأعضاء من الدرجة الـ 33، والمبنى الخاص بهم اسمه بيت الهيكل House of the

Temple، ويبعد نحو كيلو واحد عن البيت الأبيض، وهو مصمم بالضبط على هيئة هيكل سليمان كما يتخيلونه بتلك الأعمدة الكثيرة التي تحيط به.

الآن تعالَ آخذك إلى جامعة Yale الأمريكية لنتمشى قليلًا، هل عرفت كيف أن الحقول الزمنية جعلت حياة البشر أسهل، انظر إلى هذا المبنى هناك في وسط الجامعة، هذا يدعى المعبد The Tomb، ما الذي جاء بمعبد وسط جامعة؟

هذا مقر منظمة اسمها الجمجمة والعظام وهي مدرسة تدريبية تخرج رؤساء أمريكا ورجال الحكومة الأمريكية، وقد انتبه لها العالم أول مرة في لقاء تلفزيوني جمع مرشحين اثنين لرئاسة أمريكا وقتها بوش الابن وجون كيري، عندما سألوا كيري لماذا أنت وبوش عضوان في نفس المنظمة السرية الجمجمة والعظام؟ قال كيري هذا لا يعني شيئًا، الأمر سر لا يمكن التحدث عنه.

كل أعضاء هذه الجماعة من أصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي والرؤساء، وهي منظمة ماسونية في حقيقتها هدفها أن تتأكد أن هذا الشخص غير اليهودي المرشح لهذا المنصب العالي في أمريكا له أفكار تتفق مع المصالح اليهودية والصهيونية.

***

السيطرة على اقتصاد العالم عبر البنوك، إسقاط الحكومات التي تضايق اليهود، أو لا تتبع النظام المالي العالمي، أين هي حكومة العالم؟

تعال معي لأريك أين هي.

خرجنا بالحقل الزمني في نيويورك، تحديدًا في الشارع الثامن والستين، هذا المبنى الكبير الذي أمامنا هو «مجلس العلاقات الخارجية» Council on Foreign Relations هي منظمة أنشأها (دافيد روكيفيلر) بعد الحرب العالمية الأولى، واحفظ اسم هذا الرجل جيدًا قبل أن نكمل.

اسم هذا المجلس يعطيك شعورًا أنه رسمي أو له علاقة بالحكومة أو وزارة الخارجية بينما هو في الحقيقة مؤسسة خاصة.

هذا المجلس يضم سياسيين ورجال مخابرات أمريكية ومديري مخابرات وبنكيين ومحامين ورؤساء شركات كبرى وإعلاميين، مهمتهم إعطاء النصائح السياسية لأمريكا لتحسين وضعها في دول العالم كلها.

هذا المجلس هو أول كيان صهيوني يقام في العصر الحديث قبل تولد إسرائيل.

فهو الذي أشار بإقامة دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية.

وهو الذي أشار بغزو العراق الغاشم.

رؤساء أمريكا كلهم أعضاء في هذا المجلس، وله فرع في أوروبا اسمه مجلس العلاقات الخارجية الأوروبي European Council on Foreign Relations، وجميع رؤساء دول أوروبا أعضاء في المجلس ووزراء الخارجية الأوروبيين وكبار رجال الأعمال والصحفيين هناك.

الصحفيون التابعون للمجلس هم أهم الصحفيين العالميين والإعلاميين في مجالهم، وكمثال سريع هناك صحفي عربي عضو في هذا المجلس الملعون وهو «فريد زكريا» رئيس تحرير مجلة تايم الأمريكية، وإذا تابعت مقالاته قبل غزو العراق ستجد عناوينها مثلًا «حان الوقت لتولي أمر الحاقدين على أمريكا» أو «لنكن واقعيين مع العراق، الغزو لا بُدَّ منه».

إذا بحثت عن هذا المجلس في الأخبار ستجد أنه يبعث وفودًا إلى معظم دول العالم ولا يستقبلهم إلا رئيس الدولة أو وزير الخارجية كأنهم وفد أمريكي رسمي، بينما هم في الحقيقة يأتون بصفة المجلس وليس بصفتهم الرسمية.

هذا المجلس يسميه بعض الناس الذين قرأوا عنه «حكومة العالم»، لكنه فقط أحد مباني حكومة العالم، المبنى الثاني هناك.

***

أخرجنا الحقل الزمني في لندن مرة أخرى، هذا المبنى البني اللون هو تشاتام هاوس Chatham House.

وهو منظمة بريطانية أمريكية مشتركة أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى وهي مثل مجلس العلاقات الخارجية أعضاؤه صفوة نخب المجتمع السياسية والبنكية والإعلامية، لكن تشاتام هاوس لهم أعضاء في كل دولة من دول العالم مهمتهم التأثير على حكومة تلك الدولة لتحقيق الهدف الأسمى الخاص بالمنظمة، وأيضًا مهمتهم هي الاستماع لنبض الشارع ومعرفة أحوال الدولة.

ومن أعضائه دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل سابقًا، ونيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا سابقًا.

الشخص الذي مول إنشاء تشاتام هاوس هو دافيد روكيفيلر، هل تذكر الاسم؟

مؤسسة تشاتام هاوس هي التي كانت توجه سلوك أمريكا في الحرب العالمية الثانية، وبالتالي هم الذين أشاروا بإلقاء قنبلة هيروشيما النووية، أبشع عمل إرهابي في التاريخ.

ثم أشاروا بعمل الأمم المتحدة ومجلس الأمن وهم الذين أشاروا بعمل قوانين تحديد استخدام الأسلحة النووية في العالم، وهي القوانين التي تسمح لدولة مثل إسرائيل أن يكون لها سلاح نووي بينما تمنع كل جيرانها من امتلاكه.

وهي أول خطوة اتخذها اليهود لإنشاء نظام عالمي واحد.

والأمم المتحدة هذه فشلت في كل شيء تقريبًا، فالحروب التي قامت بعد إنشائها أكثر من الحروب التي قامت قبل إنشائها، نسختها الأولى كانت عصبة الأمم، وهذه فشلت لدرجة أنها أخرجت لنا الحرب العالمية الثانية، مقر الأمم المتحدة هو في نيويورك وسنعتبرها المبنى الثالث من مباني حكومة العالم.

أما مجلس الأمن فهو تحالف عسكري تابع للأمم المتحدة مكون من خمس دول؛ أمريكا، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والصين... القرارات فيه تتخذ برأي الأغلبية، يمكن لأي دولة من الخمسة أن ترفض القرار دون إبداء الأسباب وهو ما يسمى حق الفيتو.

هذا الفيتو تم استخدامه تقريبًا 200 مرة، منها 82 مرة لصالح أمريكا، وغالبا يستخدم لمنع إدانة إسرائيل في المجازر التي ترتكبها في أرض فلسطين، مقر مجلس الأمن هو في نيويورك أيضًا وسنعتبره المبنى الخامس من مباني حكومة العالم.

***

تعالَ إلى المبنى السادس من مباني حكومة العالم وهو في واشنطن، ذلك المبنى الأبيض هناك.

يسمونه اللجنة الثلاثية **Trilateral Commission**، فبعد أن نجح دافيد روكيفيلر في عمل مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي والأوروبي ثم تشاتام هاوس الأمريكي الأوروبي أيضًا، حان الوقت لضم الجزء الشرقي من العالم.

من هنا ظهرت اللجنة الثلاثية، وهي منظمة أسسها دافيد روكيفيلر تجمع القمم في السياسة والاقتصاد والإعلام والعلوم في أمريكا وأوروبا و(اليابان)، وهدفها حل المشكلات السياسية والمعضلات الاقتصادية وما شابه حسبما يقولون.

ستجد هنا رؤساء البنوك العالمية كلهم في مكان واحد، ورؤساء الشركات العالمية كلهم أيضًا في مكان واحد ورؤساء الكيانات الإعلامية الكبرى، جمعهم روكيفيلر ليحركوا اقتصاد العالم في الاتجاه الذي يرونه مناسبًا.

أنشئت هذه اللجنة في السبعينيات، وفي كثير من الأحيان ما يحدث في دولتك من ارتفاع في الأسعار أو في العملة يكون بسبب قرارات من هؤلاء، ويكون متعمدًا.

كانت هذه اللجنة سرية ثم جعلوها علنية في وقت معين، وفي أحد اجتماعاتهم قال لهم دافيد روكيفيلر في كلمة شهيرة له: «أنا أشكر الواشنطن بوست والنيويورك تايمز ومجلة تايم والصحف والمجلات الأخرى التي يجلس رؤساؤها معنا اليوم، والذين التزموا بعهدهم معنا في التكتم لمدة أربعين سنة تقريبًا، كان من المستحيل أن ننفذ خطتنا في العالم لو كنا ظاهرين في الأضواء، والآن أصبحت الأمور أكثر سهولة لعمل الحكومة العالمية الواحدة،

فالسلطة الذكية والواعية من البنكيين والكبار هي أكثر نضجًا من السلطات المحلية الشعبوية غير الناضجة.

***

ادخل برجلك اليمنى في الحقل الزمني.

المبنى السابع.

مجموعة بيلدربيرج.

لا أعرف أين أذهب فهؤلاء ليس لهم مقر واحد يجتمعون فيه، بل كل سنة يجتمعون في مكان مختلف، لكنهم اجتمعوا أول مرة في فندق بيلديربيرج بهولندا فسموا اجتماعهم باسمه، فتعالَ إلى هناك.

فندق خمس نجوم عادي جدًا في هولندا لا شيء مميز فيه سوى حديقته الجميلة.

مجموعة البيلديربيرج تقول إن هدفها منع حدوث حرب عالمية ثالثة، ويريدون عمل حكومة عالمية واحدة وهم يصرحون بذلك بلا مشكلة.

والبيلديربيرج مثل المجموعات السابقة تضم النخبة والصفوة من السياسيين والاقتصاديين والبنكيين ورؤساء الشركات الكبرى.

أكبر إنجاز لهم هو عمل الاتحاد الأوروبي، والهدف منه بشكل أساسي هو دعم التجارة والعلاقات بين أوروبا وأمريكا.

***

هل بقي شيء؟

نعم، بقي مبنى واحد، هو المبنى الثامن.

صندوق النقد الدولي، في واشنطن.

بالطبع هذا الشيء هو أشهر من أن أتكلم عنه.

فهو المارد الذي يمسك السلاسل ويضعها على رقاب دول العالم، وهو أكبر مرابي يهودي في العالم أجمع، مشكلته أنه لا يقرضك لأجل أن يكسب

مزيدًا من المال، بل هو يقرضك ليكسرك. فهو يتحكم بسياسات الدول التي يقرضها، وذلك عبر الدول الأكثر أصواتًا فيه وهي أمريكا. فحتى تخرج من أزمتك المالية سيقرضك صندوق النقد الدولي لكن عليك أن تخضع لشروط أمريكا.

وهذه الشروط تؤدي بك إلى الهاوية دائمًا، أولًا يأمرك أن تقلل الإنفاق على القطاع الحكومي وخدماته التعليمية والصحية، فرغم أنه مهم لمواطنيك فإنه لا يساعد في تسديد القرض، ويأمرك أن تزيد الضرائب على مواطنيك لأنها تسهم في زيادة دخلك.

هناك دراسات موثقة تثبت أن هناك آلافًا ماتوا في الدول التي اقترضت من صندوق النقد بسبب الشروط التعسفية على تلك الدول، والتي جعلتهم يتقشفون في نفقات مهمة جدًا مثل الاهتمام بالقطاع الصحي وغيره.

***

هذه المباني الثمانية ليس هناك واحد فيها أهم من الآخر أو أعلى من الآخر، بل هي كلها تشكل حكومة العالم، وعلى رأس كل هذا دافيد روكيفيلر وعائلته الذين يتحكمون بالعالم سياسيًا، بينما عائلة روتشيلد تتحكم بالعالم اقتصاديًا عن طريق البنوك، والعائلتان بينهما علاقات مصاهرة وزواج كبيرة جدًا.

ودافيد روكيفيلر قال في عشاء في الأمم المتحدة: «نحن على حافة تغيير عالمي، كل ما نحتاجه هو الأزمة الكبيرة الصحيحة، وكل الأمم سوف تقبل النظام العالمي الجديد».

في كتاب دافيد روكيفيلر المسمى «ذكريات» قال: «البعض يؤمن أننا نحن عائلة الروكيفيلر جزء من تنظيم سري يعمل ضد مصلحة أمريكا ويصفونني وعائلتي أننا نريد العالم الواحد وأننا نتآمر مع الآخرين حول العالم لصنع

نظام سياسي ومالي موحد، لو كانت هذه هي التهمة، فأنا مذنب بها، وفخور بهذا».

الحكومة العالمية الواحدة بدأت تتحقق في زمنك وأصبح السياسيون الأعضاء لأي من هذه المباني الثمانية يدعون إليها ويدافعون عنها.

فمثلًا قال بوش الأب في خطابه الشهير أمام الكونجرس: «الذي على المحك أكثر من مجرد دولة صغيرة هي الفكرة الكبيرة، النظام العالمي الجديد حيث تجتمع الأمم المختلفة لهدف واحد، تحقيق آمال البشرية وتطلعاتها، السلام والأمان والحرية وحكم القانون، ومن بين هذه الأوقات الصعبة يمكن أن تخرج مهمتنا الخامسة، نظام عالمي جديد، وسنرى عالمًا جديدًا يظهر للعلن».

الغريب أن النظام العالمي الواحد هذا قد طُرح أول مرة في روايات جورج ويلز، وهو كاتب روايات شهيرة مثل آلة الزمن وغيرها، له رواية اسمها «النظام العالمي الجديد»، وإذا قرأتها لا تدري أن كانت رواية خيالية أم هي تنبؤ بالمستقبل، أم خطة يتم إعلانها في عقول البشر، لأن ويلز قدم الموضوع على أنه حل لمشكلات وحروب العالم، المشكلة أن ويلز تنبأ قبل ذلك بحدوث الحرب العالمية الثانية وحدثت في التاريخ نفسه الذي تنبأ به.

لقد قيل إن الحكومة العالمية الواحدة هي تمهيد لقدوم المسيح الدجال الذي سيحكم العالم كله، الغريب أنه جاءت في الإنجيل نبوءة أنه سيأتي زمن لا يقدر أحد أن يشتري، أو يبيع إلا من له عدد الوحش 666، وقد فسر بعض اللإنجيليين هذه النبوءة أنها تتحدث عن المسيح الدجال الذي سيأتي ويفسد في الأرض، الغريب أنه في زمنك لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا بهذا العدد. فكل المنتجات التي تباع وتشترى في زمنك يجب أن يكتب عليها هذا العدد وإلا تكون ممنوعة من التداول، هذا الباركود الموجود على كل المنتجات بلا استثناء. عبارة عن خطوط، كل خط يمثل رقمًا، لكن أي باركود لا بُدَّ أن يكون في أوله الخط الذي يمثل الرقم 6، وفي وسطه 6، وفي آخره 6، وتتوزع

الخطوط الأخرى بين هذه العلامات الثلاث، فعلامة الوحش هذه هي حولك في كل وقت وتستخدمها ليل نهار دون أن تدري.

ويبدو أن احتلال العالم أجمع هو شيء فشل فيه نابوليون وهتلر باستخدام القوة لكن يمكنه أن ينجح جدًا باستخدام الخفاء.

واحد في كل مئة شخص من هذا المجتمع يعرف هذه المعلومات مرتبة بهذه الطريقة، لتكن أنت هذا الواحد، اعرف كل شيء واحفظه بداخلك فيومًا ما ستحتاجه.

والآن حان الوقت.

العقد الذي بيننا وبينك انتهى.

ها قد اجتمعنا أمامك وانفردنا بك.

لقد نفَّذنا الجزء الخاص بنا من العقد.

أخذناك إلى عوالم من الماضي والمستقبل فأريناك ما لم تكن تعلم أو تتخيل أنه موجود.

وما دُمتَ هنا الآن فقد أنهيت كل الألعاب وعرفت كل شيء.

أنت عرفت بذكائك مَن نحن تقريبًا.

سألناك في البداية هل نحن قادمون لأخذ روحك، أم قادمون لأن العالم ينتظرنا، أم قادمون من المستقبل؟

والحقيقة أننا كل هؤلاء معًا.

أنت تعيش في زمنك وقرأت كتابنا هذا، ورأيت وعرفت من الذي يحكم العالم حقًّا من وراء الستار.

شاهدت كل ما فعله اليهود منذ قديم الزمان حتى الآن، وأي إنسان سيقرأ كل هذا سيقول، لقد انتهى الأمل، لم يعد هناك شيء يمكن أن نفعله، لقد هلك العالم كله وركب المجرمون على ظهره.

نحن جئنا لنخبرك أن كل ظنونك عما سيحدث في هذا العالم خاطئة.

نحن أتينا من هنالك.

في عصرنا الذي جئنا منه كل هذه القذارات انتهت إلى الأبد.

نحن جئناك من زمن تغيرت فيه موازين القوى كلها، ولو أنك نظرت في التاريخ وقرأته جيدًا ستجد أنه كل مئة سنة تتغير موازين القوى تمامًا ويصير الأسفل في الأعلى، والأعلى في الأسفل، تأكد من كلامنا وقسم التاريخ إلى أجزاء كل جزء مئة سنة، وانظر إلى الإمبراطوريات التي صعدت وهبطت.

في زماننا لم تعد هناك إسرائيل، سقطت سقوطًا عظيمًا يشابه سقوطها في أيام الخزر.

وهرب اليهود منها إلى أمريكا وإيران.

وسقطت أمريكا سقوطًا مدويًا ولم تعد قوة عظمى.

وتحرر المسجد الأقصى وأصبحت فلسطين حرة مستقلة يملكها أهلها.

وأصبحت الدول العربية أقوى، وعملوا تحالفات عسكرية واقتصادية فيما بينهم.

ولو أردت أن أحكي تفاصيل فسنملأ كتابًا آخر.

كل ما أقدر أن أخبرك به هو أن إسرائيل ستسقط في زمانك أنت، وستشهد على سقوطها بأم عينك.

وسيشارك جيلك هذا في سقوطها.

في زماننا سقط احتكار العلم التكنولوجي.

ففي زمانك وضع رجال الأعمال سلاسلهم على رقبة التكنولوجيا فأصبحوا لا يُخرِجون للناس منها إلا جزءًا يسيرًا كل سنة، حتى يطمئنوا أن شركاتهم ستربح بلايين في كل عام.

وكان من المفترض أن شركات البترول الذي يُسيِّر السيارات والطائرات ستنعم بأموالها لمئة سنة على الأقل، لولا أن حدث تحرر العلم وتم اكتشاف الثقوب الدودية وأصبح التنقل من مكان إلى مكان لا يحتاج إلى كل هذه الآلات ذات العوادم والصوت المرتفع.

لذلك تحررنا وأصبحت التكنولوجيا حرة لا يملكها أحد ولا يضع عليها أحد قيودًا.

لقد لاحظت من طريقة كلامنا أننا لسنا شياطين، ولسنا كفرة، ولسنا يهودًا، بل نحن نعظم الأنبياء، ونعبد الله ورسوله، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

كثير في زماننا قد دخل في الإسلام حتى لم يعد هناك حي ولا بناء في العالم إلا وفيه مسلمون.

والآن بعد أن عرفت كل هذا، حان الوقت لنقبض الثمن الذي وعدتنا به في البداية ووقعت على ذلك.

ها نحن نقف متجاورين، هل جمعت حروف أسمائنا بترتيبها؟

مـ - لـ - كـ - هـ - ا - مـ - ا - شـ - ا - يـ - ح

«ملك هاماشايح»

وهي كلمة سريانية تعني المسيح.

وسنجعل الاختيار بيدك.

أي مسيح ذاك الذي ستهب له روحك؟

عيسى بن مريم عليه السلام، أم المسيح الدجال؟

كل المسحاء الكذبة الذين ينتظرهم العالم هم في الحقيقة مسيح واحد دجال سيخرج في آخر الزمان ويؤمن به العالم ويهبونه أرواحهم.

سيسميه المسيحيون يسوع ابن الله المنبثق منه.

ويسميه اليهود المشيح الذي قالوا عنه في التوراة في سفر المزامير إن الله يعتبره ابنه الذي انبثق منه.

ويسميه الهندوس كالكا وهو ابن الإله براهما المنبثق منه واسمه فيشنو ثم يتجسد في نهاية الزمان ويصير اسمه كالكا.

ويسميه البوذيون مايتيريا الذي هو أعظم من جميع الآلهة وسينزل في آخر الزمان عندما تنسى تعاليم الدارما البوذية.

فلن يحتاج المسيح الدجال وقتًا ليقنع كل هؤلاء المنتظرين أنه هو نفسه مسيحهم المنتظر، بكل العجائب التي سيصنعها.

وسيهبون أرواحهم له جميعًا، ويعبدونه على أنه ابن الله المتجسد، باختلاف عقائدهم.

حتى لا يبقى في الأرض إلا من ثبت من المسلمين.

وهؤلاء يعلمون أن هذا المسيح كذاب.

لأن الله ليس له ابن، بل إنهم يرددون كل يوم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

فلن يهبوا أرواحهم لأحد إلا لله.

ويبذلون أرواحهم فداء نبي الله عيسى المسيح يقاتلون معه في سبيل الله.

وقبله المهدي الذي هو من آل بيت رسول الله «صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا».

فلن يهبوا أرواحهم وعقولهم إلا لمن خلقهم.

وأنت، لمن ستهب روحك.

هل تهبها لله ورسوله، أم تهبها للمسيح الدجال.

لقد جئنا إليك لنعطيك الحقائق على طبق من ذهب.

حتى تتذكرها جيدًا، وتعلمها لأولادك.

حتى إذا جاء وقت الاختيار، تتذكر ما قرأت.

ولا يلعب بأفكارك اللاعبون.

لقد كانت تلك اللعبة التي لعبناها معك في البداية لعبة بريئة فقط لنأخذ اهتمامك.

ثم ندخل هذه المعلومات إلى عقلك رغمًا عنك.

وربما نلقاك ثانية وربما لا.

فقط ادع لنا.

وتحرر من كل شيء إلا الله ورسوله، ولا يفتنك أصحاب الأهواء إلى هواهم فتهوي معهم في نار جهنم.

وعِش كما أراد الله لك أن تعيش. حرًا.


عصير
الكتب